من المسرح العالمي

سمك عسير الهضم

بقلم الكاتب الجواتيمالي : مانويل جاليتش
ترجمة وتقديم الدكتور محمود علي مكي

سلسلة من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها :

احمد مشاري العدواني
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. محمد اسماعيل الموافي
أستاذ مساعد الأدب الإنجليزي بجامعة الكويت

زكي طليمات
المشرف الفني لشئون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية .
وزارة الإرشاد والأنباء - الكويت .

من المسرح العالمي

أول اكتوبر ١٩٦٩

شهرية

١

سمك عسير الهضم

بقلم الكاتب الجواتيمالي : مانويل جاليتش

ترجمة وتقديم الدكتور محمود علي مكي

تصدر عن :

وزارة الإرشاد والأنباء - الكويت

العنوان الاصلي للمسرحيه :

manuel galich

el pescado indigesto

premio de teatro segundo concurso literario hispanoamericano

Casa de las Americas. La Habana. Cuba, 1961

مقدمة بقلم المترجم

١ ــ نحن وأدب أمريكا اللاتينية بين الماضي والحاضر

أدب قارة أمريكا اللاتينية يكاد يكون اقل آداب العالم نصيبا من اهتمامنا حتى اليوم . وهو أمر يفسره قرب عهدنا بالاتصال بهذا العالم الكبير الذى يضم رقعة شاسعة من الأرض (جميع القارة الأمريكية باستثناء الولايات المتحدة وكندا) وعدداً هائلا من الدول (ثلاثة وعشرون دولة بخلاف الأقطار الكثيرة التى مازالت خاضعة للسيطرة المباشرة للاستعمار الأجنبى : الانجليزى والفرنسى والهولندى بصفة خاصة) ، وجزءا ضخما من سكان العالم يصل الى اكثر من مائتى مليون من البشر .

هذا العالم العريض الواسع الذى بدأنا اليوم فى « اكتشافه » والتعرف عليه بعيد عنا حقا من الناحية الجغرافية ، اذ تفصلنا عنه شقة واسعة من البر والبحر ، ولكن الحضارة الانسانية لاتعرف الحدود ، بل هى وحدة متكاملة لا تنفصل فيها حلقة عن حلقة . ثم ان صلاتنا المستحدثة بهذا العالم قد أطلعتنا على ان الأبعاد والمسافات الجغرافية لا تكاد تقيم حواجز وحدودا حقة بين البشر وعلى أن أمريكا اللاتينية بالذات ربما كانت أدنى الينا من بلاد أخرى الصق بحدودنا واقرب جوارا ، فهى مجموعة من الشعوب التى تجيش نفوسها بما تجيش به شعوب قارتينا الأسيوية والافريقية من آمال وآلام . هى قارة ظلت خلال قرون مستضعفة خاضعة لأبشع

الوان الاستغلال والسيطرة ، وما زالت تكافح من أجل حريتها واستقلالها كما نكافح نحن، وهى من أجل ذلك تعتبر نفسها جزءاً من هذا « العالم الثالث » الذى يربط بين قارتى افريقيا وآسيا برباط قضية واحدة ، وكفاح جامع وأمل مشترك .

بل اننا لو خصصنا القول بعد هذا التعميم لرأينا أن الصلات بين أمريكا اللاتينية وعالمنا العربى بوجه خاص أوثق كثيرا مما نتصور ، وأجدر بأن تلقى من اهتمامنا وعنايتنا المزيد ، انقياداً لحتمية طبيعية هذه الصلات وتطورها .

واول ما نشير اليه من حقيقة هذه العلاقات وتاريخها هو أن عالم أمريكا اللاتينية ينتمى من الناحية الثقافية الى الحضارة الايبيرية اى الاسبانية والبرتغالية . وهذه الحضارة التى ترعرعت على أرض شبه جزيرة ايبريا هى أوثق حضارات أوروبا والعالم الغربى كله بالعرب والاسلام ، ولسنا فى حاجة الى بيان الآثار العميقة التى خلفتها فى اسبانيا والبرتغال قرون تسعة من « الوجود » العربى الاسلامى ، فهذه حقيقة قد نالت من ابحاث العلماء العرب والمستشرقين ولاسيما الاسبان منهم ما جلاها وأوضحها على نحو لانحتاج معه هنا الى اعادة الحديث عنها . غير أن الذى لم ينل بعد نصيبا من الدراسة هو بيان الدور الذى قامت به الثقافة الاسبانية فى نقل الرواسب العربية الكثيرة الى عالم أمريكا اللاتينية . وهو شىء تأكد لنا بعد ما توفرنا على دراسة آداب هذه القارة وجوانب ثقافتها وتطورها الذى تبع بصورة عامة تطور الثقافة الاسبانية والبرتغالية فالواقع هو أن العناصر العربية التى تمثلها الشعبان الاسباني والبرتغالى قد انتقلت منذ فتح القارة الامريكية الى شعوبها الجديدة واصبحت جزءاً لايتجزأ من التراث الحضارى لتلك الشعوب .

بل اننا نعرف على وجه اليقين أن كثيرا من المسلمين الأندلسيين الذين أضطروا الى التنصر بعد سقوط غرناطة آخر الممالك الاسلامية فى الأندلس سنة ١٤٩٢ — تحت وطأة الاضطهاد الديني الذى صبته عليهم « محاكم التحقيق » — هاجروا الى مختلف بلاد العالم الجديد، الذى كان من مصادفات التاريخ العجيبة انه اكتشف فى نفس تلك

السنة . صحيح أن هؤلاء لم يستطيعوا أن يحافظوا على عقيدتهم ولا على لغتهم ولا على ما بقى من رسوم حضارتهم العربية فى أمريكا اللاتينية ، فقد تعقبتهم « محاكم التحقيق » هناك كما طاردتهم من قبل فى شبه جزيرة ايبريا ، والعقيدة قد تكتم جيلا أو جيلين ثم لا تلبث فى ظل الاضطهاد أن تندثر ، ولا يلبث المهاجرون إن يندمجوا فى المجتمع الجديد اندماجا كاملا . كل هذا صحيح ، وهو مما يجعل من اعسر الأمور اليوم أن نهتدى على نحو علمي مضبوط الى حقيقة العناصر العربية أو المسلمة التى استطاعت التسرب الى بلاد القارة الأمريكية فى أعقاب الكشف الاسباني ، لاسيما وأن كثيرا من الوثائق الخاصة بأسماء الفاتحين الاسبان وانسابهم قد فقدت واندثرت ، ولا نستبعد أن يكون الفاتحون ذوو الأصول العربية أو المسلمة قد أعانوا هم أنفسهم على اعدامها خوفا من أن يكون فيها مظنة لاتهامهم أمام محاكم التحقيق ، وكانت هذه لاتتردد فى الحاق أقسى العقوبات بمن تحوم الشبهات حول أصوله أو ديانة آبائه . ومع ذلك فقد بقيت وثائق كثيرة حول الطوائف الاولى من المشتركين فى الفتح الاسبانى لأمريكا ، وهى وثائق مازالت مخطوطة فى « أرشيف بلاد الهند Archivo de Indias » فى مدينة اشبيلية Sevilla باسبانيا (وكان اسم « الهند » يطلق على العالم الأمريكى الجديد أول عهده بالاستكشاف والفتح) . ولو توفرت السبل لدراسة تلك المجموعات الكبيرة من الوثائق المحفوظة حتى اليوم فى « الأرشيف الاشبيلى » لأمكن بحث هذه المسألة على نحو أوفى وأجلى .

غير أن ما يحيط بذلك من صعوبات لا يمنع من الاشارة الى أننا لسنا فى حاجة الى تتبع أسماء فاتحى القارة الأمريكية الجديدة وأنسابهم والتحقق من نسبة الدماء العربية فى عروقهم حتى نؤكد مدى عمق الآثار العربية والاسلامية التى تطعم بها ذلك الشعب الجديد ، فانه من المعروف أن اسبانيا المسيحية نفسها فى ذلك الوقت كانت قد تمثلت الحضارة العربية تمثلا كاملا ، ولم يكن هناك جانب فى تكوينها الجنسي والروحي والاجتماعي الا وطبعت عليه الحضارة الاندلسية طابعاً خالداً لم تمح آثاره حتى اليوم . وهذا هو ما جعل

بين عالمنا العربى والعالم الايبيرى الذى يضم اسبانيـا والبرتغـال والشعوب المنحدرة من صلبيهما رابطة وثيقة وتشابها واضحا فى الطبيعة والمقومات الروحية والنفسية .

ولعل هذه الرابطة وذلك التشابه هما اللذان مهدا لصلة بين الشعبين العربي والامريكي اللاتينى بدأت فى عصر حديث نسبيا ثم استمرت حتى اليوم ، ونحن نعنى بها مظهرا من مظاهر « الوجود » العربي فى ذلك العالم الجديد لم يبدأ الا فى أواخر القرن التاسع عشر ، ويتمثل الآن فى هذا العدد الكبير من الجاليات العربية التى تعيش فى جميع أنحاء أمريكا اللاتينية والتى يقدر عدد أفرادها بما يقـرب من المليون . ونود أن نشير هنا الى حقيقة تؤكد ما نذكره من هـذا القرب بين النفسية العربية والنفسية الامريكية اللاتينية : هى أن هؤلاء العرب المهاجرين لم يشعروا منذ وطئت أقدامهم تلك الأرض البعيدة السحيقة انهم فى عـالم غريب عليهم قلق بهم ، بل انهـم سرعان ما التأموا فى القارة الجديدة ، وتمثلتهم شعوبها ، واندمجوا فيها اندماجا كاملا ، دون أن يعنى ذلك تنكراً لأصولهم العربية ولا نسياناً لها ، وهكذا أعاد الينا هؤلاء المهاجـرون العرب فى أمريكـا اللاتينية ذكرى ذلك التعايش القديم بين العناصر العربية والاسبانية على أرض شبه جزيرة ايبريا ، وقدموا الينا صورة جديدة من صور ذلك الامتزاج الحضارى الرائع الذى تم منذ عشرة قرون والذى كان له يد جليلة وفضل عظيم على الحضارة الانسانية كلها .

ويكفينا أن نذكر انهؤلاء العرب المهاجرين قدموا الى بلاد أمريكا اللاتينية عصارة خبرتهم وتجربتهم الحضارية المجيدة ، وخدموا أوطانهم الجديدة فى اخلاص وطيبة تميز بهما العربي على مر العصور ، مما جعل تلك البلاد تفخر بهم وتعتز ، وتعتبرهم من خير العناصر التي طعم بها كيانها . غير أن فضلهم لم يقتصر على ذلك ، بل انهم قدموا الى وطنهم العربي الأم ايادي بيضاء ، والكثيرون منهم ممن تيسرت لهم الاحوال فى مهاجرهم ما زالوا يبرون أهلهم فى الوطن العـربي ويصلون ارحامهم ، ويدافعون عن القضايا العربية بكل ما ملكت ايمانهم ، ضاربين فى ذلك قدوة صالحة ، ومثلا ما أجدرنا ــ ونحن فى بلادنا ــ بأن نقتدى به ، ونوليه ما هو جدير به من تقدير واكبـار .

وعلينا ان نذكر بهذه المناسبة ان هؤلاء العرب المغتربين هم الذين غذوا ثقافتنا وأدبنا الحديث بتيار جديد يتميز بالأصالة والطرافة ، ونعنى به أدب المهجر الذى قدم لنا محاولات رائعة لتطوير أدبنا واجراء دماء جديدة فى عروقه . وما أشبهه فى ذلك بالأدب الاندلسي الذى كان يمثل منذ عشرة قرون احدى المحاولات الناجحة فى تجديد أدبنا العربي واثرائه ، بفضل ما ابتكره الاندلسيون من ألوان جديدة مثل الموشحة والزجل ، وهي فنون كان لها أثر هائل سواء على الأدب العربي فى المشرق أو على الآداب الغربية فى أوربا .

ونعود الى آداب أمريكا اللاتينية ، فنقول انها كما ذكرنا تنتمي الى المجموعة الايبيرية : فأدب البرازيل (الدولة الوحيدة الناطقة بالبرتغالية) انما هو امتداد للأدب البرتغالى ، وأدب بقية بلاد أمريكا اللاتينية التي تزيد على العشرين امتداد للأدب الاسباني ، دون أن يعنى ذلك أن هذا الأدب يخلو من قيم جديدة اضافتها تلك الشعوب . فالحقيقة أنها زودت الأدبين الاسباني والبرتغالي بثروة جديدة ، ووسعت آفاقها الى حدود لم تكن تتصور ، بل انها أسهمت فى اغناء لغتى الوطنين اللذين تدين لهما بأصولها بقدر هائل من المفردات والتعابير والأفكار الجديدة . ومرة أخرى تعود الى اذهاننا المقارنة بين ما عادت به آداب القارة الامريكية على التراث الفكرى لاسبانيا والبرتغال وبين ما قدمه الفكر الاندلسي الى التراث العربي من قيم وذخائر .

وهذا هو ما يدفعنا الى تجديد الدعوة الى الاهتمام بهذا الأفق الأدبي الجديد الذى لابد لنا ــ ونحن فى نهضتنا الثقافية الحاضرة ــ من التطلع اليه ، والتعرف على معالمه ، ووصل ثقافتنا به .

٢ ــ قضايا عامة حول الأدب الأمريكي اللاتينى

أمريكا اللاتينية قارة فتية حديثة العهد بالميلاد ، وتاريخها الأدبي لا يتجاوز أربعة قرون . وحتى هذه القرون الأربعة لا يعتبر نتاجها كله قوميا خاصا ببلاد هذه القارة . فالأجيال الأولى ممن

كتبوا « أدبا » فى بلاد أمريكا الناطقة بالاسبانية انما كانوا من الاسبان الخالصين ، ولم يكن فيهم شيء من البلاد الجديدة الا كونهم ولدوا أو نشأوا فيها . ولهذا فان أدبهم يمكن أن يدرج فى نطاق التراث الاسباني . ولم تبدأ الثقافة الامريكية الاسبانية فى النضج والتميز بشخصية مستقلة الا بعد أن حصلت بلاد القارة الجديدة على استقلالها السياسي عن اسبانيا خلال القرن التاسع عشر . وحتى هذا لم يعن انفصالها الكامل عن ثقافة الوطن الأم ، بل ظل أدباؤها يترسمون خطا أدباء اسبانيا خلال وقت طويل .

على أننا نلاحظ أن ما فقدته الآداب الامريكية الاسبانية فى الزمان باعتبارها آدابا حديثة قريبة العهد قد عوضته فى المكان اذا قدرنا الامتداد الهائل للقارة المتكلمة بالاسبانية من المكسيك فى الشمال الى شيلي والأرجنتين فى الجنوب ، على مساحة تبلغ نحو ١٥ مليون كيلو متر مربع . وهذا هو ما جعل من العسير الالمام بالانتاج الأدبي الهائل الذى أخرجته وما زالت تخرجه قارة ضخمة لها هذا القدر من الاتساع .

ولسنا هنا فى معرض الحديث عن تاريخ الأدب الاسباني الأمريكي ، ولكننا سنعمل على الاشارة الى بعض القضايا العامة التي تعين على تبين المعالم الكبرى لهذا الأدب فى مختلف ميادينه .

وأول هذه القضايا أن الأدب الاسباني الأمريكي بدأ منذ منتصف القرن التاسع عشر فى الظهور بمظهر النضوج والاكتمال . صحيح أنه كان يتبع الاتجاهات الادبية العامة فى أوربا عامة واسبانيا بصفة خاصة ، ولكن الشخصية الأمريكية بدأت فى اثبات وجودها وابراز معالمها . بل اننا لا نلبث ان نرى كيف تنقلب الآية ، ويصبح بعض أدباء أمريكا اللاتينية هم طليعة مدارس أدبية جديدة تترك أعمق الأثر فى الأدب الاسباني نفسه . ويكفى أن نشير فى اثبات ذلك الى شخصية الشاعر « روبن داريو Ruben Dario » (١٨٦٧ — ١٩١٦) الذى ولد فى نيكاراجو (أمريكا الوسطى) ، واضطرب فى أنحاء القارة الامريكية كلها ، ثم قضى فترة من حياته فى اسبانيا . فهذا الشاعر الامريكي يعتبر أكبر مجدد للآداب الاسبانية فى العصر

الحديث ، وهو رأس مدرسة جديدة عرفت باسم « مدرسة المحدثين El Modernismo » ، وقد كان للمدرسة الجديدة هذه أثر هائل لا فى القارة الأمريكية وحدها ، بل فى اسبانيا نفسها كذلك . وهكذا نرى كيف بدأت أمريكا الاسبانية ترد دين اسبانيا الثقافي عليها ويصبح من بين الأمريكيين من يعتبرون قدوة ونبراساً لأدباء الوطن الأم .

ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نرى فى جميع بلاد القارة الامريكية اللاتينية نهضة شعرية رائعة . ولعل هذا الميدان هو اكثر ما برز فيه الامريكيون الناطقون بالاسبانية . ويكفي أن نذكر أسماء « ثيسر فاييخوا César Vallejo » (من بيرو : ١٨٩٢ — ١٩٣٨) ، « وجييرمو بالنثيا Guillermo Valencia » (من كولومبيا : ١٨٧٣ — ١٩٤٣) ، « وجابرييلا ميسترال Gabriela Mistral » (من شيلى : ١٨٨٩ — ١٩٥٧) ، وهي أول من حصل على جائزة نوبل (فى سنة ١٩٤٥) من أمريكا اللاتينية . ومن الشعراء المعاصرين « خورخي لويس بورخيس Jorge Luis Borges » (من الأرجنتين : ولد سنة ١٩٠٢) ، « وبابلو نيرودا Pablo Neruda » (من شيلي : ولد سنة ١٩٠٤) .

ولم تكن نهضة الفن الروائي والقصصي فى أمريكا اللاتينية دون نهضة الشعر ، بل ان هذا الفن هو الذى بدت فيه شخصية مختلف بلاد القارة ناضجة قوية مكتملة منذ أواخر القرن الماضي . وربما كانت الهزات العنيفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعرضت لها البلاد الامريكية اللاتينية هي التي تقدمت بهذا الفن الأدبي خطوات واسعة الى الأمام ، حتى ان هناك اليوم من بين كتاب الزواية المعاصرين من يعدون فى طليعة الكتاب العالميين ، نذكر من بينهم الكاتب الفنزويلي ورئيس جمهورية بلاده الأسبق « رومولو جاليجوس Rômulo Gallegos »(ولد سنة ١٨٨٤) ،والشيلي « ادواردو باريوس Eduardo Barrios » (ولد سنة ١٨٨٤) ، والجواتيمالى « ميجيل آنخل أستورياس Miguel Angel Asturias » (ولد سنة ١٨٩٩) .

٣ ــ المسرح فى أمريكا اللاتينية

أما المسرح فالحقيقة أنه لم يبلغ فى أمريكا اللاتينية حتى الفترة المعاصرة ما بلغته الشعر والرواية ، هذا على الرغم من امرين كانا جديرين بأن يجعلانا نتوقع للمسرح الأمريكي اللاتيني منذ مولده نهضة كبيرة :

الأول هو أن شعوب هذه البلاد الهندية كانت تعرف الأدب المسرحي قبل أن تطأها جيوش الفاتحين الاسبان ، فنحن نعرف أن الشعوب التي كانت تسكن القارة قبل الفتح لم تكن من التخلف كما كان الأوربيون يعتقدون فى أول الامر ، وقد اثبتت الكشوف الأثرية والتاريخية الحديثة أنه كان فى القارة الامريكية مركزان حضاريان كبيران كانا قد وصلا الى درجة متقدمة من المدنية : الاول فى شمال القارة ، فى المنطقة التي تقابل اليوم جنوب المكسيك وشطراً كبيراً من أمريكا الوسطى يضم هندوراس وجواتيمالا ، فهناك ازدهرت حضارة الشعب المعروف باسم « المایاس » (Mayas) ثم شعب « الاثتيكاس » (Aztecas) ما بين القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين ، حينما قضى الفاتح الاسباني ايرنان كورتيس Hernan Cortés على الامبراطورية الهندية الضخمة التي كانت قد بلغت أوج اتساعها وقوتها فى ذلك الوقت . أما المركز الحضارى الثاني فهو الذى كان يقع فى شطر القارة الجنوبي فى المناطق التي توجد بها الآن بيرو وشطر من بوليفيا . فهناك فى نحو سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد بدأت فى الظهور على مسرح التاريخ حضارة من أروع حضارات العالم القديم هي التي تنسب الى شعب « الانكاس » (Incas) ، وقد استمرت دولة هذا الشعب الهندى القديم قرونا طويلة ، ولكنها كانت فى طريقها الى الانحلال والانهيار حينما تعرضت بيرو لغزو الفاتح الاسباني فرانسسكو بيثارو Francisco Pizarro فى أوائل القرن السادس عشر .

وقـد ثبت أن هذه الشعوب الهندية القديمة كانت تعـرف الوانا من الادب المسرحي مرتبطة بالعقائد الدينية الشائعة بينها . ولم تندثر هذه التمثيليات الهندية ، بل ظل الناس يتناقلونها ويروونها هناك فماً عن فم حتى وصل بعضها الى العصر الحاضر مترجما الى اللغة الاسبانية ، وهي تدل ـ فى نطاق بدائيتها ـ على مستوى راق للمسرح تمكن مقارنته بمسارح العصور القديمة المأثورة عن قدمـاء المصريين والهنود (الشرقيين) والصينيين والافريق والرومان .

أما الأمر الثاني الذى كان بشيرا بأن يصل ببلاد أمريكا اللاتينية الى نضوج مبكر واسهام له قيمته فهو أن الادب المسرحي لقى فى بلاد القـارة منذ أن أصبحت تكون جزءاً من العالم الاسباني قبولا طيبا ، فسرعان ما أنشئت المسارح فى العالم الجديد ، وأقبل عليها الجمهور الامريكي الاسباني فى شغف وحماس أعانا على خلق ذوق أدبي مسرحي فى وقت جـد مبكر . بل كـان من الغريب أن نرى أمريكا الهندية تمنح العالم الناطق بالاسبانية علماً مـن أبرز اعلام أدبه المسرحي فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ، أى فى صميم فترة الازدهار الأدبي الاسباني التي تعرف باسم « العصر الذهبي » (El Siglo de Oro) ، ونعنى بهذا شخصية المؤلف المسرحـي المكسيكي المولد « خوان رويث دى الاركون Juan Ruiz de Alarcon » (١٥٨٠ ـ ١٦٣٩) ، فقد استطاع هذا المؤلف الذى ولد ونشأ فى المكسيك أن ينازع فى اسبانيا زعامة المسرح أعاظم المؤلفين الذين تفخر بهم اسبانيا فى عصرها الذهبي مثل « لوبي دى فيجا Lope de Vega » و « تيرسو دى مولينا Tirso de Molina » و « كالديرون دى لاباركا Calderon de le Barce » . واليوم لا نرى مجموعة مختارة من الأدب المسرحي الاسباني فى جميع عصوره الا وجدنا فيها قطعا من تمثيليات هذا المؤلف الذى يعد من أول مظاهر اسهام القارة الامريكية فى التراث الفكرى الاسبانـي .

وعلى الرغم من هذه البداية الطيبة المبشرة بنهضة مسرحية كبيرة فان تاريخ المسرح الامريكي اللاتيني فى العصور التالية لـم يقدم لنا ما كان ينتظر منه . صحيح أنه وجد مؤلفون لانتاجهم بعض

القيمة منذ القرن السابع عشر حتى التاسع عشر ، ولكنهم لم يبلغوا مستوى عال من الاجادة ، ولا سبيل لمقارنتهم برصفائهم من الاسبان ، وهذه الظاهرة الغريبة التي تتناقض مع ما نعرفه من نهضة الفنون الأدبية الاخرى فى أمريكا الاسبانية مازالت محيرة بعض الشيء ، اذ أن ما قيل فى تفسيرها وشرح أسبابها لم يزل بعد غير كاف ولا مقنع . على أننا نشير بصفة خاصة الى ان المسرح الاسباني نفسه منذ أواخر القرن السابع عشر كان قد ادركه الهرم وبدأ فى التخلف عن المسارح الاوربية المعاصرة له . ولم تتح له بعد ذلك نهضة حقيقية الا منذ منتصف القرن التاسع عشر على أيدى بعض المؤلفين المنتمين الى المدرسة الابداعية (الرومانية) ثم الواقعية . ولعل هذا التخلف الذى اصاب المسرح الاسباني خلال قرنين طويلين من الزمان هو الذى انعكس على مثل هذا الأدب فى أمريكا اللاتينية .

ولا يكاد يعرف فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين من كبار المؤلفين المسرحيين فى القارة الامريكية الاسبانية الا مؤلف واحد يعتبر خير ممثل لهذا اللون الادبي ، وأجدرهم بأن يسلك اسمه فى سجل الخالدين فى تراث الفكر الاسباني ، ونعنى به « فلورنثيو سانتشث Florencio Sanchez » (١٨٧٥ — ١٩١٠) ، وهو مؤلف ولد فى مونتفيديو (أورجواى) وان كان قد قضى الشطر الأعظم من حياته فى الارجنتين . وتعتبر آثار سانتشث المسرحية لوحات حية قاتمة الألوان ، صور فيها الألف حياة المجتمعات الفقيرة فى أمريكا اللاتينية ، وندد بالمظالم الاجتماعية التي تتعرض لها تلك الطبقات المظلومة . ولولا وفاة هذا المؤلف المبكرة وهو فى سن الخامسة والثلاثين لاستطاع أن يترك لنا من نتاج عبقريته المسرحية ما كان جديراً بأن يعد ذخراً للأدب الاسباني كله .

ولكن الخط الذى بداه هذا المسرحي العظيم لم يقدر له مع الأسف أن يستمر ، وعاد الأدب المسرحي الأمريكي الاسباني الى التعثر . صحيح أن المسرح منذ أوائل هذا القرن كان من أكثر ماكتب

فيه أدباء القارة ، وأن انتاجهم فيه من الكثرة والضخامة بحيث يعسر على الاستقصاء، ولكن الجيد منه قليل . وتعتبر المكسيك والارجنتين بصفة خاصة هما أكثر بلاد القارة اهتماما بالمسرح فى النصف الأول من القرن العشرين ، وهذا نتيجة طبيعية لكون هذين البلدين أكبر جمهوريات أمريكا الناطقةبالاسبانية وأغناها وأكثرها أخذاً بكل جديد من أساليب الحضارة والثقافة .

ومع ذلك فقد كانت لجميع بلاد القارة مشاركة جدية فعالة فى هذا النشـــاط المسرحي الهائل الذى نلاحظه فى الفترة المعاصرة والذى لا تتساوق فيـــه الجودة مع الكثرة . على أن هناك من بين المؤلفين المسرحيين الذين ظهروا فى النصف الأول من القرن العشرين شخصيات جديرة بالتنويه ، لعل أكبرها « ارنستو ايريرا Ernesto Herrera » (من اورجواى : ١٨٨٦ — ١٩١٧) . وهو مؤلف واصل الاتجاه الذى كان قد بدأه من قبل مواطنه فلورنثوساتشث ، ولكنه مثل صاحبه توفى كذلك فى غضاضة الشباب قبل أن تؤتى مواهبه المسرحية من الثمرات ما كان ينتظر أن تؤتي . وهو ينتمي الى المدرسة الطبيعية فى الأدب ، وكانت هي الغالبة فى أوربا وأمريكا منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ولعل من أهم آثاره المسرحية رواية **الأسد الأعمى** El leon Ciego (سنة ١٩١١) ، وقد مثل فيها المؤلف تمثيلا مفرطا فى واقعيته حياة أحد الزعماء العسكريين الذين كانوا يخوضون الحرب الأهلية الناشبة فى أورجواى فى أواخر القرن الماضي ، وما انتهى اليه ذلك القائد الفوضوى من فشل بعد أن اصابته الشيخوخة والعمى ، وهجره كل أنصاره القدماء ، وكان هدف المؤلف من هذه المسرحية أن يصور مدى البلاء الذى يصيب الشعب من هؤلاء المتزعمين الاقطاعيين الذين اغرقوا البلاد فى بحر من الفوضى والدماء .

ونذكر من بين كبار المؤلفين فى هذه الفترة الأديب الكـوبي « خوسيه أنتونيو راموس José Antonio Ramos » (١٨٨٥ — ١٩٤٦) ، وهو مؤلف عقلي كان يوجه جل اهتمامه فى مسرحه الى

الفكرة لا الى الحركة المسرحية ، وهو يعتبر مصلحا سياسيا اجتماعيا، حاول أن يودع فى انتاجــه الأدبي خلاصة آرائــه فى عيوب النظام الاجتماعي فى امريكا اللاتينية وفى بلده كوبا بوجه خاص . فنحـن نرى فى مسرحياته تفنيدا جدليا لايخلو من المهارة فى اجراء الحوار للأفكار الخاطئة المتوارثة : حول حقوق المراة ، وعقيدة الشعب البسيط الساذج فى الخرافات والسحر ، والفســاد السياسي ، وعيوب المجتمع من جبن ونفاق وجهل ... الى غير ذلك من عوامل الانحلال التى كانت تنخر كيان بلاده . ومن أجود ماكتبه هذا المؤلف روايته رعشة Tembladera (سنة ١٩١٧) حيث عالج مشكلة كوبية أصيلة عميقة الجذور : هى بيع الاقطاعيين مصانع السكر للأجانب ثم انفاقهم ما يحصلون عليه من مال على مباذلهم ولذاتهم دون أن يدركوا أنهم بذلك يحفرون قبورهم بأيديهم ، ويسلمون قيادة وطنهم الى حفنة من المستغلين الاجانب . صور لنا راموس فى هذا العمل الادبي حياة أسره كوبية تعيش فى احد قصور العاصمة دون أن تعنى بأرضها المنتجة لقصب السكر ولا بالمصنع الذى تملكه هناك، بل انها لا تتردد فى بيع ما تملك لأجنبى من أولئك الذين يفدون الى البلاد طمعا فى الاستيلاء على مواردها والذين يمثلون صورة جديدة من صور القرصنة الاقتصادية . ولا يزال هذا التهاون من جانب تلك الاسرة الكوبية التي لم يعد هناك ما يربطها بأرضها والتي فقدت كل شعور بالتبعة حتى ينتهي بها قصر النظر والكسل والتفريط الى كارثة مالية يروح ضحيتها جميع أفراد الاسرة .

٤ ـ المسرح المعاصر فى الأرجنتين

أما المؤلفون المسرحيون المعاصرون فى امريكا اللاتينية فلعل اهمهم أولئك الذين يعيشون الآن فى المكسيك والارجنتين . وفى طليعة هؤلاء الذين لا يزالون أحياء حتى اليوم نذكر الارجنتيني « صمويل ايتشلباوم Samuel Eichelbaum » الذى ولد سنة ١٨٩٤ والذى يمثل مرحلة من أهم مراحل حياة المسرح الارجنتيني والامريكي

الاسباني بوجه عام . واتجاهه فى المسرح واقعي ، ولكنه يضيف الى ذلــك مقدرة عظيمة على التحليل النفســي العميق للشخصيات والاحداث ، ويبدو فى هذا المؤلف تأثره بالكتاب الروس والاوروبيين من أمثال تشخيوف ودستويفسكي وآبسن وسترندبرج . ونحن نرى أن واقعيته ليست مما ألف فى غيره من الكتاب ، فهي ليست مجرد نقل قطعة من الحياة الى خشبة المسرح ، وانما هي تعمد الى ان ترينا كيف تتنبه شخصيات مسرحياته فجأة الى موقف درامى ساقتهم اليه الاحداث دون أن يشعروا . وحينئذ نرى ان أهم ما يعرضه لنا مسرح اتيشلباوم هو الصور التي يرى بها شخصيات مسرحه بعضهم البعض . والميدان الذى يفضله فى مسرحياته هو الحياة العائلية ومشكلاتها وأزماتها ، ولعل أروع مناظر هذه المسرحيات هي التي يجرى فيها الحوار بين شخصيتين ، عارضا لنا من خلاله حقيقــة نفسيهما الواعية والباطنــة معا . ومــن أهم مسرحياته **طائر من الفخار** Pajaro de barro (سنة ١٩٤٠) التــي صور لنا فيها أزمة ضمير مترتبة على ابن غير شرعي أنجبه مثال غنى من فتاة قروية فقيرة ، ثم **بلطجي – ١٩٠٠** Un guapo del 1900 (سنة ١٩٤٠) ، وهي مسرحية يطلعنا فيها على بعض

صور الفساد السياسي والخلقي فى مجتمع العاصمة متخذا ذريعته من حياة زعيم سياسي تخونه زوجته مع زعيم منافس له ، فيغضب لشرفه « بلطجي » ، من أتباعه تصل به غيرته على عرض سيده الى قتل غريمته الذى لطخ كرامته . ومن مسرحيات اتيشلباوم المشهورة **جمرتان** Dos brasas (سنة ١٩٥٥) ، وهي تدور فى جو أمريكى شمالي ، اذ تجرى احداثهــا فى نيويورك ، وبطلاهــا « الجمرتان » هما زوج وزوجته بخيلان يضحيان بحياتهما فى سبيل جمع المال واكتنازه حتى تنتهي الازمة النفسية التي تتملك الزوج العجوز بعد ان رأى حياته تضيع فى سبيل لاشيء الى ان يخنق زوجته . المسرحية تحليل سيكولوجي دقيق لمشكلة المادية المسعورة التي تسيطر على المجتمعات الامريكية المعاصرة والتي تتمثل فى اعتبار المال فى حد ذاته غاية لا هدفا فى سبيل حياة أرغد وأسعد .

والمؤلف الارجنتينى الثانى الذى يمكن ان يعتبر مع ايتشلباوم من خير من يمثلون النهضة المسرحية المعاصرة فى هذه البلاد هو « كونرادو ناليه روكسلو Conrado Nelé Roxlo»(ولد سنة ١٨٩٨)الذى اشتهر ــ فضلا عن نشاطه المسرحى ــ بكونه شاعرا عاطفيا رقيقا تشيع فى قصائده مسحة من السخرية ، وهو على كل حال لم يتخلص فى مسرحه من هذا الطابع الشاعرى ولا من تلك النزعة الساخرة . ومن اعظم آثاره المسرحية نجاحا مسرحية **ذيل حورية البحر** La Cola de la sirena (سنة ١٩٤١) ، وهى مسرحية عرف المؤلف كيف يزاوج فيها بين الحقيقة والخيال ، اذ هى تدور حول حورية من حوريات البحر تعشق رجلا يبادلها الحب، ويبلغ بها غرامها بالرجل الى أن تقدم على قبول اجراء عملية جراحية لها تتحول بعدها الى امراة طبيعية عادية ، وذلك حتى تستطيع الزواج من الرجل الذى احبها واحبته ، ولكن الرجل لا يلبث أن يملها ويهجرها وينصرف الى حب فتاة أخرى تهوى الطيران ، اذ انه اصبح يرى فيها طائرا عجيبا ، وتشعر الجا ــ وهذا هو اسم الحورية الهاربة ــ بانها فقدت المعركة ، وذلك حينما ترى أن الذى كان يستهوى حبيبها فيها لم يكن جانبها البشرى ، بل الجانب السحرى العجيب ، وحينئذ تعود الحورية التى انقلبت امراة ــ وهى حزينة كاسفة البال ــ الى بحرها ، حيث تتلقى العقاب الذى ينتظرها على أيدى أهلها . والذى هدف اليه المؤلف من مسرحيته هو بيان استحالة الحب الحقيقى فى هذا العالم ، فالرجل هنا لا يعشق امرأة ، ولكنه يعشق حلما عجيبا ، فاذا انقلب حلمه الى حقيقة فانه لا يلبث ان يزهد فيها وينصرف عنها . ويبدو ان خيال روكسلو الشعرى هو الذى دفعه الى معالجة مواضيع من هذا النوع الذى عرضناه فى السطور الماضية . ترى مثلا آخر لذلك فى مسرحيته **حلف كريستينا** El pacto de Cristina والحلف الذى يعنيه المؤلف هنا هو الذى عقدته « كريستينا » مع الشيطان من

اجل الظفر بحب فارس من فرسان الحروب الصليبية ـ فالمسرحية تدور احداثها فى العصور الوسطى ـ ، ويفى الشيطان بوعده ، وتتزوج الفتاة من حبيبها ، ولكنها تفاجأ بالشيطان فى ليلة زفافها يطالبها بالثمن ، ولم يكن الثمن الا انتزاع أول ابن تحمل به ، حينئذ ترى الا مخرج لها من هذا المأزق الا بالانتحار ، فتقتل نفسها وهي بعد عذراء لم يمسسها زوجها .

ونشير فى النهاية الى مؤلف أرجنتينى ينتمى الى الجيل الجديد من المؤلفين الطليعيين هو « عمر دل كارلو Omar del Carlo (ولد سنة ١٩١٨) ، وهو كاتب استوحى كثيرا من مسرحياته من التاريخ القديم أو من الاساطير الميثولوجية الاغريقية ، وان كان ألبس شخصياته ثيابا حديثة ، وادار احداث مسرحياته فى مجتمع بلاده المعاصرة . ونذكر من اشهر انتاجه مسرحية **الكترا .. فى الفجر** « Electra ... al amanecer » وعنوانها يكفى لتبين ما قصد اليه المؤلف . ثم **بروسربينا والغريب** Proserpina y el extranjero وهى مسرحية استلهم فيها الأسطورة الاغريقية المعروفة التى تذكر ان بلوتوس اله الجحيم اختطف بروسربينا ابنة الهة الزراعة والحقول سيريز وحملها معه الى جحيمه ، وتولى الحزن أمها فاشتكت الى جوبيتر كبير الآلهة . واصدر هذا حكمة بأن تقسم الفتاة السنة شطرين : فتظل نصفها مع بلوتوس فى الجحيم ، وتعود بعد ذلك الى الأرض لكى تقضي النصف الآخر مع أمها . أما مسرحية « عمر دل كارلو » فانها تدور فى جو معاصر : فالجحيم هو بونيوس أيرس واحياؤها القذرة التى تلطخها المفاسد الاجتماعية والخلقية من جريمة وبغاء ، وأما بروسربينا فهى ريفية ساذجة تقع ضحية للمجرمين المتجرين فى الاعراض . ولكنها فتاة طيبة أشبه ما تكون بحجر كريم قذف به فى غمار الوحل المنتن ... ويمضى المؤلف هكذا فى تصوير حياة الرذيلة التى تبتلع فى جوفها اناسا طيبين شرفاء كما حمل

بلوتوس بطلة الأسطورة لكي تبتلعها ظلمات الجحيم ... كل ذلك في تصوير واقعي عنيف يشير في صراحة خشنة الى مواطن الداء في بعض مجتمعات أمريكا اللاتينية المعاصرة .

٥ ــ المسرح المعاصر في المكسيك

وننتقل الى المركز الثقافى الآخر الذى يتزعم النشاط الفكرى والفنى فى أمريكا الناطقة بالاسبانية ، وهو المكسيك ، حيث لقى المسرح سائر ألوان الفكر من نهضة عظيمة منذ أيام الثورة المكسيكية التى نشبت فى البلاد منذ أوائل القرن العشرين .

وربما كان من خير من يمثل لنا هذه النهضة المسرحية المكسيكية«رودولفو اوسيجلى Rodolfo Usigli »(ولد سنة ١٩٠٥) ولعله اخصب الكتاب المسرحيين فى المكسيك انتاجا واكثرهم مقدرة ومهارة وخبرة بالعمل المسرحي . ومسرحياته على جانب كبير من التنوع ، عالج فيها كل الألوان المسرحية : نجد فيها الملهاة الاجتماعية ذات الطابع الساخر الحافل بالنقد لعادات مجتمعه وتقاليده ، والمأساة التاريخية ، أو التى تقوم على التحليل السيكولوجي العميق ، والمسرحية ذات الهدف السياسى التى أفرغ فيها كل آرائه حول تلك الحياة السياسية المضطربة التى خاضتها المكسيك منذ ثورة سنة ١٩١٠ وخلال ربع القرن التالي لهذه السنة . ومن اشهر مسرحيات أوسيجلى التى ترجمت الى كثير من اللغات الأجنبية مسرحية المهرج El gesticulador (سنة ١٩٣٧) ، وهى مسرحية لاتخلو من تأثير للكاتب الايطالى المشهور بيرانديللو ، وخلاصتها أن ثيسر روبيو Cesar Rubio أستاذ التاريخ فى أحد المعاهد ينتحل شخصية القائد العسكرى المشهور الذى يحمل نفس هذا الاسم والذى كان من كبار قادة الثورة المكسيكية حتى قتل فى ظروف

غامضة قبل ذلك بسنوات . والواقع ان أستاذ التاريخ المحتال لم يضع هذه الأسطورة الا من أجل بلوغ المال والشهرة مستغلا ذلك التشابه في الاسم . ولكن هذا « النصاب » لا يلبث ــ بعد دراسته لحياة القائد المكسيكي الثوري وتمثله لها حتى يحسن حبك خدعته ــ أن يتشبع بآراء الثائر الوطني ، ويتحول شيئا فشيئا الى أن يصبح مؤمنا حقا بمبادئه مخلصا لها اخلاصا لازيف فيه . وتمضي أحداث المسرحية ، ونرى كيف ينقلب الدجال الى زعيم وطني مكافح في سبيل مثله ومبادئه ، حتى تنتهي المسرحية نهاية طريفة تعتبر من مفارقات القدر الساخرة ، اذ ان ثيسر روبيو الزائف يلقى أخيرا مصرعه على يد نفس الخصم السياسي الذى قتل الزعيم الثورى ــ ثيسر روبيو الحقيقي ــ منذ سنوات مضت . وقد أدار أوسيجلي أحداث المسرحية وحوارها على نحو من المهارة لايضطلع به الا المسرحي القدير على الغوص الى بواطن النفوس ، فأخرج لنا مسرحية مليئة بالمفاجآت التي تبهر نفس المتفرج أو القارىء ، حتى تجعله مشدودا الى خيوطها منذ بداية الفصل الأول حتى ستار الختام . واتخذ المؤلف من هذا الموضوع الطريف الجديد ذريعة يوجه فيها نقده اللاذع الى السياسة المكسيكية والى ما اضر بثورة البلاد الوطنية المخلصة من مطامع الانتهازيين والوصوليين ، ومن طرق العنف الدموى التى أساءت الى مبادىء تلك الثورة النبيلة .

ومن أعلام النهضة المسرحية المكسيكية في الوقت الحاضر مؤلف آخر يعد في طليعة كتاب المسرح في امريكا اللاتينية اليوم ، وهو « ثيلستينو جوروستيثا Celestino Gorostiza » (ولد سنة ١٩٠٤) ، ويعتبر من رواد ما يمكن أن نسميه بمسرح المجتمع المكسيكي ، وهو في الحقيقة صورة صادقة لسائر مجتمعات امريكا اللاتينية ، اذ أن مؤلفنا لم يدع ظاهرة من ظواهر مجتمع بلاده الا تناولها بالدراسة والتحليل والتقليب على مختلف وجوهها . هو مؤلف مفكر عميق النظرة دقيق الملاحظة كثير التأمل ، ومسرحه لذلك هادىء رزين يحاول الغوص على بواطن الأمور والكشف عن حقائقها في روية الفيلسوف وتثبت الدارس . ومن اشهر رواياته مسرحية **لون بشرتنا** El color de nuestra piel (سنة

١٩٥٢) ، وفيها يعرض لنا مشكلة حية متجددة في جميع المجتمعات الأمريكية المعاصرة ، هي مشكلة اختلاف الالوان والاجناس وما تولده من حزازات عنصرية تصدع شمل المجتمع وتفرق صفوفه . ومن المعروف أن معظم بلاد امريكا اللاتينية تقوم فيها الآن مجتمعات يمكن أن نطلق عليها لفظ « فسيفسائية » (١) ، أى مركبة من أجناس مختلطة : منها الأبيض الأوربي ، والأحمر الهندى ، والأسود الزنجى ، ثم العناصر الأخرى المتولدة عن تشابك هذه الأجناس وتزاوجها : المخلطون الناتجون عن أبيض وهندية (المستيثوس Mestizos) ، والمولدون الناتجون عن ابيض وسوداء (المولاتوس Mulatos) ، والهجناء الناتجون عن هندى وسوداء (الثامبوس Zambos) ، واخيرا الأخلاط الكثيرة المتولدة عن تزاوج كل هذه السلالات الجديدة . وهذه ظاهرة نلاحظها بصفة خاصة فى المكسيك وبلاد أمريكا الوسطى وجزر بحر الكاريبى وكثير من بلاد امريكا الجنوبية مثل البرازيل وفنزويلا وكولومبيا واكوادور وبيرو وبوليفيا . وقد عمل جورستيثا فى مسرحيته التي أشرنا اليها على تقديم تحليله للمجتمع المكسيكى على ضوء هذه الظاهرة التى تمثل احدى المشكلات الحساسة فى أمريكا اللاتينية : فالبشرة السمراء لدى المكسيكيين تولد فيهم شعورا بمركب النقص وبانعدام الثقة في انفسهم . وهناك من أهل المكسيك من يحسون احساسا كامنا غير واع باحتقار أنفسهم لما يجرى فى عروقهم من دماء هندية أو سوداء ، وهم من ثم ينساقون الى شعور من الاعجاب الغبى المتخاذل بجارهم الخالص البياض (المتمثل في شعب الولايات المتحدة) ،

---

(١) اخترنا هذا التعبير تشبيها لتلك المجتمعات بما يعرف فى الفن المعمارى باسم « الفسيفساء » (بالفرنسية mosaiqur) وهى القطع الخزفية المختلفة الألوان التى تجمع فى لوحة واحدة لتزيين الجدران والأرضيات فى العمارة ، وهو فن شرقى قديم انتقل الى الاغريق والرومان وبرع الفنانون العرب والمسلمون فى صنعتة سواء فى المشرق أو المغرب او الاندلس .

وكثيرا ما يقودهم هذا الشعور الى التفريط في حقوقهم والاستهانة بمقدساتهم والتقليد الأعمى لكلّ ما يفد عليهم من ذلك الجانب .

ولا تقف النهضة المسرحية في المكسيك عند هذا الجيل الذى يمكن أن يدعى « جيل الثورة المكسيكية » الذى رأينا من ثمراته هذين المؤلفين الكبيرين ، بل تشهد هذه البلاد نهضة كبيرة بعد أن اتيح لها نصيب من الاستقرار السياسي والاقتصادى منذ سنة ١٩٣٤ حينما ولى رياسة الجمهورية السياسى المصلح العظيم لاثازو كارديناس Làzaro Càrdenas ، اذ سرعان ما أصبحت المكسيك في ظل هذا الرئيس العظيم وخلفائه تحتل مكانا طليعيا في أمريكا اللاتينية باعتبارها من أولى البلاد التقدمية المتحررة . وانعكس ذلك على الحياة الثقافية والادبية ، فأصبحنا نرى جيلا جديدا من الادباء والفنانين يسايرون هذا التطور السريع في مختلف ميادين الحياة . أما المسرح فليس من اليسير ان نتحدث عن العدد الكبير من المؤلفين المجيدين الذين يحتلون مكان الصدارة في بلادهم وفي القارة الامريكية الاسبانية كلها . ويكفى ان نشير هنا الى مؤلفة شابة هي « لويسا خوسيفينا ايرنانديث Luisa Josefina Hernandez » (ولدت سنة ١٩٢٨) ، وهي تعتبر من بين من أجروا دماء جديدة في المسرح المكسيكى ، بما أتت به من مفهوم حديث للعمل المسرحى تلتئم فيه النزعة الشاعرية السحرية بالسخرية اللاذعة والاتجاه الرمزى .

ومن افضل رواياتها مسرحية **الصم البكم** Los sordcmudos (سنة ١٩٥٣) ، واحداثها تجرى في قلب أسرة مكسيكية متوسطة تعيش في احدى المدن الصغيرة . وعلى الرغم من هذا العنوان فاننا لا نرى فى المسرحية الا شخصية واحدة صماء بكماء هي الخادمة ، غير أن ما قصدت اليه الكاتبة انما هو تصوير لون من الصمم الأبكم الخلقى لا العضوى يسود حياة هذه الأسرة المتنافرة التى لا يكاد فرد منها يفهم الآخر . المسرحية صورة لحياة عائلية فى مجتمع تفككت فيه الروابط بين أعضاء الاسرة الواحدة بحكم المادية والأنانية فلم يعد أحد يهتم الا بنفسه ، واصبح الحقد والحسد واستحالة التعايش هي القواعد الغالبة على حياة هذا البيت ، وتنتهي المسرحية

بتفرق شمل الاسرة وتصدع أركانها ، ولا يبقى فيه الا الخادمة الصماء البكماء والأب ، وهو بدوره لا يقل فى أنانيته وانحلاله عن تلك الخادمة صمما ولا بكما .

* * *

وربما كان من العدل ان نختم هذا الحديث عن المسرح الأمريكى الاسباني باشارة الى مؤلف اسباني الأصل ، ولكنه عاش فى أمريكا وبالذات فى أورجواى والأرجنتين ــ أكثر من ربع قرن ، وبلغ خلال هذه السنوات أقصى ما استطاع مؤلف مسرحى أن يبلغه من النجاح والشهرة والعالمية. ونعني به «اليخاندور كاسونا Alejandro Casona » (١٩٠٢ ــ ١٩٦٥) الذى التقت فيه ثقافة اسبانيا وتقاليدها المسرحية بثقافة بناتها الأمريكيات . على أننا لن نتحدث عن كاسونا فى هذا المقام ، فقد سبق أن أفضنا فى الحديث عنه بمناسبة تقديمنا لاحدى مسرحياته : **مركب بلا صياد** (١) .

واذا كنا قد أطلنا الكلام عن المسرح الامريكى الاسبانى المعاصر فاننا لم نر من ذلك مناصا ، تعريفا بهذا المسرح المجهول فى بلادنا وبين قرائنا حتى نعين القارىء على الاحاطة ببعض تيارات النشاط المسرحي فى هذه القارة الفتية ، تمهيداً لفهم هذا الأثر الذى نقدمه نموذجاً من نماذج أدبها المسرحى لاول مرة بالنسبة لقراء العربية .

على انه لما كان مؤلف هذه الرواية من بلد صغير لا يكاد يعرف من بلاد أمريكا الوسطى هو جواتيمالا ، فاننا نرى أنه ينبغي أن نعرض للقارىء شيئا عن هذا البلد وعن الحركة المسرحية فيه ، حتى نتمكن من وضع مؤلف روايتنا فى موضعه الصحيح من أدب بلاده وأدب أمريكا اللاتينية بوجه عام .

---

(١) العدد رقم ١٣ من سلسلة « مسرحيات عالمية » التى كانت تصدرها وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة باشراف الدكتور محمد اسماعيل الموافي ــ ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٥ .

٦ ـ جواتيمالا : عرض تاريخي معاصر

جواتيمالا هى احدى جمهوريات أمريكا الوسطى الست (والخمس الباقية هى : هندوراس ، والسلفادور ، ونيكاراجوا ، وكوستاريكا وبنما) ، وهي تتاخم المكسيك من الشمال والغرب ، ومن الشرق هندوراس وهندوراس البريطانية المعروفة باسم « بيليسى »والبحر الكاريبي والسلفادور ، ومن الجنوب المحيط الهادى . وتبلغ مساحة جواتيمالا نحو ١٠٩٠٠٠ كيلو متر . وأما عدد السكان فيقدر بنحو أربعة ملايين ونصف .

وكانت جواتيمالا فى العصور القديمة مهداً الحضارة من أعرق الحضارات الهندية السابقة على الفتح الاسباني ، هي حضارة الشعب المعروف باسم « المایاس Mayas » وكانت على درجة عالية من التقدم فى العلوم والفنون والصناعات حتى ان احد دارسيها وهو الأمريكى سيلفانوس مورلى Silvanus Morley يطلق على شعب المایاس لقب « أرقى شعوب العصور القديمة » . وكان فتح جواتيمالا على أيدى الاسبان فى سنة ١٥٢٣ حينما توجه اليها القائد بدرو دى البارادو Pedro de Alvarado أحد ضباط فاتح المكسيك المشهور ايرنانديث كورثيس Hernandez Cortés . وفى سنة ١٥٤٩ أصبحت مدينة جواتيمالا عاصمة لحكومة مقاطعات أمريكا الوسطى التابعة لنائب الملك فى المكسيك . وتعرضت البلاد خلال بقية القرن السادس عشر للغارات المتكررة التى كان يشنها على سواحلها القراصنة الانجليز والهولنديون . وفى سنة ١٨٢١ نالتجواتيمالا استقلالها عن اسبانيا ضمن بلاد أمريكا الوسطى بلا قتال ، ثم أعلنت حكومة المكسيك ضمها اليها ، غير أنها عادت الى الانفصال عن الامبراطورية

المكسيكية سنة ١٨٢٣ ، وقام نفر من الوطنيين فى مختلف بلادأمريكا الوسطى بدعوة الى اتحاد جمهورياتها الصغيرة الخمس (فقد كانت بنما حنذاك لا تزال جزءا من كولومبيا) ، وأنشىء هذا الاتحاد فعلا ، ولكن المصالح الاقطاعية وأنانيات الساسة لم تلبث أن حطمته فى سنة ١٨٣٩ ،ولم تفلح الدعوات المتكررة لاعادة اتحاد أمريكا الوسطى فى محاولتها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .

ولم يعد الاستقلال على جواتيمالا بما كان ينتظر من رخاء أو تقدم ، اذ ظلت الأوضاع الاجتماعية الموروثة عن الاستعمار الاسبانى كما هي ، فقد بقيت هذه البلاد التي تعتمد على الزراعة خاضعة لأبشع صور الاقطاع . وتعاقبت على حكمها منذ الاستقلال أسر كانت تسيطر على الجزء الأكبر من الأرض الزراعية . ومن الواضح ان مثل هذا الحكم لم يكن يعنيه تقدم الشعب ولا اصلاح شئونه ، بل كان همه الاستئثار بالثروة والسلطة على أى نحو وبأى ثمن .

ولكن كفاح الشعب الجوايتمالي لم يكف أثناء ذلك على الرغم من قوة الاقطاعيين وشدة بطشهم ، وتكلل هذا الكفاح أخيراً فى سنة ١٨٧١ بانتصار نظام حزب الأحرار الذى كان يتزعمه خوستو روفينو باريوس Justo Rufino Barrios . وكان هذا النظام يعتمد أساسا على الطبقة الوسطى التى كانت لاتزال بعد فى المهد ، وقد اضطلع روفينو باريوس باصلاحات عديدة سياسية واجتماعية أعانت على دفع الشعب الجوايتمالي خطوات فى طريق التقدم ، وان لم يكن من الممكن الاضطلاع باصلاحات جذرية ، بسبب ضعف اقتصاد البلاد وسيطرة الطبقة الاقطاعية على مواردها وارتفاع نسبة الأمية والجهل .

غير ان البلاد لم تلبث فى نهاية القرن التاسع عشر أن تعرضت انكسة شديدة : فقد وافقت هذه الفترة اشتداد شوكة الرجعية الجواتيمالية وتسرب رؤوس الأموال الاجنبية الى البلاد فارضة

عليها سيطرة اقتصادية ظلت تتدرج فى القوة حتى أصبحت تقبض على كل موارد البلاد ، وكانت أكبر هذه الشركات الاجنبية وافظعها تسلطا « شركة الفواكة المتحدة United Fruit Company » التي اصطلح الناس هناك على ان يسموها فى سخرية مرة : « الأم يوناى Mama Unay » !..

واتفقت هذه النكسة مع وثوب شخصية من أبشع ما عرفته القارة الأمريكية من نماذج الحكم الفردى الدكتاتورى الى السلطة فى جواتيمالا ، وتعنى به مانويل استرادا كابريرا Manuel Estrada Cabrera الذى فرض على البلاد حكما ارهابيا مطلقا ما بين سنتى ١٨٩٨ و ١٩٢٠ . وقد رسم لنا كاتب جواتيمالا الكبير ــ الحائز على جائزة نوبل فى الأدب لسنة ١٩٦٧ ــ « ميجيل آنخل استورياس » صورة حيه لهذا الدكتاتور ولأمثاله من الطغاة فى روايته الخالدة **السيد الرئيس** .

وفى سنة ١٩٢٠ يبلغ التذمر بالشعب الجواتيمالى الى حد الانفجار ، وتندلع الثورة ، ويسقط الدكتاتور الرهيب ، ويتاح للشعب قدر من الحرية ، ولكن الاقطاع والرجعية لايلبثان أن ينظما صفوفهما من جديد ، وتقع البلاد بعد عشر سنوات من الحرية النسبية تحت نير دكتاتورية جديدة فى ظل خورخى أوبيكو Jorge Ubico فيما بين سنتى ١٩٣١ و ١٩٤٤ .

ومرة أخرى يثور الشعب ويحطم النظام المستبد الفاسد ، ويقذف بالدكتاتور الدموى الذى كان يحكم البلاد كما لو كانت ضيعة من خاص أملاكه ، وتتشكل حكومة شعبية ، وتجرى الانتخابات ، ويختار الشعب لرياسة جمهوريته زعيما وطنيا هو خوان خوسية أريفالو Juan José Arévalo .

وتدخل جواتيمالا منذ استقرار حكم الرئيس أريفالو حتى نهاية رياسته (بين سنتي ١٩٤٥ و ١٩٥١) فى عهد جديد من الاصلاح

الاجتماعي والاقتصادى والحرية السياسية . فتصدر طائفة من القوانين لحماية ثروة البلاد الزراعية ولاحكام اشراف الدولة على الصناعات الوطنية ومن بينها صناعة قصب السكر واستغلال البترول والموارد المعدنية ، وتشهد البلاد نهضة عظيمة فى مختلف ميادين الحياة ، وان لم تسلم من ضغط الشركات الاجنبية الاحتكارية التى رات فى ذلك النظام خطراً يتهدد مصالحها .

وفى سنة ١٩٥١ أجريت الانتخابات لمنصب رياسة الجمهورية، ففاز به الكولونيل خاكوبو آربنث قزمان Jacobo Arbenz Guzman

احد قواد الحركة الوطنية التى اطاحت بنظام الدكتاتور خورخى أوبيكو من قبل ووزير الدفاع فى حكومة الرئيس أريفالو . وكان انتخاب الشعب لآربنث تعبيراً عن رغبته فى سياسة جريئة تواجه الفساد بمزيد من العزم والصلابة . واستجابت الحكومة الجديدة لارادة الشعب فبدأت برنامجا طموحا للاصلاح والتطهير ، وتخليص الاقتصاد الوطني من سيطرة الشركات الأجنبية الاحتكارية .

وبدات المؤامرات والدسائس فى الداخل والخارج ضد هذا النظام الوطني ، ونسجت خطة لاسقاط حكومة خاكوبو آربنث تقوم على تجنيد طوائف من المرتزقة يجرى اعدادهم وتدريبهم فى البلاد المجاورة ثم يقومون بغزو جواتيمالا من الخارج مصورين ذلك الغزو على انه ثورة داخلية ضد النظام الحاكم . وكان قائد هؤلاء المرتزقة ضابطا يدعى الكولونيل كارلوس كاستليو أرماس Carlos Castillo Armas . وفى سنة ١٩٥٤ نفذت خطة الغزو ، واضطر آربنث الى اعتزال الحكم ومغادرة البلاد ، وخلفه على الحكم قائد الانقلاب كاستليو أرماس ، غير أنه لم يتمتع كثيرا بثمرات مؤامرته ، ففى سنة ١٩٥٧ وبينما هو يستعد لتكرار مهزلة الانتخابات لكي يجدد مدة رياسته اذا بوزير حربيته انريكى بيرالتا أثورديا Enrique Peralta Azurdia يدبر له انقلابا

عسكريا يطيح به ، ويسقط آرماس صريعا على يد بعض أعوانــه ، ويفرض الدكتاتور الجديد حكما ارهابيا آخر على البلاد .

وربما بدا هذا الحديث الذى اضطررنا الى الاطالة فيه عــن التاريخ السياسي المعاصر لجواتيمالا غير داخل فى موضوع هــذا التمهيد لعمل مسرحى أدبى ، غير أنه لم يكن مفر من ذلك لسببين :

أولهما ان « مانويل جاليتش » مؤلف هذه المسرحية ليس أديبا يعيش على هامش حياة بلاده ، بل كان من زعمائها السياســيين البارزين كما سنرى عند الترجمة لحياته ، فقد كان وزيراً للتربيــة والثقافة فى ظل حكومة الرئيس خوان خوسيه أريفالو (بين سنتى ١٩٤٥ ، ١٩٥١) ، واليه يعود جانب كبير من الفضل فى النهضــة الثقافية والفنية الكبيرة التى شهدتها بلاده فى ظل هذا النظام الوطنى، ثم ولى وزارة الخارجية فى حكومة الرئيس خاكوبو آربنث التي استمرت حتى اطاح بها الانقلاب العسكرى الرجعي . ونحن نرى من ذلك أنه كان من أقطاب النظام الثورى السابق وقادته المفكريــن العاملين ، وهذا هو ما يجعل ايضاح الظروف المحيطة بالســنوات الأخيرة من تاريخ جواتيمالا ضروريا لفهم هذا المؤلف واتجاهه الأدبي .

والسبب الثاني هو أن المسرحية التى نقدمها ذات مغــزى سياسي واجتماعي لا يغيب عن تفكير القارىء . واذا كان جاليتش قد ألبس شخصياتها ثياب الرومان وجعل أحداثها تدور فى القرن الميلادى الأول فاننا نرى فيها صورة واضحة للبلاء الذى يصيب الشعوب من سـياسات الدول الإسـتعمارية ونظم الدكتاتوريات العسكرية التى تسيرها مصالح تجار الحروب مــن وراء ســتار . فالمؤلف انما يستخدم الرموز الرومانية لكى يرسم لنا صورة كأنمــا استوحاها من حياة بلاده جواتيمالا خلال السنوات الأخيرة ، وهى لاتختلف كثيراً عن أمثالها من البلاد الصغــيرة التي ابتليت بنظــم عسكرية دكتاتورية لا هم لها الا الاثراء على حساب الشعوب متحالفة مع المصالح الاحتكارية للشركات الأجنبية .

٧ ـ النهضة المسرحية فى جواتيمالا

ولابد قبل أن نتحدث عن مانويل جاليتش ومكانه من المسرح الأمريكي المعاصر أن نقدم عرضا سريعا للنشاط المسرحي فى هـذا البلد الصغير من بلاد أمريكا اللاتينية .

وقد اسلفنا الاشارة الى ان الشعوب الهندية التى كانت تعيش فى أمريكا اللاتينية قبل الفتح الاسبانى عرفت المسرح فيما عرفت من الفنون . ولكن الأثر المسرحي الوحيد الذى حفظه لنا التاريخ حتى اليوم من ذلك الانتاج المسرحي الهندى انما هو مسرحية الفت وكانت تمثل خـــلال قرون عديدة فى جواتيمالا بالذات . وهذه المسرحية هي المعروفة باسم **رابينال اتشى** Rabinal Achi (أو الزعيم رابينال) .

وكان الكشف عن هذه المسرحيـــة فى سنة ١٩٥٦ بمحـــض الصدفة ، ويرجع الفضل فيه الى الراهب الفرنسى شارل براسير دى بوربورج Charles Brasseur de Bourbourg الذى كان كبير أساقفة جواتيمالا قد أوفده الى مدينة ســان بابلو دى رابينال فى مقاطعة فيراباث Verapaz لكي يقوم بواجباته الدينية هناك ، وبلغ الراهب الفرنسي أن هناك مسرحية دأب الناس هناك على تمثيلها بصفة مستمرة منذ ثلاثة قرون ، ولكنهم انقطعوا عن ذلك منذ استقلال جواتيمالا عن اسبانيا . وأولى الأب براسير الأمر اهتماما كبيراً ، وأخذ فى التنقيب عن شخص يعرف نص هذه المسرحية حتى هدته أبحاثه الى هندى عجوز يدعى بارتولو ثيث Bartolo Ziz

كان يحفظ هذا النص من الذاكرة ، وعكف الراهب الفرنســى على تسجيل ماكان يمليه عليه الهندى العجوز بلغته الاصلية : لغة

الكيتشيه Quiché ،ثم قام بترجمة هذا النص الى الفرنسية البحاثة جورج رينو Georges Reynaud مدير معهد الأديان الهندية القديمة فى جامعة باريس . وفى سنة ١٩٢٨ نشر الكاتب الجواتيمالى الويس كاردوثا أراجون Luis Cardcza Aragon ترجمة اسبانية للنص الفرنسي .

وتتألف المسرحية من اربعة فصول ، وهي ذات طابع ملحمي ، اذ هى تروى لناقصة الانتصار الذى أحرزه الزعيم رابينال على زعيم قبيلة الكيتشيه ، واستسلام هذا لغريمه وقبوله لحكم الاعدام الذى قضى كهنة الغالب بتوقيعه على المغلوب . وتتخلل المسرحية كثير من الرقصات الدينية والحربية،كما تظهر على المسرح شخصيات خرافية ترتدى أقنعة تمثل الفهود والنسور ، تماما كما نرى فى مبادىء المسرح القديم المصرى والاغريقي .

وكان من المعتقد ان الكشف عن هذه المسرحية الهندية الأمريكية القديمة سيؤدى الى العثور على نصوص أخرى مشابهة ، ولكن ذلك لم يحدث ، وبقيت مسرحية **رابينال اتشى** هي البقية الوحيدة الباقية من ذلك المسرح المندثر .

على أنه قد عرف الآن ان هناك قطعا مسرحية اخرى كانت تمثل بعد الفتح الاسباني ، وكان فيها تصوير لأحداث هذا الفتح وللصراع بن الغزاة والشعب الهندى القديم فى جواتيمالا ، وهى مسرحيات بدائية كانت تتخللها كذلك أغان ورقصات مصحوبة اما بموسيقى اسبانية أو هندية أصيلة .

وعمل رجال الدين الاسبان بدورهم على استخدام المسرح الديني المسيحي وسيلة لنشر الكاثوليكية فى أوساط الهنود الوثنيين ، وهكذا دخل مع الفاتحين ذلك المسرح المسيحى المعروف باسم « الاوتوس ساكرامنتالس Autos Sacramentales » ، وهو

يتألف من فصول قصيرة تمثل حياة المسيح وآلامة واسرار المسيحية اللاهوتية ، وكل ذلك أعان على خلق وعى مسرحي امتزجت فيه العناصر السحرية والوثنية القديمة فى حضارة الهنود « المایاس » بالعناصر الاسبانية التى دخلت مع الفتح .

ومن المعروف أن استقلال القارة الأمريكية عن اسبانيا من الناحية السياسية لم يكن معناه القضاء على الصلات الثقافية بين اسبانيا والبلاد التى ظلت خاضعة لها طوال ثلاثة قرون . وهذا هو مانراه فى جواتيمالا ، اذ ظل جمهور المسرح هناك شاخصا ببصره الى المؤلفين المسرحيين الاسبان والى كل ما يصدر عنهم من جديد . وكانت المدرسة الابتداعية (الرومانسية) هى الغالبة على المسرح الاسبانى خلال القرن التاسع عشر ، ولهذا فقد كان المؤلفون الأمريكيون المتكلمون بالاسبانية يتخذون مثلهم العليا من أولئك المؤلفين الذين طار صيتهم فى الوطن الأم من أمثال الدوق دى ريباس(١) ومارتينث دى لاروسا (٢) ، وثوريليا (٣) ، وبريتون دى لوس

---

(١) آنخل سافيدرا القرطبى Angel Saavedra الذى اشتهر بلقبه « الدوق دى ريباس Duque de Rivas » (١٧٩١ — ١٨٦٥) من أعلام الحركة الابتداعية (الرومانسية) في المسرح الاسبانى . واشتهرت روايته « دون البارو Don Alvaro » (سنة ١٨٣٥) بأنها خير مثل للمسرح الروماني الاسباني .

(٢) مارتنيث دى الاروسا الغرناطى Martinez de la Rosa (١٧٨٧ — ١٨٦٢) علم آخر من أعلام المسرح الابتداعى الاسبانى ، شارك في سياسة بلاده ووصل الى رياسة الحكومة . وله روايتان تعتبران من أعظم معالم هذا الاتجاه المسرحى هما : « ابن أمية Aben-Humeya » التى نشرها بالفرنسية في باريس سنة ١٨٣٠ وصور فيها حياة هذا الثائر المسلم زعيم الموريسكيين في غرناطة (سنة ١٥٦٨) ، ثم « مؤامرة فى البندقية Conjuración en Venecia (سنة ١٨٣٤) وهى مسرحية ذات طابع تاريخى كذلك . وبهما تأصل المسرح الرومانسى فى اسبانيا .

←

ايريروس (٤) . وكان هذا المؤلف الأخير قد بدأ — فى اطار المدرسة الابتداعية الغالبة — اتجاها الى تصوير المجتمع وعاداته وتقاليده ، تصويراً يكاد يكون ارهاصا بالاتجاه الواقعي الذى قدر له أن يسود بعد ذلك . ولقى هذا الاتجاه قبولا عظيما فى الأوساط الأدبية الجواتيمالية فى أواخر القرن التاسع عشر . وكان من أشهر الآخذين بـه « ميجيل آنخل أوروتيا Miguel Angel Urrutia » (١٨٥٢ — ١٩٠٠) والكاتبة « فيثنتا لابارا Vicenta la Barra » (١٨٣٤ — ١٩٠٥) ، كلاهما عالج بعض مشكلات المجتمع الجواتيمالي وتعرض لعيوبه ورذائله بالنقد . وكانت هذه النهضة التى شهدها المسرح فى جواتيمالا فى أواخر القرن التاسع عشر ثمرة للنظام الاصلاحي المتحرر الذى بدأه الرئيس خوستو روفينو باريوس منذ سنة ١٨٧١ .

على أنه لم يقدر لهذه النهضة أن تستمر فى ظل الحكم الدكتاتورى الرهيب الذى فرضه على البلاد الطاغية استرادا كابريرا خلال أكثر من عشرين عاما (١٨٩٨ — ١٩٢٠) . وهكذا توقف نشاط

---

(٣) خوسية ثوريليا مورال José Zorrilla y Moral (١٨١٧ — ١٨٩٣) أشهر شعراء اسبانيا ومؤلفيها المسرحيين فى أواخر القرن التاسع عشر . وأشهر آثاره على الاطلاق — على خصوبة انتاجه وكثرته — رواية « دون خوان تينوريو Don Juan Tenorio » التى بعث بها الحياة الى الرواية التى ألفها تيرسودى مولينا من قبل . وهى تعتبر قمة ما وصل اليه المسرح الرومانسى فى اسبانيا ، ومازالت حتى الآن تمثل على مسارح العالم الناطق بالاسبانية بنجاح عظيم .

(٤) بريتون دى لوس ايريروس Bretón de los Herreros (١٧٩٦ — ١٨٧٣) أديب توفر على خدمة المسرح وأخرج لنا فيه انتاجا كثيرا لم يفقد جدته حتى اليوم ، وهو يمثل الانتقال من الرومانسية الى الواقعية ، اذ ان له روايات كثيرة مما يمكن أن ندعوه « مسرح المجتمع » .

الأدبـاء المسرحيين الجواتيماليين أو كـــاد ، واقتصـر العمـل المسرحي على تقديم اشهر الروايات الرومانسيه الاسبانية التي كانت تقوم بتمثيلها فرق أجنبية .

وظل الأمر كذلك خلال الحكم الارهابي الذى قام عليه نظـام خورخي أوبيكو (١٩٣١ ـ ١٩٤٤) . فلما سقط ذلك النظام وتنسمت البلاد ريح الحرية فى ظل حكومتي خوان خوسيه أريفالو وخاكوبو آرنبث (١٩٣١ ـ ١٩٤٤) عادت جواتيمالا الى التمتع بثمـرات النهضة الثقافية والفنية الشاملة التى صاحبت هذين العهدين ، ورأينا بعض المؤلفين الشبان مثل الكاتبة « ماريا لويسا أراجون Maria Luisa Aragon » تقدم لنـا فى مسرحياتها صورا طريفة للمجتمع الجواتيمالي المعاصر ، بينما يعمل « كارلوس خيرون ثيرنا Carlos Giron Cerna » علـى احيـاء المسرح الهنـدى القديم ، فيكتب مسرحيات استلهمها من أساطير المايـاس ومعتقداتهم الدينيـة .

ومن أعظم الشخصيات الأدبية التى أسهمت فى نهضة المسرح المعاصر فى جواتيمالا الشاعر الكاتب « رافاييل ريفالـو مارتينث Rafael Arévalo Martinez » ولـد سـنة ١٨٨٤ ، وهـو فى الحقيقة شاعرا قبل ان يكون مسرحيا ، وله مشاركـة فى ميـدان الرواية والقصة ، نذكر من مظاهرها كتابه **الرجل الذى كـان يبدو حصـانا** El hombre qi e parecia caballo ثـم ترجمتـه لحياة الدكتاتور استرادا كابريرا التي ظهـرت سـنة ١٩٤٦ . والمسرحية الوحيدة المعروفة له هى التى الفها شعرا بعنوان **دوقـا اندور** Los duques de Endor ، وهـى تدور حـول تنحى ملك انجلترا ادوارد الثامن عن العرش ، ويبدو أن المؤلف أراد فيها أن ينتهج خطى المسرح الاسبانى القديم المستمد من وقائع التاريخ .

ولابد عند الحديث عن المسرح الجواتيمالى من الكلام عن أديب لم يتفرغ للمسرح ولكن له فيه مشاركة فعالة بالغة الأثر ، ونعنى به كاتب جواتيمالا الأكبر « ميجيل آنخـل استورياس Miguel Angel Asturias » الذى أشرنا اليه من قبل باعتباره من أعظم كتاب الرواية المعاصرين فى أمريكـا اللاتينيـة ، وهـو أديب طـارت شهرتـه فى العالم اجمع منذ أن نال جائزة نوبل للآداب عـن سنة ١٩٦٧ ، وكان بذلك ثانى من يحصل على هذه الجائزة العالميـه من القـارة الأمريكية اللاتينية بعد الشاعرة الشيلية « جابرييلا ميسـترال Gabriela Mistral » سـنة ١٩٤٥ . ولـد أستورياس سـنة ١٨٩٩ وتخرج من كلية الحقوق فى جواتيمالا ، ثم قضى فترات من حياته فى لندن وباريس وبونيوس أيرس . وقد نشر أول كتبه بعنـوان أساطير من جواتيمـالا Leyendas de Guatemala ، فأدرك به شهرة عظيمة ومكانة رفيعة فى الأوساط الأدبية بجميع انحاء القارة . وتأكدت هذه المكانة بعد ذلك حينما نشر فى المكسيك روايـته الطويلـة السـيد الرئيس El señor presidente (١) التى رسـم فيها صورة نموذجية لدكتاتور جواتيمـالا الرهيب استرادا كابريرا ولطرازه من الحكام المستبدين الطغاة ، وطار صيت هذه الرواية وترجمت الى كثير من لغات العالم ، وفى سنة ١٩٥٢ نال أستورياس بها الجائزة الدولية لنادى الكتاب فى باريس ، ثم منح عنها كذلك جائزة لينين للسلام فى سنة ١٩٦٥ ، وأخيرا تتوجت بجائزة نوبل سنة ١٩٦٧ ، وهى بغير شك ذروة انتاج هذا الأديب الجواتيمالي العظيم (١) .

ولأستورياس انتاج أدبي وفير متنوع : له دواوين شعرية التزم

---

(١) قام كاتب هذه السطور بترجمة رواية « السيد الرئيس » لميجيل آنخل استورياس وستأخذ قريبا سبيلها الى النشر .

فيها المنهج التقليدى القديم للشعر الاسباني فى الشكل وان كان لمواضيعها اصالة جذابة ، وله روايات اخرى بديعة وان لم تصل الى قمة عمله الأدبى التى بلغها فى **السيد الرئيس** ، مثل **رجال من ذرة** « Hombres de maiz » و **الريــح العنيفــة** Viento fuerte » **ومجموعات من القصص القصيرة مثل نهايــة أسبوع فى جواتيمالا** « (Week end) en Guatemala التي قدم لنا فيها صورا حية شائقة للحياة الجواتيمالية .

وكان لأستورياس بالمسرح اهتمام قديم ، فقد بدت نزعته اليه فى رواياته وقصصه التي كثيراً ما كان يستريح فيها الى اسلوب الحوار ، على أنه فى السنوات الأخيرة قرر أن يقتحم ميدان المسرح فقدم لنــا مسرحية **سولونــا** Soluna التى نشهد فيها الصراع الصامت الدائر فى جواتيمالا بين طريقتين فى الحياة : طريقة تقليدية موروثة عن الشــعب الهندى القديم بمعتقداته الوثنية وايمانه بالسحر واعتزازه بالماضي السحيق المجيد ، وطريقة جديدة تمليها ظروف الحياة الحاضرة . والواقع أن هذا الصراع الخفي الذى يدور فى نفس الانسان الواحد هو ما نشاهده فى كثير من البلاد التي لها مثل ظروف جواتيمالا من تعلق بالماضي وحنين اليه ورغبة فى مسايرة موكب الحياة المتطورة فى آن واحد . ومن هنا كانت عالميــة هــذه الرواية على الرغم من الجو المحلي الخالص الذى تدور فيه .

ومن أعظم المؤلفين المسرحيين المعاصرين فى جواتيمالا « ميجيل ماريسيكوفيتيرى دوران Miguel Mariscovétere Duran الذى ولد فى سنة ١٩١٢ . وهو من العصاميين الذين علموا أنفسهم بأنفسهم اذ أنه لا يحمل اى شهادة دراسية ، ولكن المسرح اجتذبه منذ صباه فقد كان ممن تزعموا فى سنة ١٩٣٠ حركة تعرف باسم « مسرح الطليعة » واشتغل بالاخراج ، فقدم لنا مسرحيات لمانويل جاليتش المؤلف الذى نقدم هنا ترجمة لاحدى مسرحياته — ولغيره من كبار المؤلفين الجواتيماليين ، وساهم هو نفسه فى الكتابة للمسرح ، فقدم مسرحيــات مــن أهمهــا **المرآة المحطمــة** El espejo roto ، و **المرأة والانسان الصناعى** La mujer y el robot وهــى

مسرحية بديعة صور لنا فيها كيف ينتهي التقدم السريع الذى نالته البشرية في العلوم والصناعات التكنولوجية الى كارثة رهيبة تقوض أركان الحضارة الانسانية كلها ما لم يصاحب هذا التقدم اهتمام مماثل بالقيم الروحية .

ومن المؤلفين الشبان فى جواتيمالا اليوم أديب يبشر بمستقبل مسرحي مرموق ، هو « كارلوس سولورثانو Carlos Solorzano » الذى ولد سنة ١٩٢٢ ودرس العمارة ثم اتجــه الى الأدب ، فنال الدكتوراه فى الآداب من جامعة المكسيك ، واستكمل دراساته بعد ذلك فى الولايات المتحدة وفرنسا حيث تخصص فىالفنون المسرحية . واستقــر اخيراً فى المكسيك حيث أنشأ فى سنة ١٩٥٠ « المســرح **الجامعي للمحترفين » وقام بادارة واخراج مسرحياته نحواً من عشر** سنوات . وله دراسات مسرحية من أهمهــا **مسرح أمريكا اللاتينية فى القرن العشرين** Teatro latinoamericano del siglo XX الذى صدر فى بوينوس أيرس . ومن أهم آثاره المسرحية مسرحية **السيدة بياتريث** Dona Beatriz التى عرضت على المسرح سنة ١٩٥٢ ، وهى ذات طابع تاريخى صور فيها حياة جواتيمالا فى أول عهدها بالفتح الاسبانى . وألف بعد ذلك مسرحيات أخرى منهــا **الساحر** El hechicero (١٩٥٤) و **مفترق الطرق** Cruce de vias (١٩٥٩) ، و **الامعات** Los fantoches (١٩٦٢) . وقد ترجمت بعض هذه المسرحيات الى عديد من اللغات الأجنبية .

٨ ــ مانويل جاليتش : حياته وأدبه

على انه ربما كان أعظم أعلام الأدب المسرحي فى أمريكا الوسطى اليوم على الاطلاق هو «مانويل جاليتش Manuel Galich » صاحب المسرحية التى نقدمها اليوم بهذه الصفحات .

ولـد مانويل جاليتش في سنة ١٩١٣ في أسـرة متوسطـة متواضعة. وبعد أن أكمل دراسته فى الآداب انخرط فى سلك التدريس فعمل أستاذا في معهد التربية بجواتيمالا ، ثم أكمل دراسته في كلية الحقوق بالجامعة . وكان خلال عمله في معهد التربية قـد أبـدى اهتماما عظيما بالمسرح ، فكون فرقة مسرحية كان يديرها ويخرج مسرحياتها ، ثم اجتذبته الكتابة للمسرح فألف لهذه الفرقة بعض الفصول القصيرة تناول فيها مواضيع تاريخية وفولكلورية من حياة بلده جواتيمالا . واشتغل في هذه الأثناء بالصحافة ، فكان يحرر أبواب النقد الأدبي والمسرحي في بعض المجلات والجرائـد . ولم يقتصر على ذلك ، بل امتد نشاط قلمه الى معالجة مشكلات بلاده الاجتماعيـة والسياسية التى كانت قـد تفاقمت في ظل النظـام الدكتاتورى الارهابي الذى فرضه على البلاد خورخي أوبيكو (١٩٣١ — ١٩٤٤) . وقد رأى مانويل جاليتش في المسرح متنفسا يعبر فيه عن آرائه الاجتماعية والسياسية على صورة غير مباشرة اذ لم يكن هناك مفر من ذلك في ظل الرقابة الدموية الصارمة التي كانت تكمم الأفواه تحت ربقة الحكم الرجعى السائد في ذلك الوقت .

وفيما بين سنتي ١٩٣٨ و ١٩٦٤ نشر جاليتش عدداً من هذه المسرحيات الاجتماعية ظهرت فيها قدرته على الفن المسرحي وعلى اجراء الحوار والبراعة في تصوير مختلف طبقات المجتمع الجواتيمالى وأوجه الفساد التى كانت تنخر هذا المجتمع تحت وطأة الحكومات الفاسدة والتدخل الأجنبي .

وفى سنة ١٩٤٤ كان مانويل جاليتش قد اشتهر في أوساط الجامعيين والمثقفين بفضل كتاباته الاجتماعية والسياسية ، وأصبح من زعماء الشـبـاب المرموقين المعروفين بمناهضـة الدكتاتورية . ولم ينته نشاطه عند الكتابة والخطابة ، بل اشترك باعتباره زعيما لاتحاد الطلاب والخريجين في الثورة الشعبية التي أطاحت بنظام الطاغية أوبيكو .

وانتصرت الثورة ، وانتخب الشعب لرياسة جمهوريته رجلا نزيها نظيف اليد هو خوان خوسية اريفالو فى سنة ١٩٤٥ كما سبق أن ذكرنا فى عرضنا التاريخي السابق ، وجرت انتخابات حرة لأول مرة تقريبا فى جواتيمالا خلال هذا القرن وتقدم جاليتش لهذه الانتخابات ، وانتخب عضوا فى المجلس النيابي ، وعرف نواب الأمة كيف يقدرون هذا الشاب الثورى المكافح ، فانتخبوه رئيسا للمجلس ، ثم لم يلبث الرئيس أريفالو أن اختاره فى حكومته وزيرا للتربية والثقافة .

واضطلع جاليتش بمهام منصبه على خير وجه ، واليه يرجع جانب كبير من الفضل فى النهضة السريعة العظيمة التى بلغها التعليم والثقافة والفنون فى هذا العهد ، ولم يكن هذا غريبا على رجل جند نفسه وقلمه منذ صباه فى خدمة الشعب وفى سبيل الاصلاح . ولعل منجزات النظام الجديد فى ميادين التربية وفى وجوه النشاط الثقافي والفني هي أعظم ما قامت به الثورة الشعبية الجواتيمالية وأبقاها أثرا . ومن هنا اتى التقدير العظيم الذى أولاه الشعب الامريكي اللاتيني عامة لهذا الأديب المكافح .

وفى سنة ١٩٥١ يتولى رياسة الجمهورية خاكوبو آربنث ، فيجرى تعديلا فى وزارته ، ويقرر الرئيس الجديد الاحتفاظ بمانويل جاليتش تقديرا لجهوده السابقة فى وزارة التربية ، ولكنه يعهد اليه هذه المرة بوزارة الخارجية ، وبهذا يزيد اتصاله بميدان المعارك السياسية التى قدر لجواتيمالا أن تخوضها فى الداخل والخارج دفاعا عن سياستها الاصلاحية المستقلة .

ولا تحول المناصب الرسمية التى أسندت الى مانويل جاليتش فى ظل نظامى الرئيسين أريفالو وآربنث بينه وبين مزاولة هوايته القديمة : الكتابة للمسرح ، فنراه خلال هذه السنوات (١٩٤٥ — ١٩٥٤) يؤلف عددا من المسرحيات يضع فيها خلاصة تفكيره السياسى والاجتماعى على نحو أكثر نضجا وأروع اكتمالا مما نرى فى انتاجه السابق .

وفى أواخر عهد الرئيس آربنث يعين جاليتش سفيراً لبلاده فى جمهورية الأرجنتين التى كان يحكمها فى ذلك الوقت الرئيس الأسبق خوان بيرون ، وكانت الأرجنتين من البلاد الأمريكية اللاتينية القليلة التى دافعت عن حق جواتيمالا فى اختيار نظامها السياسى والاجتماعى .

وظل جاليتش فى منصبه حتى وقع الانقلاب الذى أطاح بحكومة آربنث فى سنة ١٩٥٤ ، وكان من الطبيعي أن يرفض هذا المفكر الوطنى كل تعاون مع حكومة كاستيليو أرماس ، فما كان منه الا أن قدم استقالته واستقر فى بوينوس أيرس بعد ان طلب اللجوء السياسى .

وفى العاصمة الأرجنتينية قضى جاليتش سنوات مشتغلا بالكتابة والصحافة ، وكان ينشر بصفة خاصة فى مجلة « المبادىء Principios » الأسبوعية . تنقل أديبنا بين كثير من البلاد الأمريكية اللاتينية ، وأخيرا استقر به المقام فى كوبا ، وهو الآن يقوم بالتدريس فى جامعة هافانا ويواصل الكتابة فى الصحافة السياسة الأدبيه سواء فى كوبا أو فى الخارج وقد أسند اليه فى سنة ١٩٦٥ منصب نائب رئيس مجلس الادارة فى دار نشر « الأمريكتين » Casa de las Américas فى هافانا ، وهي تعتبر من أكبر دور النشر فى القارة الأمريكية وأضخمها انتاجا .

أما نشاط جاليتش الأدبى فهو خصب متنوع متعدد الجوانب وقد بدأ الكتابة فى سنة ١٩٣٨ حينما كانت البلاد لاتزال ترزح تحت نظام خورخي أوبيكو الدكتاتورى ، مما جعل ميادين التعبير الأدبي محدودة ضيقة المخارج ، اذ لم يكن من الممكن لكاتب أن يعبر فى حرية وصراحة عن رأيه فى النظام السياسي القائم ، وكان ميدان المسرح الاجتماعى هو الوحيد الذي يجد فيه الكاتب المسرحى منفذا ومتنفسا

ولهذا فقد كانت بواكير انتاج مانويل جاليتش هي الكوميديات الاجتماعية التي يصور فيها المؤلف حياة بلاده على نحو واقعي وبلغة عامية دارجة تتحدث بها شخصيات المسرحية فى طلاقة وتلقائية عارية من التكلف .

والى هذه المرحلة تعود مسرحياته **الغبى** Papa Natas ، و **الناس الطيبون** Gente decntee ، و **ابنى حامل التوجيهية** M'hijo el bachiller ، و **من الحياة الى التمثيل** De lo vivo a lo pintado ، **وبين جدران أربعة** Entre cuatro paredes .

وتعتبر هذه المسرحية الأخيرة من أجمل ما كتب مانويل جاليتش خلال هذه المرحلة من تاريخ أدبه المسرحى . وفيها يصور لنا حياة أسرة جواتيمالية من الطبقة الوسطى ، وكان عائلها فلاحا فقيرا أجيرا ، ثم اشتغل بالتجارة وقضى حياته فى عمل شريف متواصل كلفه الكثير من الجهد والتضحيات حتى أثرى وانتقل بحكم ماله وثروته من طبقته المتوسطة أو دون المتوسطة الى زمرة **« الأرستقراطيين » . لكنه رجل طيب يضيق بحفلات هذا « المجتمع** الرفيع » ورخاوته وتكلفه ، اذ هو مازال على الفطرة والطبيعة ، ولكن زوجته هي التي تود أن تقحم نفسها وأسرتها فى تلك « الحياة الراقية » وهي التي تأنف من كل ما يذكرها بحياة الشظف الماضية وتريد أن تربى أبناءها وبناتها تربية جديرة بأن تسلكهم فى هذا العالم الاستقراطي الجديد ، حتى تضمن لها زيجات تربطهم بأرقى **الأسر . وتمضى المسرحية فى نقد ساخر لهذه الطبقة من حديثى العهد** بالغنى وما يكتنف حياتها من مشكلات تكاد تتهدد مستقبل أفراد **الأسرة ، ولاسيما بعد أن تتضح علاقة بين فتى العائلة والخادمة** وبين خطيب أخته وفتاة أخرى أنجب منها ولداً غير شرعي ، وتتعقد الأمور ولكنها تنتهي بعد ذلك الى حل سلمي حينما تعود الأم الى التفكير الهادىء السليم البعيد عن نعرة الارستقراطية ، وخيالات الزج بنفسها فى غمار ناس على غير خلق ولا ضمير ، اذ كل

« فضائلهم » لاتزيد على كونهم وارثى ثروة لم يتعبوا فى جمعها ، أو لقب من القاب النبلاء لم يبذلوا جهداً فى تحصيله .

والمشكلة قديمة طالما عالجهــا المسرح فى القديم والحديث ، ولكن مانويل جاليتش ادارها على نحو رائع تتجلى فيه مهارة الكاتب المسرحى الذى يحسن رسم أمثال هذه الشخصيات « النمطية » التى يمكن أن نجـدها فى كل زمان ومكان ، والحوار فيها متدفـق طبيعى يستأثر باهتمام المتفرج أو القارىء ، وقد صاغة بلغة الكلام الشائعة فى جواتيمالا حتى يضفى عليها مزيداً من الواقعية البعيدة عن حذلقة المتفصحين .

وتأتى بعد ذلك فى مسرح مانويل جاليتش مرحلة أخرى قام خـــلالها بكتابة مسرحيات مستوحاة من تاريخ حضارة جواتيمالا القديمة ، وان كان قد ضمنها آراءه فى السياسة ، فقد استغل هذا المسرح التاريخى فى توجيه مرير النقد ولاذعه لنظم الحكم الفاسدة القائمة على الارهاب والدكتاتورية ، ومن الواضح انه لجأ الى هذه الطريقة غير المباشرة لكى يعبر عن آرائه فى الحكم خورخى أوبيكو طاغية جواتيمالا فى ذلك الوقت وحكم أمثاله ممن كانوا يتربعون على مواقع السلطان فى مختلف جمهوريات أمريكا اللاتينية . والى هذه المرحلة تنمى رواياته **السيد جوبوب كاليكس** El senor Gupup Kakix وهي مسرحية استلهمها من نص ورد فى كتاب **البوبول فوه** (١) ، **والوزير كاديخو** El canciller Cadejo .

وفى ١٩٤٨ نال مانويل جاليتش الجائـزة الأولى فى المهرجان

---

(١) كتاب « البوبول فوه Fopol Vuh » كان بمثابة الكتاب المقدس لشعب المایاس Mayas او الكيتشية Quiché صاحب الحضارة العريقة التى كان مهدها في جواتيمالا وهندوراس وجنوب المكسيك . وكانت منــه نسخة فاخرة في مدينة او تاتلان Utatlan حينما دخلها الفاتح الاسبانى بدرو دى ←

الدولي الذى تنظمه مجموعة دول أمريكا الوسطى فى الفنون والآداب عن روايته المسرحية **ذهاب واياب** Ida y vuelta ٠

وفى سنة ١٩٥٤ نشر مسرحية **القطار الاصفر** El tren amarillo و « **القذارة** La mugre ، وهما جديرتان باشارة خاصة،اذ أن الأولى تعالج المشكلة المزمنة التي تأخذ بمخنق جواتيمالا

→ **البارادو فى ١٣ ابريل سنة ١٥٢٤ واحرقها ٠ ويبدو أن بعض الأسر الهندية النبيلة استنقذت من الكتاب عدة مخطوطات هربت بها من المدينه ، واستقر أحد هذه المخطوطات بعد ذلك في كنيسة احدى القرى ، وهناك عثر عليه الاب خيمينث وترجمه الى الاسبانية ٠ ثم ظهرت نسخة اخرى في جامعة سان كارلوس بجواتيمالا ، ويرجع فضل اكتشاف هذه النسخة الى الباحث النمسوى كارل شيرزر Karl Scherzer فى سنة ١٨٥٥ ، فنشر نصه في فينا سنة ١٨٥٧ ، ثم نشر مرة أخرى في باريس بعناية الاب براسير دى بوربورج سنة ١٨٦١ ٠ وفي سنة ١٨٧٢ نشرت ترجمة الأب خيمينث الاسبانية للكتاب مرة اخرى ، وتوالت طبعات « البوبول فوه » بعد ذلك ، فنشرت الترجمة الاسبانية في مدينة سان سلفادور ثلاث مرات : بين سنتى ١٨٩٤ و ١٨٩٦ ، ثم في سنة ١٩٠٥ ، واخيرا في سنة ١٩٢٠ ٠ وعن هذه الطبعة الاخيرة التى نشرت بعناية حكومة سلفادور نشر مرة أخرى في يوكاتان (المكسيك) سنة ١٩٢٣ ٠ واخيراً صدرت ترجمة للكتاب الى الفرنسية فى سنة ١٩٢٧ ٠**

والبوبول فوه كتاب دين وتشريع وادب واساطير في الوقت نفسه ، ويبدأ بالحديث عن خلق الارض ومختلف فصائل الحيوان حتى يصل الى الانسان والأنبياء أو القادة الأربعة الذين انحدرت منهم السلالات البشرية ، ويفصل الكلام من أنساب شعب الكيتشية وقبائلهم وهجراتهم ، ثم يمضى فى شرح العقائد الدينية لهذا الشعب وما يتصل بها من أساطير ٠ وعلى الجملة فان هذا الكتاب يعتبر اعظم أثر فكرى وأدبى خلفه لنا ذلك الشعب الهندى العظيم الذى اقام حضارة يمكن أن تقارن بسائر الحضارات المتقدمة الراقية في العالم القديم ٠

وهى مشكلة الاستغلال الاقتصادى الذى تزاوله « شركة الفواكه المتحدة » فى البلاد ، فالقطار الأصفر المقصود هنا هو الذى يحمل شحنات الموز من المزارع الى مصانع الشركة . أما المسرحية الثانية فهي تصور لنا جانبا من شخصية جاليتش تظهر فيه نزاهته وصرامته فى الحق وبعده عن التحيز ، اذ هى أشبه بنقد ذاتى . . . نقد لنفس النظام الثورى الذى كان جاليتش نفسه من أركانه الرئيسية ، هذا دون أن تعنى مسرحيته خيانة ولا تنكراً للمبادىء التي قام عليها ذلك النظام . وكل ما هناك هو أنه ـ ككل نظام سياسى أو مذهبى ـ عرضة لأن تندس فيه بعض العناصر الفاسدة أو الخائنة . والى هذه العناصر يوجه مانويل جاليتش سهام نقده المرير .

وفى سنة ١٩٥٦ أصدر جاليتش مسرحيته **الرقيق الأبيض** La trata وفيها يعالج مشكلة اجتماعية انسانية لها خطرها الكبير ، هي مشكلة البغاء .

كذلك أخرج أثناء اقامته فى الأرجنتين كتابين سياسيين ، أولهما **من الارهاب الى الهجوم** Del panico al ataque ، وهو كتاب يدل عنوانه على مضمونه ، اذ هو مذكراته التى سجل فيها تاريخ السنوات الأخيرة من حياة بلاده من أيام دكتاتورية أوبيكو حتى الانقلاب الذى أطاح بنظام الرئيس آربنث . أما الكتاب الثاني فهو **لماذا تكافح جواتيمالا ؟** « Por qué lucha Guatemala? » .

وكان من آخر انتاج مانويل جاليتش المسرحي روايته التى نقدمها اليوم : **السمك العسير الهضم** El pescado indigesto ، وقد نشرها فى بوينوس أيرس سنة ١٩٦١ ، فلقيت نجاحا منقطع النظير ، وتوالت طبعاتها فى مختلف عواصم أمريكا اللاتينية ، ومثلت على مسارح القارة ، كما ترجمت الى عدد من اللغات الأجنبية ، وفى نفس هذه السنة نالت المسرحية الجائزة الأولى للمسرح فى المسابقة التى تنظمها دار نشر الأمريكيين Casa de las Americas فى كوبا ، وأعيد نشرها فى هافانا فى يونية من هذه السنة . وتعتبر هذه

المسرحية تتويجا للنشاط المسرحي الكبير الذى اضطلع به مؤلفنا خلال ما يزيد على ثلاثين سنة .

ولا يزال مانويل جاليتش حتى اليوم غزير الانتاج مرهف القلم ، وقد كان من آخر كتبه التى وصلتنا كتابه الذى يضم مجموعة مختارة من الوثائق المتعلقة ببطل تحرير أمريكا اللاتينية سيمون بوليفار Simon Bolivar (هافانا ــ دار نشر الأمريكيتن سنة ١٩٦٥) ، وهو كتاب تاريخي يضيف به جاليتش الى قائمة أعماله اثرا ذا قيمة كبيرة فى اجلاء تلك المرحلة الأولى من مراحل كفاح القارة الأمريكية الاسبانية فى سبيل حريتها واستقلالها .

٩ ــ مسرحية ((سمك عسير الهضم)) :

ونصل فى نهاية هذا الحديث الى ذلك الأثر المسرحي الذى يعتبر أول انتاج فى هذا الميدان يقدم الى قراء العربية .

السمك العسير الهضم كما سيرى القارىء مسرحية « شبه تاريخية » ، فأحداثها كما نص المؤلف على ذلك تدور فى روما ، بل انه يحدد السنة التى تجرى فيها وقائع المسرحية : سنة ٥٩ قبل ميلاد المسيح .

فلنلق اذن نظرة على روما فى ذلك الوقت ، ولنستعرض تاريخها بسرعة ، ولنتجول فى شوارعها وميادنها ونطالع مبانيها ومعالمها ، ثم لننظر الى الناس الذين يضطربون فى جنباتها .

روما ... سيدة العالم ، وأعظم مدن الأرض وعاصمة تلك الدولة العتيدة التى أصبحت تمتد من سواحل شبه جزيرة أيبريا على المحيط الاطلسي فى الغرب الى سوريا وفلسطين فى الشرق ، ومن

بلاد الغال فى الشمال الى نوميديا (تونس) وسواحل الشمال الافريقي فى الجنوب ...

روما هذه لم تكن شيئا مذكوراً منذ سبعة قرون ، فهى لم تظهر الى الوجود الا فى سنة ٧٥٣ قبل الميلاد حينما قام ببنائها على ضفاف نهر التيبر الأخوان رومولوس Romulus وريموس Remus اللذان أرضعتهما ذئبة على ما تقول الأسطورة ، ولكنها سرعان ما مدت سلطانها على سهول لاتيو Latio المحيطة بها ، وتعاقب الملوك بها يحكمون هذه الرقعة الضيقة من شبه الجزيرة الايطالية . ولكن الملكية سقطت فى سنة ٥١٠ ق.م ، وتحولت الدولة الصغيرة الى جمهورية يحكمها « قنصلان » ينتخبان كل سنة ويعاونهما « مجلس للشيوخ Senatus » يضم رؤوس الأسر الشريفة Patres ، ثم تقدمت الديمقراطية فسمح للعامة Plebs بأن يمثلوا فى المجلس منذ سنة ٣٠٠ ق.م.

ويعلو نجم روما فلا تأتى سنة ٢٦٦ قبل الميلاد حتى تصبح سيدة كل شبه الجزيرة الايطالية من جبال الألب فى الشمال حتى نهاية طرف الحذاء الذى تشبه به خريطة ايطاليا ، وحينئذ تبدأ روما فى النظر الى خارج حدودها .. وتكتب الفصول الأولى من كتاب الحروب الطويلة التى لا تنتهى ... هى القصة المعهودة ... طبيعة البشر التى لاتتغير : اذا أنسوا فى أنفسهم القوة لم يلبثوا أن جنحت بهم الأطماع وشهوة الحكم الى الغزو والفتح والسيطرة ! ..

على مقربة من حدود روما ، بل على الجانب الآخر من مضيق مسينا تقع دولة عظيمة غنية ، هي دولة القرطاجيين الممتدة على جزيرة صقلية وما وراءها من بلاد أفريقية واسبانيا . هم شعب نشيط كادح انحدر من سلالة الفينيقيين فى الشرق ، وحمل من هناك زاده الحضارى الذى نشره بعد ذلك على طول الشمال الافريقى وسواحل اسبانيا والبرتغال وجزر البحر الأبيض الغربي فى صقلية وسردانية والبليار .

ولكن الرومان لم يشعروا باكتمال وحدة بلادهم حتى ضاقوا ذرعا بهذا الجار الفني المتحضر ، وبدأ التحرش به ، واندلعت بعد ذلك الحرب البونية الأولى (٢٦٤ — ٢٤١ ق.م.) ، وهي التى افتتحت بها روما حروبها الاستعمارية التي قدر لها أن تمتد حتى انهيار دولتهم . وانتزعوا صقلية من أيدى القرطاجيين فى أعقاب تلك الحرب ، ثم سردانية (سنة ٢٣٩) ، وشجع هذا الانتصار الرومان على مد رقعة دولتهم ، ففتحوا بلاد الغال الممتدة فيما وراء جبال الألب (٢٢٥ — ٢١٨ قم) ثم امتدت أنظارهم الى شبه جزيرة ايبريا ، وكانت من أراضى الفينيقيين ، وهكذا اشتعلت نار الحرب البونية الثانية (٢١٨ — ٢٠٢ ق.م) ، وانتهت بتحطيم دولة قرطاجة وانتحار قائدها هانيبال ، واستيلاء الرومان على شبه جزيرة أيبريا .

وفى نفس الوقت كانت روما تبعث بجيوشها الى البلاد المتاخمة لها شرقا ، فلا تمضى سنوات حتى تتم فتح ايليريا ومقدونيا (شبة جزيرة البلقان واليونان) ، وتواصل روما بعد ذلك امتدادها الى افريقيا وآسيا ، فتقضي على بقايا الدولة القرطاجية ، وتقيم على أنقاضها مقاطعة « افريقيا » الممتدة على طول الشمال الافريقي . وتحتل آسيا الصغرى ثم بلاد الشام وفلسطين (٦٤ ق.م) ،وهكذا لا يكاد القرن الأول قبل الميلاد ينتصف حتى تكون حلقات السيطرة الرومانية قد اكتملت على سواحل البحر الأبيض كلها شمالها وجنوبها ، ويتحول هذا البحر الى ماكان الرومان يسمونه « بحرنا Mare Nostrum » فى عجرفة استعمارية أصيلة ! ...

ومع الاحتلال العسكرى الروماني تبدأ سياسة النهب المنظم لثروات الشعوب المغلوبة : فحكام « المقاطعات » (هكذا كانت تسمى المستعمرات) لم يكن لهم عمل الا ابتزاز كل ما يمكنهم من الأموال ، متفننين فى فرض أنواع من الضرائب . وكلما زادت نسبة ما يبعث

به حاكم المقاطعة الى روما من المال ارتفعت شعبيتـه ومنحه « مجلس الشيوخ » الروماني مزيداً من التشريف والتكريم . ومن الطبيعى أن الحاكم كان الى جانب ذلك ينتهب كل ما يستطيع من الثروة لنفسه بغير رقيب ، طالما أدت « جهوده » الى ملء خزائن روما بالذهب . وكثيرا ما كانت الشعوب الخاضعة تثور على ظلم الحكام الرومان ، ولكن هؤلاء لم يتورعوا أبداً عن سحق تلك الثورات بقسوة وحشية كانت تصل فى بعض الاحيان الى حرب ابادة واستئصال .

ومع ذلك فان الأموال الطائلة التى كان حكام الرومان ينتهبونها من المستعمرات لم تكن تعود برخاء كثير ولاقليل على شعب روما نفسه الذى كان يعاني الكثير من المظالم الاجتماعية والتفرقة الطبقية، فقد عرف الرق فى أبشع صوره فى روما ، وهذا هو ما أدى فى بعض الأحيان الى ثورات عارمة أعلنها العبيد على السادة مثل ثورة سبارتاكوس Spartacus الذى جمع حوله آلافا من العبيد الآبقين ، ثم شنها حربا لاهوادة فيها على الرومان خلال سنتين (٧٣ — ٧١ ق.م) ، ولكن الجيش الروماني أغرق هذه الثورة فى بحر من الدماء ، وانتهى الأمر بصلب سبارتاكوس ومئات من انصاره حتى يكونوا عبرة لمن تنزع به نفسه الى التمرد أو المطالبة بالحرية .

وكان المجتمع الروماني نموذجا فى العالم القديم للتحالف بين الاستعمار والرأسمالية ، اذ كان يتوزع حكمه القادة العسكريون مع طبقة من الموسرين أصحاب التجارات والمصارف ، وقد عرفت الدولة الرومانية منذ عصر مبكر ألوانا من النشاط المصرفى والاحتكارات والشركات هي أشبه ما تكون بما نراه الآن فى البلاد الخاضعة لسيطرة رأس المال . وكان هؤلاء الرأسماليون مرتبطين ارتباطا وثيقا بالساسة والقادة العسكريين ، فرأس المال والاحتكار دائما وراء سياسة الفتوح الاستعمارية ، وكلما زادت رقعة الدولة استطاع هؤلاء الموسرون أن يمدوا نطاق احتكاراتهم ويمعنوا فى امتصاص ثروات الشعوب المغلوبة . نحن نرى هذا فى المجتمع الدولي اليوم ، ولكنه ليس شيئا جديداً مستحدثا ، بل يمكن أن نجد أصوله الموغلة فى القدم فى الامبراطورية الرومانية .

هذا هو الستار الخلفي الذى يجب الا يغيب عن أذهاننا ونحن نتحدث عن المسرحية التى نقدمها اليوم والتي تعرض لنا صورة من حياة المجتمع الروماني فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد .

ونعود الى روما فى ذلك الوقت لنرى ما كان يضطرب فيها من تيارات السياسة : الجمهورية تلفظ فى ذلك الوقت أنفاسها الأخيرة ، وهى تتحول سريعا الى ماسيعرف بعد ذلك باسم الامبراطورية Imperium تحت وطأة القادة العسكريين من أمثال قيصر ممن سيفرضون دكتاتورية رهيبة قائمة على سند عسكرى تمثله جيوشهم الغازية المنتصرة .

وكانت الدولة الرومانية قد عرفت من قبل ألوانا من هـذا النظام الدكتاتورى الارهابي ، كما حدث فى عهد القائد العسكرى « سيللا » (١٣٨ ـ ٧٨ ق.م) الذى حكم البلاد بالحديد والنار بين سنتى (٨٣ و ٨٩ ق.م) وكما سيحدث بعد ذلك فى عهد نيرون (٣٧ ـ ٦٨ ق.م.) .

وفى أواخر أيام الدكتاتور سيللا يبدأ فى الصعود نجم شاب من احدى عائلات الأشراف، لايلبث بعد سنوات أن يصبح أكبر امبراطور عرفه الرومان ، ونحن نعنى بهذا الشاب كايوس يوليوس قيصر Caius Iulius Caesar .

ولد قيصر سنة ١٠٢ ق.م ، وبدأ حياته السياسية فى أيام الحرب الأهلية الناشبة بين سيللا وماريوس ، وهى الحرب التي انتهت باعلان دكتاتورية سيللا فى سنة ٨٣ . وحدث أن أمره الدكتاتور فى أعقاب انتصاره بالانفصال عن زوجته « كورنيليا » ابنة أحد أعوان خصمه ماريوس ، ولكن قيصر رفض ، فحكم عليه سيللا بالاعدام ، وان كان الحكم قد خفف عنه بعد شفاعة بعض أصدقاء سيللا لديه . وخشى قيصر على حياته فى روما ، فهجرها الى قيليقيا Cilicia (قلقيليه العربية : فى آسيا الصغرى الصغرب قرب جبال الأناضول) حيث اشترك فى الحرب الدائرة هناك ضد ميتريداتيس

احد ملوك تلك المنطقة . وعاد قيصر الى روما بعد وفاة سيللا سنة ٧٨ق.م ؛ حيث بدأ نشاطه فى ميدان الخطابة السياسية . ولكنه آثر بعد الخطوات الأولى ان يتقن فن الخطابة أولا ، فرحل الى جزيرة رودس ، فقد كان الاغريق لا يزالون أساتذة للرومان فى فنون البلاغة ، ثم جاز مرة أخرى الى آسيا الصغرى حيث الحق الهزيمة بميتريداتيس من جديد . وفى سنة ٧٤ عاد الى روما التى كان يدور فيها صراع سياسى على السلطة . وكان أبرز رجال السياسة هناك هما « بومبيوس Pompeius » أحد القادة العسكريين المشهورين ، وغريم منافس له كان من رجال الحرب والأعمال والتجارات ، هو كراسوس Crassus (١) الذى كان قد أصاب من مضارباته فى الميادين ثروة طائلة أصبحت مضرب المثل . ورأى قيصر انه لا وسيلة له لاقتحام ميدان السياسة الا بالتقرب من عامة الشعب ، ثم عهد اليه بمنصب ادارى ومالى كبير (quaestor) فى اسبانيا ، فقضى هناك زمنا قصيراً عاد بعده الى روما حيث حاول تزعم الحزب الشعبي . ثم عهد اليه بمنصب قضائي وادارى (Aedilis) كان أشبه برياسة بلدية روما وتعهد

---

(١) ماركوس ليكينيوس كراسوس (١١٥ - ٥٣ ق . م) بدأ حياته قائداً عسكرياً من قواد الدكتاتور سيللا ، وأعانه فى حربه ضد ماريوس . وحينما انتهت الحرب الأهلية بهزيمة هذا الأخير وقتله قام كراسوس بمصادرة أمواله والمضاربة بها في التجارة حتى اكتسب من وراء ذلك ثروة طائلة . وكراسوس هو الذى قضى على ثورة العبيد بزعامة سبارتاكوس . واشترك بعد ذلك فى الحكم الثلاثي لروما مع بومبيوس وقيصر . وفي سنة ٥٣ ق.م. توجه على راس حملة لقتال الفرس (البارثيين) ، ولكنه هزم فى شمال العراق هزيمة ساحقة . وأسره الملك الفارسي أورودس ، ثم امر بقتله ، ويقال انه صب في فمه ذهبا منصهرا ، وقال له : « لتشبع الآن من هذا المعدن الذى طالما ذهب بعقلك طوال حياتك » اشارة شهوة كراسوس الى المال وجمع الذهب . ويذكر المؤرخ بلينيوس أن ثروة كراسوس كانت تقدر بـ ٨٠٠٠ قطعة ذهبية (أى مايقرب في حساب اليوم من نحو سبعة ملايين من الدولارات) .

مؤنها والاشراف على أسواقها وتنظيم مهرجاناتها وحفلاتها . ولكن ما انفقه فى سبيل الوصول الى هذا المنصب وعلى الانتخابات التي جرت لاختيار الرئيس الأعلى للكهنة انتهى به الى الافلاس . غير ان كراسوس الذى تحول على الرغم من ثروته الطائلة الى الحــــزب الشعبي هرع الى مد يد المعونة اليه .

وفى هذه الأثناء وقعت فضيحة لوثت اسم قيصر وكانت مادة لاحاديث الناس ولغطهم فى روما ، ذلك أنــه بينمــا كانت تجــرى الاحتفالات الدينية بالهة الأنوثة والأمومة « الالهة الطيبة Bona Dea — وهي احتفالات لا يسمح لأى رجل بحضورها — اذا بأحد النبلاء ويدعى كلاوديو بولسر يقتحم المعبد فى زى النساء ، ويعرف بعــد ذلك أنه انما فعل لعلاقة غرامية كانت بينه وبين بومبيا Pompeia زوجة قيصر . ويدور التحقيق فى هذه الفضيحة ، ويــرى قيصر نفسه مضطراً الى نفى التهمة عن زوجته محافظة على سمعته ،على أنه مع ذلك يطلق بومبيا قائلا : « ما كان لزوجة قيصر أن تحــوم حولها الشبهات » .

ثم عين قيصر حاكما أعلى لاسبانيا ، واستطاع خــلال وذت قصير هناك أن يجمع لنفسه ثروة عظيمة ، على عادة جميع حكام ستعمرات الرومانية فى الاغتناء السريع على حساب شعوب تلــك المناطق . وبرزت مواهب قيصر العسكرية هناك ، فمد الســيطرة الرومانية على أقصى أطراف شبه جزيرة ايبريا التى كانت لاتخلد أبداً الى الطاعة .

وعاد قيصر من جديد الى روما وقد ســطع اســمه وطارت شهرته ، وحينئذ اشترك مع كراسوس وبومبيوس فى « الحكومة الثلاثية » (سنة ٦٠ ق.م.) . وحاول نفر مــن أعضــاء مجلــس

الشيوخ بزعامة « كاتو » (١) والخطيب المشهور ذى السياسة الهوائية المتقلبة « شيشرون » (٢) أن يقاوموا هذه الدكتاتورية الثلاثية ، ولكن على غير جدوى . كذلك كان من بين مهاجمى قيصر الشاعر الفيرونى المعروف كاتولوس الذى وجه اليه أهاجى ساخرة مقذعة تعتبر من أعنف نماذج الشعر الهجائي .

ولكن كل ذلك لم يحل دون وصول قيصر الى السلطة ، فقد عهد اليه فى سنة ٥٩ ق.م بمنصب « قنصل » يتقاسمه مع سياسى ثرى استطاع بماله أن يقتحم ميدان السياسة هو ماركوس بيبولوس Marcus Bibulus ، غير أن قيصر سرعان ما أخمل منافسه وزميله ، وأصبح هو المنفرد الحقيقي بالسلطة ، وعمل قيصر على تملق الشعب باصدار قانون زراعى لتوزيع الأرض على الفلاحين . وزادت شعبيته ، فلما أجرى بعد ذلك استفتاء عام منح الشعب قيصر حكم بلاد الغال كلها لمدة خمس سنوات . وبهذا سيطر على الجيش بحجة محاربة الغاليين ، ولكنه لم يلبث أن غير طريقه وعاد

---

(١) كاتو الاوتيكى M:rcus Porcius Cato de Utica يعرف بالاوتيكى أو الأصغر تمييزاً له عن جد أبيه المعروف باسم كاتو الكبير أو الرقيب (Censor) ، عاش بين سنتى ٩٥ و ٤٦ ق.م. ، وكان مثل جده الأعلى نموذجا للتقشف ونزاهة اليد ، واشتهر بالهجمات العنيفة التى كان يشنها فى مجلس الشيوخ على القادة العسكريين الذين كانوا يطمعون فى فرض تسلطهم على الحكم فى أواخر عهد الجمهورية . وكان معروفا بالميل الى الفلسفة الرواقية . وكان كاتو ممثلا للعامة في صفوف الجيش في مقدونيا ، ثم عهد اليه بمنصب قضائى مالى (cuestor) ومدني (praetor) . واشتهر بأنه أعنف خصوم الدكتاتورية الثلاثية التى أراد فرضها بومبيوس وقيصر وكراسوس . ولكنه بعد ذلك انضم الى حزب بومبيوس ، فلما انهزم هذا أمام قيصر في سنة ٤٦ ق.م. انتحر بسيفه قبل أن يقع في يد قيصر . ومن المأثور قول قيصر حينما أتاه نبأ انتحاره : « كاتو ... انى أحسدك على ميتتك ، فقد ضيعت علىّ ماكنت أطمع فيه من مجد حينما أمن عليك بالعفو » .

(١) ماركوس توليوس شيشرون Marcus Tulius Cicero (١٠٦ –

الى روما ليجرى انقلابا عسكريا مسلحا يفرض بمقتضاه دكتاتوريته على البلاد . واضطر منافسه القوى بومبيوس الى مهادنته ، بل انه زوجه من ابنته يوليا . وهكذا بدأ الأمر يستتب لحكم هذين القائدين . ومضى قيصر الى حملته فى بلاد الغال فدوخها خلال ثماني سنوات . ولكن وفاة زوجته يوليا سنة ٥٤ ق.م. وكراسوس سنة ٥٣ لم تلبث أن أنهت الحكم الثلاثي وأدت الى اندلاع الحرب الأهلية من جديد . وانتهز بومبيوس صهر قيصر وخصمه القديم فرصة غياب قيصر فى بلاد الغال لكى يحمل مجلس الشيوخ على اصدار قرار بعزل قيصر وتجريده من كل مناصبه . ويعود هذا على وجه السرعة الى روما فيحتلها ويدب الذعر فى صفوف خصومه ، فيفر بومبيوس الى بلاد اليونان . أما قيصر فانه ينظم حكومته فى روما ثم يقود حملة خاطفة الى اسبانيا حيث يخمد ثورة المناصرين لبومبيوس . ولاتمضى أشهر حتى يجهز حملة أخرى لتعقب خصمه فى بلاد اليونان، ويلحق بعد ذلك به هزيمة ساحقة فى موقعة فارساليا (سنة ٤٦ ق.م.) ويهرب بومبيوس مرة أخرى الى الاسكندرية

---

٤٣ ق.م.) أشهر خطباء الرومان وبلغائهم . رحل الى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى ليستزيد من فن الخطابة ودراسة الأدب ، واشتهر بمعارضة حكم سيللا الدكتاتورى ، ثم آثر الهرب من روما خوفا على حياته ولم يعد الا بعد وفاة الدكتاتور الرهيب سنة ٧٨ ق.م. وتولى شيشرون بعض المناصب في صقلية ثم عاد الى روما حيث ذاعت خطبه النارية ضد كاتيلينا Catilina الذى كان يحوك مؤامراته ضد مجلس الشيوخ .وكان من معارضي الدكتاتورية الثلاثية (بومبيوس ـ كراسوس ـ قيصر) ، ولكنه كان هوائيا متقلبا ، اذ انضم أولا الى حزب بومبيوس فلما هزم هذا فى موقعة فارساليا سنة ٤٦ق.م انقلب الى تأييد قيصر ، ولما اغتيل قيصر فى مجلس الشيوخ سنة ٤٤ لم يتورع شيشرون عن التصفيق لقاتليه ، وكان من مظاهر تقلبه كذلك تأييده أولا لماركوس أنطونيوس ثم تغيرة عليه ومهاجمته اياه بأعنف لسان ، فلما استولى هذا على السلطة قبض على شيشرون وانتهى الأمر بقتله على يد أحد أعوان أنطونيوس سنة ٤٣ ، وكان مصرعه جزاء وفاقا على سياسته المتقلبة الانتهازية . وكان شيشرون خطيبا كاتبا ضرب به المثل فى البيان والفصاحة .

حيث يقتله بطليموس تقربا الى قيصر . ويصل هذا الي الاسكندرية، ومنها ينتقل الى مختلف المناطق التي لاتــزال موالية لبومبيــوس فيسحق الثائرين فيها . وفى سنة ٤٤ ق.م. يعود الى روما حيث يخلو له الجو ، وينادى مجلس الشيوخ به دكتاتوراً مدى الحياة ، ويسبغ عليه لقب « امبراطور » Imperator .ولكن القدر لا يترك لقيصر فرصة التمتع بثمرات انتصاره ، اذ تدبر ضده مؤامرة فى مجلس الشيوخ ، ويباغته المؤتمرون ويقتلونه فى قلب المجلس فى ١٥ مارس سنة ٤٤ ق.م.

لنتخيل الآن رومــا حينمــا كانت « المدينة الخالدة » تمــد سيطرتها على معظم العالم المعروف فى ذلك الوقت ، وحينما كانت جيوشها وأساطيلها الظافرة تجوب البر والبحر مؤكدة سلطانها على الشعوب المغلوبة .

روما هى مركز العالم المتحضر ، وعاصمــة الدنيــا ، ويكفى للتحقق من ذلك أن نتجول قليلا فى شوارعها الفسيحة المستقيمة ، تتخللها أقواس النصر المنصوبة تذكيراً بانتصارات القواد الرومــان العظام الذين دوخوا الشعوب وأذلوا العــالم ، وميادينهــا الهائلــة تتوسطها تماثيل رجالات الرومان وهم منتصبون شامخون : امــا على صهوات جيادهم أو مثبتين أقدامهم فى الارض وهــم بزيهــم العسكرى ، وكأنهم يطأون أنوف الشعوب ، وهم يلوحون بسيــوف مشرعة تتهدد كل من تحدثه نفسه بعصيان .

وهناك غير بعيد مــن ضفــاف « التيبر » الملعــب العظــيم (السيرك) الذى يسع ثمانين ألف شخص ، أقامه الزعماء الرومان لكى يرفهوا به عن الشعب ويقيموا له فيه حفلات لاتنقطع طــوال السنة ، منها حفلات مسرحية ، أو سباق عربات ، أو مصارعات بين أولئك السيافين المحترفين ، أو بينهم وبين الوحوش الضارية ... فى هذا السيرك سيلقى أباطرة الرومان الوثنيون بعد قرن من الزمان بمعتنقى المسيحية حتى تلتهمهم السباع الجائعة ، بينما ألوف من

أفراد الشعب يهللون ويهتفون فى فرح مسعور ، وقد هاج المنظر كل ما كمن فى نفوسهم البشرية من غرائز وحشية عارمة .

ولكن الزعماء ومحترفى السياسة يرون فى هـذه الحفـلات متنفسا لهذا الشعب الذى كانوا يسمونه « العامة » أو « الغوغاء » فى احتقار أرستقراطى أصيل ، فهي تلهيه عما هم منغمسون فيه من منافسات وتسابق على الحكم ، ثم انه يثير غرائزهم الوحشـية ، ويهيج فى نفوسهم الظمأ الى الدماء ، وهذا مما يعـين على الالقـاء بالآلاف من هؤلاء المساكين وقودا فى أتون الحروب التي لا تنتهي والتي يصورونها له كما لو كانت دفاعا عن مجد روما وعن حضارتها ضد الشعوب « المتبربرة » .

نحن الآن في سنة ٥٩ قبل الميلاد . يوليوس قيصر ذلك القائد الشاب الذى سطع نجمة فى السنوات الأخيرة هو الآن معبود هـذه الجماهير الرومانية المتعطشة للانتصارات العسكرية . لقد أصبح قيصر عضواً فى الحكومة الثلاثية التي تهيمن على مصير الدولة مع بومبيوس وكراسوس . وهو الآن قادم من اسبانيا بعد أن أخمد الثورة التي أشعلها هناك أولئك الايبيريون المثـيرون للمتاعب ، النزاعون دائما الى العصيان : وبعد أن جمع لنفسه ثروة طائلة على عادة حكام الرومان للمستعمرات .

قيصر يستعد لدخول روما ليرشح نفسه فى الانتخابات القادمة لمنصب القنصلية ، أعلى مناصب الدولة .

فى هذا الجو السياسى المشحون تدور مسرحيـة **السـمك العسير الهضـم** . هي مسرحية تمثل لنا قطعة من التاريخ الروماني كما يفهمة المؤلف . طبيعى أن شخصيات المرحية ليست تاريخية خالصة ، فالمسرحية عمل أدبي لا يفترض فى مؤلفها الالتزام بكل وقائع التاريخ أو شخصياته ، ولكن عددا من شخصياتها والاحداث التي يشير اليها ثابت من الناحية التاريخية ، وان كان المؤلف قد أضاف اليها الكثير من نسج خيالة ، نرى هذا بصفـة خاصـة فى

الشخصيات التي تمثل الشعب او العامة كما كان الرومان يسمونه ، فالمؤرخون دائما كانوا ينسون أو يهملون التاريخ للشعب ، اذ كانت كتبهم ترتبط دائما بأهواء الملوك والزعماء والقادة ، أما « العامة » أو « الرعاع » فليس لهم مكان فى مدونات التاريخ ، ولا فى التماثيل والنقوش التي تخلد ذكر « العظام » ... وليقنعوا بما يكتبه عنهم شاعرا أو قصاص أو مؤلف مسرحي .

هؤلاء العامة المساكين هم الذين يستعدون الآن لاستقبال قيصر والهتاف له ، وان كان الكثيرون منهم لا يهتمون بالسياسة ولا بالساسة ، بل هم يريدون الحياة فى سلام منصرفين الى كسب قوتهم اليومى ، أما النزاع بين السياسيين فلا يهمهم الا بقدر ما يلقى به اليهم هؤلاء من فتات الموائد أو ينظمونه لهم من حفلات ترفية .

فى هذا الجو تجرى أحداث المسرحية التى تتشابك فيها عناصر التاريخ بما أضافه اليها المؤلف من نسج الخيال .

اما العناصر التاريخية التى اتخذ منها مانويل جاليتش هيكل مسرحيته فهى جو من التنافس بين ساسة الرومان وزعمائهم فى الفترة التي سبقت وصول قيصر الى الحكم ، واعلان دكتاتوريته المطلقة على الجمهورية التي كانت تؤذن بالتحول الى امبراطورية .

وكان وصول قيصر الى الحكم بفضل تقربه الى العامة ، هذا شيء مؤكد من الناحية التاريخية ، ولكن المؤلف استطاع أن يبتكر لنا هنا رمزاً بديعا يمثل لنا فيه تلك القوة الرهيبة التى توجه « الرأى العام » فى روما ... هى شخصية « أرتوتروجوس » العبد الرومانى الذى اخترع بدعة جديدة هي « السجل اليومي لأخبار الشعب الروماني » ... وهو عن طريق هذا السجل وما ينشره فيه من أخبار يستطيع أن يوجه الرأى العام على هواه أو بتعبير أصح على هوى من يدفعون له .

والذى يدفع لأرتوتروجوس هو رجل المال الغنى مامورا . وقد كان مامورا شخصية تاريخية بشهادة ماجاء فى أهاجى الشاعر

كاتوللوس أو كاتولو (١) القيصر . ولكن التاريخ لم يعرف عنه أكثر من هذا ، اما مؤلف المسرحية فقد صوره لنا عبدا قديما أوصلته الصفقات المريبة والمتاجرة فى أقوال الناس الى أن يصبح مليونيرا يشترى الزعماء ، ويوجه التيارات السياسية وفقا لمصالحه هو .

ونود بهذه المناسبة أن نطلع القارىء على الأبيات التى هجا بها كاتولو الشاعر قيصر وماموروا ، اذ أن لها قيمتها فى الصورة التي عرضها لنا مانويل جاليتش للرجلين

يقول الشاعر بالنص :

« Pulcre conuenit improbus cinaedis,
Mamurrae pathicoque Caesarique,
nec mirum : maculas paris utrisque,
urbana altera et illa Formiana,
impressae resident nec eluentur :
morbosi pariter, gemelli utrique,
uno in lecticulo, erudituli ambo,
non hic qua mille magis vorax aulter,
riuales sociei puellularum ;
pulcra conuenit inprobis cinaedis. »

ونورد فما يلى ترجمة لهذا النص اللاتينى بتصرف قليل متابعين فيها الترجمة الاسبانية التى ساقتها ايديث هاملتون فى كتابها « ازدهار روما El esplendor de Roma » (Ediciones Peuser, Buenos Aires, 1964) :

---

(١) كايوس فاليريوس كاتوللوس Caius Valerius Catullus . (٨٤ - ٥٤ق.م.) من اشهر شعراء اللاتينية . ولد في فيرونا Verona فى الفتره المضطربة التي سبقت سقوط الجمهورية واعلان الامبراطورية . وهو أبرز شعراء الطائفة التى أطلق شيشرون عليها لقب « المجددين » ، وكانوا يقلدون الشعر الاسكندرى . واشتهر كاتوللوس بقصائدة العاطفية المشبوبة التي تغزل فيها بلسبيا Lesbia ، وكذلك بأهاجية اللاذعة لقيصر .

« ما أشد الوفاق الذى يجمع بين مامورا وقيصر فى كل شىء .
فكلاهما منحل منغمس فى أحط دركات الرزيلة !

وليس هذا بغريب .

فالقذارة التي تلطخهما عريقة الأصول .

وليس فى وسع اى قوة أن تغسلها عنهما .

هما مريضان ... تراهما على سرير واحد

كلاهما عالم واسع المعرفة بكل أنواع التحلل والفجور
وكلاهما متوحش مفترس لايكاد يشبع .

كأنهما توأمان ما أعجب توافقهما والتئامهما فى كل شيء » .

هذه هي الأبيات التى استخدمها المؤلف فى مستهل الفصل الثاني فى اجراء خطاب حماسى يلقيه الشاعر كاتولو أمام الجماهير مهاجما قيصر ومامورا . ويمكن أن نلاحظ فى أبيات كاتولو اشارة الى تهمة ليس هنا مجال النقاش فيها ، تهمة ردد المؤرخون نسبتها الى قيصر وتكاد تكون ثابتة حقيقية : هي أن كان مصابا بشذوذ جنسي كان شائعا بين الاغريق ثم ورثه عنهم الرومان . على أن مانويل جاليتش حمل الأبيات ـ فضلا عما فيها من تعريض بهذه الناحية ـ معنى آخر سياسى الطابع ، ثم استغلها لرسم شخصية مامورا ، رجل الأعمال الشرى الذى تربطه بالقائد العسكرى قيصر صلات تحالف وثيق ، هو التحالف بين الراسمالي المحتكر والعسكرى المصاب بجنون العظمة . قيصر هوالقائد المظفر الذى يوسع رقعة الدولة ليروى ظمأ الشعب الروماني الى مزيد من الانتصارات والفتوح ، لكنه ليس الا دمية تحركها أصابع مامورا التاجر المحتكر الذى يرى فى المستعمرات أسواقا جديدة لتجاراته ، وهو فى سبيل ذلك يشترى ذمم العسكريين والساسة ، بل والراى العام نفسه .

أما الشعب الروماني فانه لايكسب شيئا مـن وراء ذلك ،بل هـو يزداد فقرا وجوعا ، ولكن «أفيون » الانتصارات العسكرية ومزيدا من حفلات الترفيه الوحشية تقوم بتخدير هذا الشعب المسكـين بينما تتكدس الأموال فى خزائن مامورا ، ويخلد هو الى « هضم وجبته » فى هدوء واطمئنان .

مامورا الذى يمثل هذه السيطرة الاقتصادية التي تتحكم فى الساسة والقواد العسكريين ... ولو أننا التمسنا صورة حديثة له فى تاريخ جواتيمالا المعاصر لقلنا انه « شركة الفواكه المتحدة » أو امثالها من شركات الاحتكار التي تعز وتذل ، وتولى وتعزل،وتضع على كراسي الحكم من ينقادون لما تملى به من أحكام .

وقد كان كاتولو الشاعر شخصية تاريخية كما رأينا ، ولكنه لم يشترك فى السياسة الا بهذا القدر الذى تصوره لنا أهاجيـة لقيصر ، على ان المؤلف قدمه لنا فى صورة بطل يحاول أن يفتح عيون الشعب على المهازل الدامية التي يُسَخَّر فيها من أجل حفنة من العسكريين ومحترفي السياسة وتجار الحروب .

وقد حفظت عن كاتولو قصائد كثيرة فى الغزل بمن يسميها « لسبيا » واستغل المؤلف هذه الناحية فى براعة واقتدار ، فجعل اسم لسبيا تورية عن غزله بامرأة من طبقة النبلاء متزوجة من أحد رجال الدولة ، هي « كلاوديا » ، وهي امرأة جميلة لعوب لا يهمها الا ان تحيط بها نظرات الاعجاب من الرجال وأن تتركز عليها أضواء المجتمع الروماني الراقى .

ونرى كيف استطاع مانويل جاليتش أن يقدم لنا فى هذا الحب الفاشل بين كاتولو وكلاوديا صورة حية لرذائل المجتمع الروماني ويربط بينها وبين عالم السياسـة . فكلاوديا الجميلة لا يهمها الا أن تشخص اليها أنظار الجميع ، اعجاب وشراهة ، وهى لاتكن ذرة من الاخلاص لزوجها حاكم احدى المقاطعات الرومانية ، بل انها لا تتورع عن التفكير فى التخلص منه حتى تنفرد لحبيبها الجديد

كاتولو ، على أن الحب عندها لايساوى لذة السيطرة على الرجل وان تظل فى المجتمعات والحفلات محط أنظار الجميع . فهي تستشيط غضبا حينما يبلغها أن « أوريليا » أم يوليوس قيصر والسيدة الأولى فى المجتمع الروماني آنذاك قد قررت منعها من الاشتراك فى حفلات الهة الخير والخصوبة بحجة سلوكها الذى تعتبره أم قيصر شائنا مخلا . وتثور ثائرة كلاوديا وتصمم على الانتقام .

ويتفق أن تكون « بومبيا » زوجة قيصر على صلة غرامية بأحد النبلاء يدعى « كلاوديو » ، ويحدث أن يقتحم كلاوديو هذا قصر قيصر ، اذ أن الاحتفالات تجرى فى معبد القصر فى تلك السنة ، وهو متزئ بزى النساء ، وذلك لكى يلتقى سرا بزوجة قيصر . وكان التقليد المتبع فى هذه المناسبة يقضي بالايسمح لرجل — بل ولا لكل ما يمت الى الذكورة بصلة — بحضور تلك الاحتفالات ، اذ هى قاصرة على النساء . ويقبض على كلاوديو بعد تدنيسه المعبد ، وتثور الفضيحة اذ يتردد على السنة المجتمع ما يقال عن علاقة بومبيا المريبة بكلاوديو ويقدم للمحاكمة ، غير أن قيصر الذى يرى أن مثل هذه الفضيحة سوف تؤثر على مركزه يتدخل فى الأمر ، فيبرىء كلاوديو من التهمة وان كان يقرر الطلاق من زوجته التي حامت حولها الشبهات (١) .

---

(١) الاشارة هنا الى هذه الاحتفالات في المسرحية والى الفضيحة التى لوثت اسم قيصر فيها تاريخية واقعية كما أشرنا الى ذلك عند الحديث عن تاريخ حياة يوليوس قيصر . وقد كانت احتفالات الرومان بهذه الالهة الافريقية الاصل من أهم ماتوليه الدولة والشعب والكهنة أعظم عناية . والهة الخير والخصوبة هى سيبيل Cybele أم الآلهة ، وكان الافريق يطلقون عليها اسم ريا Rhea . وفي سنة ٢٠٠ ق.م. حمل الى روما الحجر المقدس المعروف باسم Magna Mater Idaea (حجر الأم العظمى) الذى كان يمثل عبادة سيبيل باعتبارها الهه الأمومة والخصوبة . وتذكر الميثولوجيا أن سيبيل هى بنت السماء والارض وأم الآلهة جوبيتر (الرب الاكبر) ونبتونوس رب البحر وجونو زوجة جوبيتر وسيريز ربة الزراعة . وتذكر الاساطير أن سيبيل حينما ولدت تركت في الغابة ، فتولت الوحوش

←

وقصة هذه الفضيحة تاريخية وقعت فعلا ، ولكن مؤلفنا استخدمها جزءاً من وقائع مسرحيته ، أذ أنه جعل كلاوديو المذكور أخا لكلادويا صاحبة كاتولو ، ثم انه اتخذ من الفضيحة كلها ركنا من أركان المؤامرة التى نسجها ماموراً وأرتوتروجوس لكى تكون مادة يتلهى بها الشعب حتى ينصرف عن خطب كاتولو النارية التى كان يوجهها ضد ذلك الجو السياسى الموبوء الفاسد .

وساق لنا المؤلف بعد ذلك شخصيات من ابتكاره تقاسم تلك الشخصيات الأخرى الحقيقية فى حياتها ، وتضطرب معها فى الأحداث ، ووصل بين هذه وتلك على نحو جعل من جميعها قطعا لا غنى عنها فى اجراء الوقائع والحوار ، حتى تنحل عقدة المسرحية فى النهاية بتلك الغضبة الشعبية الثائرة ، وبذلك القصاص الذى يوقعه الشعب على من تلاعبوا به وضللوه ، وهم يتمثلون فى ماموراً وأرتوتروجوس .

وشخصية هذا العبد الاغريقي طريفة حقا، وقد عرف جاليتش كيف يفرغ فيها قدرته على السخرية والاضحاك ، وهي فى الواقع رمز خالد حي يصور لنا قطاعا كبيرا هاما فى الحياة السياسية

← اطعامها وتربيتها (ولهذا فهى تصور في التماثيل بصورة امرأة حامل ــ اشارة الى الخصوبة ــ وهى جالسة على عربة تجرها السباع والوحوش) . ومن أجمل التماثيل المقامة لها في الوقت الحاضر تمثالها الذى يتوسط ميدانا من أكبر ميادين مدريد ، حيث تقوم مصلحة البريد ، والميدان نفسه يحمل اسم هذه الالهة : Cibeles) . وتذكر الاسطورة بعد ذلك ان الـه النبات أتيس Attys بعد حب فاشل لسيبيل انتهى الى الحاق افظع مثلة بنفسه ، اذ انه خصى نفسه ومات ، ثم عادت اليه الروح ، ورجع الى سيبيل التى لم تكف عن التجوال به فى عربتها التى تجرها الاسود . وقد كانت الاحتفالات الرومانية بسيبيل من أجل ذلك قاصرة على النساء تذكيرا بما وقع لاتيس فى سبيل حبها . وهذا هو تفسير ما ورد في الفصل الثانى حول الاحتفالات الدينية التى اقتحمها كلاوديو مدنسا بذلك معبد الهة الامومة .

والفكرية للمجتمعات القديمة والحديثة على السواء . أرتوتروجوس هو الذى تتمثل فيه قوة الصحافة وسلطانها الكبير ... صحافة العصر الروماني التى قد تختلف عن صحافة اليوم فى وسائلها واخراجها ، ولكنها هي نفسها صحافة المجتمعات الحديثة ولا سيما القائمة منها على الاستعمار وتجارة الحروب . هو رجل يفهم الديمقراطية والحرية على انها حريته هو فى أن يكتب ما تمليه عليه مصالح سادته الذين يدفعون له ... و « صحافته » تقوم على نشر الفضائح المثيرة التى تأخذ بألباب الجمهور وتصرفه عن التفكير فيما يفعل به الساسة والعسكريون ... فضائح من كل لون : خلقية وسياسية ، أو أخبار مختلقة ، أو دفاع عن هذا الحزب أو ذاك ... هي الصحافة المأجورة المرتزقة التى تسخر أقلامها لمن يغدق العطاء، تماما كما نرى فى صحافة كثير من مجتمعات اليوم ، فهي ليست الا مطية وأداة للدفاع عن مصالح حفنة من محترفي السياسة او أرباب التجارة المحتكرين المستغلين .

وفيبنيو العبد الفيلسوف هو الذى يمثل التفكير الرزين الهادىء فى غمار هذا العالم المضطرب المجنون ... هو رجل على هامش تلك الحياة السياسية المتعفنة . وقد استطاع مانويل جاليتش أن يجرى على لسان هذا العبد الأسير خلاصة تفكيره السياسي . انه يرى عظمة روما وما يخلب النظر فيها من مظاهر المجد والثروة ، ولكن كل هذا لا يخدعه ... فهو ليس الا ظاهرا براقا لا يلبث أن يزول . روما هذه التي لا تكف عن الانتفاخ على حساب سائر شعوب الارض ستصل بها التخمه فى يوم من الايام الى حد الانفجار ... وحينئذ سيأتى الدور على شعوب أخرى لا يهم أن نعرف من هي ... ربما كانت اكثر شعوب العالم الآن تخلفا وهمجية ... كالبريطانيين مثلا أو احدى سلالاتهم ... وسيحكم هؤلاء السادة الجدد العالم كله زمنا ما ، حكما قائما على القهر والسيطرة والاذلال كما تحكم

روما اليوم ... ولكنه ككل حكم قائم على الظلم والخداع سوف ينتهي لا محالة الى زوال ...

الاشارة هنا واضحة الى ما يعنيه المؤلف ، وهي لا تحتاج الى مزيد من الايضاح ، وهو يعبر لنا فيها عن رايه فى تلك الضروب من السيطرة الاستعمارية التى لن تلبث أن تزول اذا صدق عزم الشعوب على الكفاح ، كما ازالت عامة الشعب الروماني عن طريقهم تاجر الحروب ماموراً وصنيعته ارتوتروجوس ... لا بد أن تكون للشر نهاية ... وستنتفض الشعوب لكى تفسل عن جبينها سبة هذا الحكم الفاشم الذى يفرضه عليها ورثة الاستعمار الروماني القديم .

هذا هو تفكير مانويل جاليتش السياسي ساقه على لسان فيبنيو ذلك الفيلسوف الذى يكاد يكرر فى عباراته نظرية قديمة عن دورة الحضارات والأمم ، نظرية سبقه اليها مؤرخنا وفيلسوفنا العربي العظيم ابن خلدون فى القرن الرابع عشر الميلادى .

وفى المسرحية بعد ذلك صورة أخرى ساخرة ، مثل الصورة التى رسمها المؤلف لتيتينو « المتسول الدبلوماسي » ، فهي رمز لطراز من أولئك السفراء الذين يمثلون دويلاتهم المغلوبة على أمرها فى عواصم الدول الاستعمارية الكبرى ، فهم لا يزيدون على كونهم مرتزقة يعيشون على الصدقات التى يتلقونها من حكام تلك الدول او من كبار رجال المال فيها ، ولكن ما يتلقونه ليس مجرد صدقة او هبة ، بل هو رشوة مقنعة أو أجر على عمل يتعهدون بأدائه : هو التمكين للدولة الاستعمارية ونفوذها السياسي والاقتصادى فى بلادهم ... تماما كما نرى فى الرواية حينما يطلب ماموراً الى تيتينو أن يذكره بالموعد الذى يتعين فيه على مقاطعته (أو مستعمرته) دفع الضرائب لروما ، اذ ان ماموراً مستعد حينذاك لكي يمنحه « قرضا » جديدا ! ...

ويرسم لنا مانويل جاليتش صورة للعسكرى المسكين « فوريو » الذى يشترك فى الحملات الاستعمارية التى يقودها قيصر فى مختلف بقاع العالم ... انه لا يعرف أين يمضون به تلك فى الحروب ، ولا يعرف لماذا يحارب . كل ما قالوا له هو أنه سيكون بطلا يدافع عن مجد روما ويحمي حضارتها من « البرابرة » ... ولكنه يتبين فى النهاية أنه كان غبيا يساق الى الحرب للدفاع عن مصالح ماموروا وصفقاته المريبة المتسترة وراء حملات قيصر ! ...

الشخصيات فى المسرحية ـ كما ذكر المؤلف بحق ـ « رموز شفافة صريحة ، بعيدة عن التأدب فى مخاطبة الاقوياء ذوى البأس »، وهي تصور واقعا فى حياتنا المعاصرة ، وان كان المؤلف قد ألبسها ثياب الرومان ،وأجرى أحداثها وحوارها فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد .

مسرحية **سمك عسير الهضم** كما سنرى قطعة رائعة من المسرح التاريخي أو « شبه التاريخي » كما آثر الكاتب تواضعا وتأدبا أن يقول . ولكنها ـ وهنا وجه براعة المؤلف وابداعه ـ ليست مجرد تسجيل أصم بارد للتاريخ ، بل عمل فنى أدبى حاول الكاتب أن « يفلسف » فيه هذا التاريخ ويقدم لنا منه درسا وعبرة .

وهي أخيراً تمثل هذا الأدب الثورى الجديد الذى يعتبر ابرز ظواهر الحياة الفكرية فى قارة أمريكا اللاتينية ، هذا الأدب الذى لا يمثل حياة تلك القارة المكافحة الفتية فحسب ، بل حياة كل الشعوب المحبة للحرية ، فى ظل عدالة حقه ، ومجتمع انساني تسوده مبادىء المساواة والسلام .

القاهرة فى يناير ١٩٦٩

د . محمود علي مكي

مقدمة بقلم المؤلف

ليست مسرحيــة **سـمك عسير الهضم** محاولة لاخراج تأويل علمي جديد لجانب من جوانب التاريخ الروماني ، بل وان كانت تعتبر لأول وهلة « رواية تاريخية » لا تلتزم التزاما حرفيا بواقع هذا التاريخ . غير أنه كان من الواجب أن تدور أحداث الرواية فى روما عاصمة الامبراطورية الرومانية وفى القرن الأول قبل ميـلاد المسيح ، لان فى هذه المدينة وفى ذلك الوقت بوجه خاص كان الشاعر اللاتينى الكبير «كايو فاليريو كاتولو Cayo Valerio Catulo » يكتب اهاجيه المريرة اللاذعة ضد يوليوس قيصر .

ولا يهمني فى هذه الرواية تحقيق التهم التى الصقها الشاعر الكبير بقيصر ومعرفة ما اذا كانت صحيحة أولا ، ولا دراسة كـل العيوب والرذائل التى نسبها الشاعر لشخصيــة ذلك القائـد العسكرى الذى أصبح حاكما مستبدا طاغية يسيطر على أقـدار امبراطورية ضخمة امتدت على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط من الشرق الى الغرب . كل هذا قد يهم المؤرخ أو الباحث ولكنه لا يهم المؤلف المسرحي بهذا القدر . كل ما هناك هو أن كاتولو حينما عبر عن كراهيته المسعورة لقيصر قد ترك لنا ــ ربما دون أن يقصد ــ رمزا حيا خالدا للحاكم المستبد الذى يحاول أن يفرض سيطرتـه الغاشمة عن طريق الحرب على الشعوب . . . هو رمز يمكن أن يسرى على كل مكان وزمان .

والرمز الآخر الذى قصدت الى ابرازه فى هذه المسرحية « التاريخية » ـ نسميها كذلك تجاوزا ـ هو « ماموراً Mamurra » صاحب الصفقات المربية ومحترف التجارة بأقوات الشعب ، المتواطىء مع قيصر الحاكم الطاغية ... هنا نرى التحالف غير المقدس بين الاستغلال الاقتصادى البشع والسياسة العسكرية القائمة على الفتح والروح الاستعمارية . المال من وراء سياسة الحرب ، والحرب فى خدمة رجل المال ... موضوع خالد ليس بمستحدث وان كنا نراه متجليا على أوضح صورة فى أيامنا الحاضرة. وهذا الموضوع هو الذى حملني على أن أعالجه من وجهة نظرنا نحن « العامة » ... عامة الشعب الروماني المسكين فى ذلك الوقت ... أو بتعبير عصرى : شعوب وقتنا الحاضر التي هي اليوم كما كانت فى الماضي ضحية ذلك التحالف المشئوم بين الاستعمار العسكرى والسيطرة المالية المستغلة ، ونحن نقع دائما فريسة لذلك التواطؤ بفضل « الأفيون » المخدر الذى تقدمه لنا فى « سخاء » أجهزة الدعاية المضلله التى ليست الا أدوات تحركها أيدى الاقوياء من قادة الجيوش ومن أرباب الأموال ... أجهزة الدعاية التى تتمثل فى « السجل اليومي لاخبار الشعب الروماني » كما تتمثل فى صحافة اليوم .

من أجل هذا كانت الاشارات والتوريات الساخرة فى رواية « سمك عسير الهضم » مباشرة صريحة شفافة أمينة بعيدة عن التأدب فى مخاطبة الاقوياء ذوى البأس ... تماما كما كانت اهاجي الشاعر كاتولو التى سدد سهامها المسمومة الى قيصر ! ...

مانويل جالينتش

سماك عسير الهضم

بقلم الكاتب الجواتيمالى

مانويل جاليتش

ترجمة : الدكتور محمود على مكى

شخصيات المسرحية

ابسيليلا : IPSILILA

قابلة وبائعة وصفات طبية وعقاقير وسموم

فيبنيو : VIBENIO

فيلسوف وعبد

بائع الحلى

بائع عطور

فوريو : FURIO

ضابط ومحارب قديم ، أعور

سماك

فولومنيا : VOLUMNIA

غانية اعتزلت « الخدمة » بسبب كبر السن

أرتوتروجوس : ARTOTROGUS

محرر « السجل اليومي لأخبار الشعب الروماني » ، عبد

كنتو كورنيفيسيو : QUINTO CORNIFICIO

صديق كاتولو ، شاعر

كايوفاليريو كاتولو : CAYO VALERIO CATULO

شاعر

تيتينـو : TITINO

متسـول ودبلوماسـي

كلاوديا بولسر : CLAUDIA PULCER

سيدة نبيلـة

فيلنيـا : FILENIA

جارية وموضع ثقـة لكلاوديا

مامـورا : MAMURRA

مراب راسمالي ، متعهد لجيوش الامبراطورية

أبـرا : ABRA

جاريـة بومبيـا

بوبليو كلاوديو بولسر : PUBLIO CLAUDIO PULCER

من النبـلاء ، أخو كلاوديـا

أوريليـا : AURELIA

ام قيصر

بومبيـا : POMPEYA

زوجـة قيصر

جمهـور العامـة :

رجال ونساء ، جوقة من النساء يقمن بدور كاهنات المعبد ، عبيد وجوار ، حملة محفات ... الخ .

الأحـداث :

تدور ظاهراً فى روما فى السـنة التاسـعة والخمسين قبـل ميلاد المسيـح .

الفصل الأول

(ميدان عام فى روما تطل عليه واجهة منزل كلاوديا . فى وقت رفع الستار يظهر على المسرح بائع الحلى والسماك وبائع العطور وابسيليلا)

ابسيليلا : (منادية فى صياح) عندى أحجبة الحب ! ••• وصفات لاخصاب النساء العواقر ! •••استعداد كامل لتوليد الحوامل !
(يدخل الى المسرح عدد من أفراد الشعب ، ومن بينهم فولومنيا وفوريو وتيتينو ، وأخيراً فيينيو)

عامة الشعب : (فى صياح وهتاف) قيصر ! قيصر ! يحيا قيصر ! ••• يعيش قيصر الامبراطور ! ••• يعيش قاهر بلاد الغال ! ••• النصر لقيصر ! بطل البرتغال ! •••ساحق الثورة فى اسبانيا ! ••• يحيا منقذ روما ! •••

فيينيو : (يدخل راسفا في قيد طويل تحيط سلسلتــه بخصره وتمتد الى كعبي قدميه مما يجعله يتحرك

فى خطوات بطيئة قصيرة) (متوجها الى ابسيليلا)
ما الخبر يا جدتي ؟

ابسيليلا : لاتقاطع ما أنا فيه من اعلان عن مهنتي . (تعود للنداء صائحة) وصفات لاجهاض الحوامل !
... مركبات لعقاب مرتكبي الخيانات الزوجية !

العامة : يحيا قيصر ! يحيا قيصر ! عاش الامبراطور !...
عاش الامبراطور !

ابسيليلا : حيل لتخليص الزوجات من الأزواج الغيورين !
من أرادني فليذهب الى حيّ « سوبورا » وليسأل عن ابسيليلا ! ...

فيبنيو : (متوجها الى بائع الحلى) لماذا يهتف الناس على هذا النحو ؟

بائع الحلى : وما يدريني أنا ؟ (مناديا) لآلىء من بلاد الهند السحيقة ومن جزيرة العرب الغامضة ! تحف فنية ! ... حلى وجواهر ! ... أرجوان وارد من مدينة صور .

العامة (فى : لقد اعترف مجلس الشيوخ بقيصر بطلا منتصرا !
أصوات مختلطة) ... يحيا قيصر ! ... قيصر الكريم ! غداً يغدق القمح على الشعب ويقيم له حفلات للترفيه .

فيبنيو : (متوجها الى بائع العطور) عَمَّ يدور حديث الناس ؟

بائع العطور : أنا أكره الكلام فى السياسة . (مناديا) عندى زيوت من الشام ! وكئوس من العقيق ومن المرمر .

فوريو : (مغطيا عينية اليسرى العوراء بخرقة من قماش أسود) قيصر هو أعظم قائد عسكرى عرفه العالم ... وليكف أنني أنا أقول ذلك ، اذ أنه مادمت أقوله ...

ابسيليلا : ما دمت أنت تقوله فان قيصر لا يمكن أن يكون من العظمة بحيث يبدو ! (ضحكات من العامة)

فيبنيو : (متوجها الى السماك) ... ولكن ... ما الذى يدور هنا ؟

السماك : اذهب الى الجحيم . (مناديا) سمك طازج ... وارد من بلاد اليونان !

فوريو : (مخاطبا ابسيليلا) ما الذى كنت تهمسين به يا عجوز السوء ؟

ابسيليلا : كنت أقول انك لا تعرف عن قيصر أكثر مما كانت تعرف جدة أمه . أما أنت فان مآثرك العسكرية

أقل من عدد عيون وجهك • (ضحكات) •

فوريو : عليك اللعنة ! ان هذه العجوز الخبيثة قد قتلت بسمومها من الناس أكثر مما قتل مولى فيبنيو على رمال حلبات السيرك •

فولومنيا : ومن هو مولى فيبنيو يا فوريو ؟

فوريو : هو ذلك السياف الملعون اجناثيو الاسباني • (النساء يطلقن تنهدات حارة)

فولومنيا (وقد رفعت رأسها وانقلبت حدقات عينيها في تواجد غرامي) اجناثيو الاسباني ! ••• القاهر الذى لا يغلب ! (تقترب من فيبنيو فى تودد وملاطفة) هل هو سيدك يا فيبنيو ؟

فيبنيو : نعم • لقد باعوني له في جملة قطيع من الأنفار •

فولومنيا : ما الذى تود مني أن أفعله لك لو أني طلبت اليك أداء معروف لي ؟ (تسرع نساء أخريات الى الالتفاف بفيبنيو)

فيبنيو : لو كان أداء هذا المعروف فى يدى لأسديته اليك دون مقابل • ما الذى تريدين ؟

فولومنيا : أريد تمثالا صغيرا لاجناثيو •

فيبنيو : هــذه التماثيل تباع فى الســوق • وبمختلف الأســعار •

امرأة ١ : أنا أريد قطعة من ازاره •

فيبنيو : هو لا يرتدى ازارا •

امرأة ٢ : وأنا أريد خصلة من شعره •

فيبنيو : هو يحلق رأسه ووجهه حتى لاتبقي عليه شعرة واحــدة •

امرأة ٣ : وأنا أهب حياتي لمن يأتيني بقلامة ظفر من قدمه •

فيبنيو : هو لا يقص أظافره أبدا •

امرأة ٤ : وأنا أعد نفسي أسعد النساء لو تمكنت من نيل أحد مناديله المستعملة •

فيبنيو : هو متعود على تنظيف أنفه بيده •

فوريو : (وقد ساءه أن ينصرف عنه الجميع ولا يعود أحد الى الاستماع الى ما يقول) انني أؤكد لكم أن قيصر هو أعظم قائد عسكرى •••

بائع الحلى : (يقاطعة مناديا) لدى تماثيل لاجنائيو الاسباني أبيعها بسعر التصفية ! •••

فولومنيا : (تهرع الى بائع الحلى ومن ورائها سائر النساء) تماثيل لاجناثيو ! أعطني واحدا •

فوريو : يالقلة الحياء ! ••• لم يعد أحد يهتم بالاستماع الى مآثر محارب قديم مجيد خاض المعارك فى سبيل الجمهورية • بل أصبح هؤلاء السيافون المحترفون هم الابطال المرموقين فى نظر هؤلاء الرعاع • (مخاطبا فيبنيو) كما كنت أقول لك ••• لقد خضت القتال تحت راية قيصر فى ••• فى ••• الحق أنني لم أعـرف أبدا أين كانوا يقودونني للقتال • ولهذا فان بوسعي أن أؤكد أن قيصر •••

فيبنيو : لا ترهق نفسك يافوريو ••• فأنا أعرف صفحة مآثرك العسكرية المجيدة عن ظهر قلب • ولكن قل لي : ما سبب هذا الضجيج والصخب الذى يسود الناس اليوم ؟

فوريو : ماذا ؟ ألا تعرف قيصر قد عاد من اسبانيا وهو الآن على أبواب روما ؟ انه يستعد الآن لدخول العاصمة في موكب الظافر المنتصر • لقد اعترف به مجلس الشيوخ بطلا يستحق أن يتوج بأكاليل الغار • ولتتصور أنت ما الذى يعنيه هذا • فقد اشتهر قيصر بكرمه واغداقه العطايا •

أرتوتروجوس : (من الداخل) السجل اليومي لأخبار الشعب الروماني !

فيبنيو : حمداً للآلهة ، هاهو ذا اليوناني بائع الأخبار .

فوريو : وما الذى يهم عبداً مثلك من أخبار يبيعها عبد آخـــر ؟

فيبنيو : أنا شخصيا لا تهمني فى شيء ، ولكني مكلف بأن أقرأ على سيدى اجناثيو الاســباني كل ما يتضمنه السجل اليومي للأخبار ، فأنا عقله الذى يفكر به ، ومن أجل هذا اشتراني .

فوريو : وما الذى يهمه هو مما يجرى فى العالم ؟

فيبنيو : هو يريد أن يجرب حظه الآن فى السياسة بعد ما وصل اليه من شعبه ، هذا على الرغم من أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب .

أرتوتروجوس : (ظاهرا على المسرح) (وهو عبد مشـــوه كبير الأذنين دميم الشكل قصير ضخم الكرش ، ذو وجه عريض مبطط يعلوه شعر خشن غليظ كأنه شعر خنزير جبلي ، يدخل حاملا ألواح السجل اليومي للأخبار ، ثم ينزلها عن كتفيه ويثبتها على حوامل خشبية فى مكان ظاهر من المسرح ، ويبدأ

بعد ذلك في النداء) السـجل اليومي لأخبـار الشعب الروماني ! أهم أخبار اليوم ، نعرضها فى خدمة الجمهـور الراقى المثقف • فى خدمة الرجال النبلاء أصحاب العز الدائم والسـيدات ذوات الجمـال الخالد ممن يشرفننى كل يوم برغبتهن فى استطلاع كل خبر جديد • اليكم أيها السادة ••• يمكن لكم أن تعرفوا بكل تفصيل آخر ما جد من أخبار فى مدينتنا الرائعة : روما الخالدة ! •••

السماك : السمك الطازج !

أرتوترجوس : ولكنه لا يصل في ذلك الى مستوى أخبارى أيها السـماك •

فيبنيو : (مخاطبا أرتوتروجوس) هل هناك جديد فى عالم السياسة ؟

أرتوترجوس : بغير شك ••• وأى أخبار ؟ ••• مثيرة ••• هائلة ! ••• أخبار ماكنت تخطر على البال !

فورير : (في استخفاف) باه ! ••• هي أخبار ليس فينا من لا يعرفها : أن قيصر عاد من اسبانيا •

أرتوترجوس : أنت مخطىء أيها الضابط • فهذا قديم قِدَم ابسيليلا • (ضحكات من العامة) •

ابسيليلا : وهـو خبر عفن الرائحة مثلك أنت يا مسخ الطبيعة • (تتردد الضحكات من جديد) •

أرتوترجوس : اسمعوا جميعكم ! (جمهور العامة يتطلع فى انتباه وتشوف) فضيحة كبرى ! ••• عملية تزوير ضخمة ••• تجرى بعد غد فى الانتخابات الجديدة لاختيار القناصل ممثلي السلطة العليا •

أصوات من الجمهور : عملية تزوير ؟ في الانتخابات ؟ ومن يجرؤ على ذلك ؟ وكيف سيتم هذا التزوير ؟

أرتوترجوس : آه ! ••• هل رأيتم ؟ خبر مثير ! ••• أليس كذلك ؟ لن تعرفوا تفاصيله الا اذا قرأتم السجل اليومي للأخبار • فمن أراد ذلك فليدنُ من الألواح الخاصة بأخبار السياسة وليقرأها فى مقابل ثلاثة دراهم فقط •

فيبنيو : مرة أخرى رفعت السعر؟لقد تقاضيت منا بالأمس درهمين اثنين !

أرتوترجوس : ان الشمع الذى أدهن به الألواح قد ارتفع سعره كثيرا يا عزيزى فيبنيو •

فوريو : ان هذا نصب واحتيال •

أرتوترجوس : الذنب لا يقع عليَّ فى ذلك ، بل هو ذنب التضخم

المالي أيها الضابط الكريم • ولكنكم اذا انتخبتم لوسيثو وماركوبيبولو فى مناصب القنصلية فسترون كيف تعود أسعار جميع السلع الى الانخفاض • هذا اذا لم يقع تزوير في الانتخابات يؤدى الى اغتصاب المنصب منهما •

فيبنيو : ومن الذى يستطيع اغتصاب القنصلية منهما ؟ وكيف يمكن أن يتم ذلك ؟

أرتوترجوس : هناك تجد شرح كل هـذا ••• بثلاثة دراهـم فقط •

فيبنيو : على كل حال لست أنا الذى أدفع هذا المبلغ ، بل هو مولاى اجناثيو • (يخرج قطعا من النقود ويعطيها لأرتوترجوس) •

فوريو : خذ يابن قاطعة الطريق • (يدفع ويقرأ • ويتقاطر رجال آخرون فيفعلون مثل ذلك • أما تيتينو فانه يظل كعادته دائما منعزلا عن الجمهور مشتغلا بالنظر الى قوارير الروائح والعطور والتقليب فيها وبائع العطور أمامه يلاحظه)

فولومنيا : هـل لديك مـن الأخـبار ما يهم النسـاء يا أرتوتروجوس ؟

أرتوتروجوس : وكيف لا يافولومنيا الفاتنة ؟ هنا أخبار للجميع ولكل الأذواق • عضـو فى مجلس الشـيوخ يفاجىء زوجته مع عامل مكلف باصلاح الأنابيب فى الحمام !

أصوات نساء : مع عامل الحمام !

ابسيليلا : مع عامل الحمام هذه المرة ؟ لقد حدث مثل ذلك فى الأسبوع الماضي ، ولكنه كان مع سـائق العربة •

نسـاء : ومن هي ؟

أرتوتروجوس : يمكن لكن أن تهتدين الى شخصيتها ، لو انكن قرأتن الألواح الخاصة بأخبار المجتمع ••• حيث تجدن وصفا كاملا لها ولعضو مجلس الشيوخ ولعامل الحمام لا يكاد يدع مجالا للشك • وكل ذلك بسبعة دراهم فقط •

نسـاء : (فى استعطاف) دعنا نقرأ الخبر بخمسة دراهم يا أرتوتروجوس ••• كما دفعنا لك بالأمس •

أرتوتروجوس : مستحيل ياسيداتي العزيزات•اذا كان الثمن يبدو لك غاليا فيمكن لك الاستغناء عن هذا الخبر • فربما كنتن غير مهتمات بمعرفة من هي تلك السيدة

... سيدة الحمام ، ولا ذلك العامل الذى عرف كيف يسبق زوجها ذا المقام الكبير فى سباق الحب .

ابسيليلا : خذ أيها اللص الخبيث ... (تدفع) فالحقيقة هي أن الخبر يهمني .

أرتوترجوس : شكرا جزيلا لك ... ياقلبا من خالص الذهب .

فولومنيا : (مخاطبة النساء) ما الذى تراه يهم ابسيليلا من أخبار مجتمع الطبقة الراقية ؟

ابسيليلا : (متوجهة اليهن) يهمني منها ما كان يهم فولومنيا من شهوات الرجال قبل أن تحيلها الشيخوخة الى امرأة عفيفة طاهرة . ألا تعرفن أن خير عملائي انما هم من أفراد الطبقة الراقية ؟

أرتوتروجوس : أليس منكن واحدة أخرى تود اشباع فضولها ؟

امرأة ١ : الحقيقية انني لا أستطيع مقاومة الاغراء ... خذ (تدفع) .

أمرأة ٢ : ولا أنا (تتجمع النساء أمام أرتوتروجوس فيدفعن ويتسابقن للقراءة) .

أرتوتروجوس : سيداتي الكريمات ... لتبسط عليكن الهة الخير بركاتها . ولكن استقمن فى الصف وادفعن

فى نظام : واحدة واحدة ، سبعة دراهم عن كل رأس من رؤوسكن الجميلة .

فوريو : اذا رشح قيصر نفسه لمنصب القنصليـة فليس هناك ما يمنع أبدا من نيله هذا المنصب فهـو القائد المظفر .

(يدخل كاتولو وكنتو كورنيفيسيو)

رجل ١ : أحسنت القول يافوريو : نعم ! ليس هناك مايقف أمامه .

فيبنيو : بل هو لايستطيع ترشيح نفسه ... حتى ولو كان هو القائد المظفر . ان القانون صريح فى عدم جواز ترشيحه . واذا فعـل فينبغى عليكم ألا تعطوه أصواتكم .

أرتوتروجوس : ما أبدع ماقلت يافيبنيو ! فذلك يعتبـر تزويرا للانتخابات .

رجل ٢ : لقد أصاب العبد .

فوريو : ان هذا الشيطان الشقى لايفهم شيئا فى السياسة ان ارادة القائد ينبغى أن تكون دائما فوق القانون تلك هى الديمقراطية الصحيحة .

أرتوتروجوس : ربما كان الأمـر كذلك أيها الضابط البطل .

ولكنك لوقرأت السجل اليومى للأخبار فى امعان لغيرت رأيك (تستمر المناقشة) .

كاتولو : ماالذى يقرأه هؤلاء ياكنتو ؟

كنتو : السجل اليومي لأخبار الشعب الروماني . ان الجمهور يقبل على قراءته كل يوم لكى يعرف عن طريقه كل مايحدث فى روما وفى سائر أنحاء الامبراطورية .

كاتولو : ياله من شىء مثير ! هذه هى الأشياء التي تدعو الى اعجاب من يزور روما . ومن الذى ابتكر الطرفة الجديدة ؟

كنتو : هو عبد اغريقى ... يدعى أرتوتروجوس .

كاتولو : عبد ؟ الأمر يبدو لى اذن خطيرا لايدعو الى التفاؤل .

كنتو : لماذا ؟

كاتولو : لأن ذلك العبد يستطيع عن طريق ما يسوقه من أخبار أن يكيف على هواه رأى العامة . بل انه يستطيع أن يكذب على الشعب استرضاء لرغبات سيده . هل تعرف من هو مولى هذا الـ ... أرتو ... أرتو ... ماذا ؟

كنتـــو : أرتوتروجوس • أظـــن انه عبد لماركو بيبولو ، وهو رجل ثرى يدير عددا من الأعمال الماليـــة الكبرى • أو ربما كان عبداً للوسيو وهو بدوره مرابٍ كبير ••• وكلا الرجلين مرشـــح لمنصب القنصـــلية •

كاتولو : أترى اذن ؟ هكذا يتبين لك أن وراء هذه المهنة الجديدة البريئة التي ابتكرها ذلك العبد سياسة ومصالح خفية • ان مهنة اخبار العامة بكل ما يجرى من أحداث تبدولي عملا طيبا عظيما ، لو أن المتكفل به كان ملتزما للحقيقة ورجلا حرا • ولكن على النحو الذى أراه ••• لقد كان بودى أن أشتغل بهذه المهنة من أجل خدمة الناس •

كنتـــو : انها فكرة ثورية حقا • ولكنها تعجبني ياكاتولو (يشير الى واجهة دار كلاوديا) ها نحن أولاء قد وصلنا يا صديقي • وهـــذه هي دار كلاوديا • سأقوم أنا بتقديمك اليها •

كاتولو : ان مجرد النظر الى دارها تبث الرجفةالى جسدى من فرط الرهبة ياكنتو • لقد رأيت كلاوديا مرة واحدة في حياتي • ولكن صغر سني وقلة تجربتي لم تكن تعد لهما الا روعة جمالها الساحر • انى

لم أجرؤ حينذاك حتى على لمس ثيابها ولكــن
العاطفة المشبوبة التي أحسست بها نحوها كانت
شديدة العنف • حتى اني كنت أشبه بمن يعاني
سكرات الموت • وذلك حينما عزم زوجها كنتو
سيلر على الرحيل بها من بلاد الغال ، حيث كان
يتولى حكـــم هـــذه المقاطعـــة مـــن مقاطعات
الامبراطورية ، عائدا بها الى روما • لقد تركت
بلدى فيرونا من أجل أن أحظى برؤيتها هنا •

كنتـــو : اتبعني ••• فعن قريب سترى نفسك فى حضرة
كلاوديا •

كاتولو : حفظتك الآلهه يا كنتو وأغدقت عليك نعمها •
(يخرجان) •

أرتوتروجوس : لعلكم عرفتم الآن بعد قراءة الســـجل اليومي
للأخبار أن قيصر مدين بمبلغ يصـــل الى اثنين
وســـتين ونصف مليون درهم • فاذا كان الأمر
كذلك فمن أين له بالمال الذى يستطيع أن يوزعه
على الشعب ؟أما لوسيِتّو وبيبولو فانهما زعيمان
شريفان ثم انهما مقتدران ذوا ثروة عظيمة •••
هل قرأتم بامعان خطاب كاتو فى مجلس الشيوخ؟

ان أى شخص غائب عـن روما لا يمكن له أن يرشح نفسه لمنصب القنصلية • فالقانون يحرم ذلك • وقيصر لن يستطيع أن يدخل روما دخول المنتصرين الا بعد انتهاء الانتخابات •

فوريو : اذن فالوضع يختلف • فمن الواضح أن قيصر لا يمكن أن يتولى منصب القنصـلية طالما يحـرم القانون ذلك • (صيحات استحسـان وتأمين على رأيه من جانب الجمهور) •

تيتينو : (مخاطبا بائع العطور) أعطني هذه القارورة • (يتناول احـدى القوارير المصـفوفة على رف العطار) •

ابسيليلا : (مخاطبـة البائـع) أتراك أنت المجنـون أم المجنون هو هذا ؟ (مشيرة الى تيتينو) كيف يستطيع مثل هـذا المتسول أن يدفـع لك ثمن قارورة من عطور بلاد الشام •

بائع العطور : انني أعرف السيد تيتينو • فهو عميل قديم مـن عملائي •

تيتينو : هـذا العطر بالنسبة لي مـن ضرورات الحياة الأولى • هي عـادة متأصـلة اعتدتها بحكـم

المهنة • أما العامة السوقة مــن أمثالك فليس بوسعهم ادراك ذلك •

(يدخل عبدان عملاقان فيزيحان الجمهور المجتمع عن جانبى الطريق حتى يفسحاه . ثم يتبعهما اربعة عبيد يحملون محفة فاخرة من اركانها الاربعة)

أرتوتروجوس : هذه هي محفة كلاوديا : أوسعوا الطريق •

كلاوديا : (من داخل المحفة التي تغطيها ستائر من غلالات خضراء شفافة) توقفوا هنا ••• وأنزلوني !

أرتوتروجوس : هذا هو صوتها ! (حاملو المحفة يضعونها برفق على الأرض • تزيح كلاوديا احدى الستائر وتطل برأسها وتبدو كما لو كانت تبحث عن شيء فيما حولها) •

كلاوديا : لست أراها هنا (متوجهة الى عبيدها) هل رآها أحدكم ؟

(العبيد يهزون رؤوسهم اشارة الى النفي)

أرتوتروجوس : (في صوت حالم وهو ينظر الى كلاوديا نظرة من استبد به الغرام) ما أعظم نعم الآلهة علينا اذ أتتنا هنا باحدى بناتها المقربات ! (تيتينو ينتهز

فرصة تجمع الناس للتطلع واشتغالهم بالنظر الى كلاوديا فيقترب مـن السـجل اليومي للأخبار ويقبل على قراءته • يدخل كنتو وكاتولو) •

كنتـو : (فى ترحيب واشتياق) كلاوديا ••• صديقتي ذات النفحات الالهية ! لقد وضعتك أفروديت فى طريقي اليوم • انني سألت عنك فى منزلك فلم يسعدني الحظ بلقائك •

كلاوديا : كنتو كورنيفيسيو ! يالها من مفاجأة سـارة ! (تتأهب للنزول من المحفة فيقدم كنتو اليها يده ليساعدها على النزول) •

امرأة ١ : محفة بستائر من غلالات خضر ! لم أر مثل ذلك الترف من قبل قط !

امرأة ٢ : ياله من تبذير لا معنى له ومـن رغبة فى جذب انتباه الناس !

رجل ١ : و ••• وعبيد في عباءات مـزركشة مخصصون لحمل المحفة ! ما أغرب البدع التي تخطر على بال السيدات المترفات !

رجل ٢ : لابد أن هـذه هي آخـر « صيحة » فى عالم المحفات ! فمن المعروف أنها هي التي تفرض على

الناس آخر تقاليع « الموضة » (الرجال يتابعون حـــركات كلاوديا فى نظرات شرهة تســـتعرض جسدها • وأما النساء فيرمقنهافى فضول معلقات على تسريحة شعرها وعلى ثيابها وحذائها) •

كاتولو : بحق كبير الآلهة جوبيتر ! انها الآن لأجمل منها فى أى وقت مضى •

(ارتــوتروجوس يفــاجىء تيتينـــو وهى يسترق قراءة لوحات الســـجل اليــومى للاخبار فتدور بين الرجلين مناقشة حامية)

كلاوديا : (باشارة من يدها تأمر حاملي المحفة بالانصراف • فيرفع هؤلاء محفتهم الفارغة ويمضون بها • ثم يتبعهم العبدان اللذان تقدما الموكب لافساح الطريق) ولكن ترى ما الذى أخر هـــذه المرأة حتى الآن ؟

كنتـــو : أنا ألاحظ عليك مظاهــــر القلق والانزعـــاج يا كلاوديا • هل فقدت شيئا ؟

كلاوديا : نعم•••لقد خرجت لشراء بعض الأشياء،نعم••• (تدخل فيلنيا فى عجلة يبدو عليها الاضطراب) ••• آه ••• أخيراً أيتهـــا الطفلة الشقية ! أين كنت ، فقد تركتنى فى غايه من القلق عليك !؟

فيلنيـــا : معذرة يا سيدتي ! ••• لقد تأخرت وراءك قليلا دون أن أتنبه الى ذلك ••• لقد شغلني النظر الى الناس والأشياء في شوارع روما ••• اذ ما أكثر ما يبهر نظر الغريب هنا !

كلاوديا : (مفسرة) انني اشتريت هذه الجارية منذ قليل يا كنتو • فقد قدموها لي بثمن مناسب ••• هي « لقطة » رائعة ••• بعشرة آلاف درهم فقط !

كنتــو : ياله من ثمن بخس ! حقا انها فرصة رائعة ! تراها اغريقية ؟

كلاوديا : نعم ••• هكذا قال من باعني اياها •

أرتوتروجوس : (مواصلا نقاشه الحاد مع تيتينو) مرة أخرى أقول لك انك مدين لي بثلاثة دراهم ، وعليك أن تدفع على الفور • لقد تلصصت حتى قرأت السجل اليومي للأخبار أيها المتسول الشقــي !

تيتينو : وأنا أقول لك مرةأخرى انك مخطىءأيها العبد • فأنا لم أقرأ شيئا •

أرتوترجوس : لقد رأيتك تفعل •

تيتينو : لا بد أن هناك سوء تفاهم • فأنا لم أقترب من ألواحك الا لكي أفحص الخط وأتأمل طريقتك

فى هجاء الألفاظ • وأنا أقول لك ان كتابتك لا بأس بها ولو أنها ليست على مستوى عال مـن الجودة •

أرتوترجوس : أنا لم أطلب اليك درسافى النحو والهجاء • فادفع الدراهم الثلاثة بالتي هي أحسن • (تيتينو يدير له ظهره فى شموخ وكبرياء دون أن يعني بالرد عليه • بينما ينظر العامة الى المشهد فى تضاحك وسخرية من أرتوتروجوس) •

كاتولو : (صائحا فى دهشة وهو يلتقي بتيتينو) تيتينو ! (ينظر هذا اليه مستغربا أن يناديه كاتولو باسمه دون أن يبدو عليه أنه يعرفه) •

كلاوديا : (في دهشة يمازجها الارتياح) تيتينو ••• هنا ؟

تيتينو : (مخاطبا كاتولوفى تعال وكبرياء) أتعرفني ؟

كاتولو : بغير شك ! فى فيرونا ••• حينما •••

تيتينو : (مقاطعا) أما أنا فلا أعرفك ! (يخرج فى نفس المظهر المتعالي فى هدوء وكأنه ملك متوج) •

كاتولو : (مخاطبا كنتو) لقد كان سفيرا حينما عرفته فى فيرونا • ولكن كيف تغيرت أحواله حتى أنتهى الى ما أرى ؟

كلاوديا : أنا أيضا عرفته فى فيرونا • (متوجهة الى كاتولو) وهل أنت من هناك ؟

كنتــو : ولكن ••• ما الذى حل بي اليوم فذهب بعقلي ؟ معذرة ••• فقد فاتني أن أقــدم كلا منكما الى الآخــر • (متوجها الى كلاوديا) لقد جاء الى روما لا لسبب الا لكي يراك • (الى كاتولو) وأقدمها اليك : أجمل امرأة فى روما •

كاتولو : فى العالم ياكنتو !

كلاوديا : (فى دلال) لكي تقول مثل ذلك يجب أن تكون قد عرفت كل من على ظهر الأرض من نساء • (أرتوتروجوس يدنو منهم فى تستر لكي يتأمل كلاوديا عن كثب ولكي يتسمع الى ما يقولون)•

كاتولو : لا ••• لا يســتدعي الأمر كل ذلك • فأنا لا أتصور امرأة أخرى أجمل منك • ان كل جميل لا يقترب منك حتى يشحب لونه ويزول بهاؤه • وفى ابتسامتك جمال الشمس القاسي • الشمس التي يكاد نورها يعمي عيون من يجرؤون على تأملها •

أرتوتروجوس : (وهو يفرك عينيه) بحق جوبيتر ••• ان ما قلته هو عين الحقيقة •

كلاوديا : انك بلطفك وكرمك تبالغ كثيرا . ولكن اطراءك مع ذلك يسرني ويرضيني .وهو شيء لا يسعني انكاره . لاسـيما وأنا أسـمعك تقول هـذه العبارات فى حرارة وانفعال ثم ان شابا فى ريعان الصبا مثلك اذا خاطب امرأة فى مثل عمرى ...

كاتولو : الجمال ليس له عمر . أنت الآن فى أوج جمالك يا كلاوديا ... معذرة ... أتسـمحين لي بأن أدعوك هكذا باسمك المجرد ؟

كلاوديا : طبعا ... وأنت ؟ ما اسمك ؟

كنتـو : بحق الآلهة ... لا بد أن شـيئا أصابني اليوم فشرد بعقلى ! ... (ثم يضيف مقدما كاتولو في لهجة اطراء) هو كايو فاليرو كاتولو !

كلاوديا : لا ... لا أصدق ! ... أتراني أحلم ؟ وهل أنا حقا الآن أمام شاعر فيرونا الأعظم ؟ ...

أرتوتروجوس : (فى غيرة وغيظ) سـحقا لأبوللو اله الشـعر ولطائفته الكريهة !

كلاوديا : اذن ... أنت كاتولو !؟

كاتولو : (فى تواضع) نعم يا سيدتي ... وأنت «لسبيا» التي طالما تغنيت بها فى شعرى .

أرتوتروجوس : الآن أصبحت « لسبيا » أيضا !

كلاوديا : « لسبيا » ؟ ... أنا ؟

كاتولو : نعم ... أنت «لسبيا» قصائدي ... من أجلك أنت صغت هذه القصائد ... وأنت ربة الهامي فيها !

كلاوديا : ما كنت أحلم أبدا بأنني كنت تلك المرأة التي طالما حسدتها على أنها هي الموحية لك بأغانيك الغرامية الرقيقه !

أرتوتروجوس : (مرددا فى غيرة حانقة) ... أغانيه الغرامية الرقيقة !

كنتــو : حمدا للآلهة التي اختارتني أنا لكي أجمع روحين كانتا تتوقان الى هذا اللقاء !

أرتوتروجوس : بل أنزلت الآلهة عليك غضبها أيها القواد !

كلاوديا : سأقدم القرابين لها فى هيكل منزلي داعية أن تدوم هذه الصداقة بيننا . ثم لنشرب عليها نخبا من أفخر أنواع النبيذ . أتأتيان معي ؟

كنتــو : هذا هو غاية ماتتمناه .

كاتولو : لم أكن أتصور ان الحياة بطولها يمكن أن يكون فيها أسعد من هذه اللحظة ! (يتوجه للخروج

كلاوديا وكاتولو وكنتو وفيلنيا • أرتوتروجوس يتابعهم على مسافة معقولة في حذر • أمام ألواح السجل اليومي للأخبار يسمع ضجيج وأصوات عراك حاد بين الجمهور المجتمع • ثم يشاهد فوريو وهو يسدد ضربة الى فيبنيو فيرى هذا وهو يتدحرج على الأرض) •

فورير : (وهو ينفض يديه) انني باعتباري عسكريا لا أحب التدخل في السياسة ، ولكني لا أسمح بأن يقحم نفسه فى السياسة أحد من غير العسكريين• (يهتف ومن ورائه يتردد هتاف الجمهور)يسقط قيصر ! لوسيو وبيبولو ••• الى الحكم ! ••• سلطة القانون فوق كل شيء !

فيبنيو : (وهو ينهض عن الأرض) اذن أنتم الآن قد تحولتم الى حزب لوسيو وبيبولو ! ••• ولكن ليس ذلك من أجل القانون • فالقانون لايساوى عندكم شيئا ••• بل أنتم قرأتم أن لوسيو وبيبولو سيدفعان لكم فى أصواتكم ثمنا أكبر ••• هذه هي وطنيتكم : منح أصواتكم لمن يعرض أعلى سعر لها ••• يالكم من أمة ! هنيئا لكم هذه الصفقة ! (يخرج)

أرتوتروجوس : (عائدا بعد أن تبع كلاوديا وموكبها حتى دخولها منزلها وهو يفتح خياشيمه) آه ••• ان أنفي قد أصبح مقدسا نزلت عليه بركات الآلهة ، أفعمه العطر المسكر الذى يحيط بكلاوديا كما تحيط الهالة بالقمر ••• فأنا الآن جدير بأن تقدسوني أيها البشر !

بائع العطور : لم يعد هناك ما نبيعه اليوم بعد ما حدث • أنا منصرف •

السماك : لقد قلت أنا منذ أن جاءت هذه المرأة • اذ ماظهرت فى مكان الا انتهى كل شيء وأنا كذلك ذاهب •

بائع الحلى : أما أنا فقد أنهيت يومي بصفقة رابحة••• بفضل اجناثيو الاسباني ••• من حسن الحظ أنه مازال هناك كثيرون من البلهاء بين الناس !

أرتوتروجوس : لحظة واحدة أيها المواطنون قبل انصرافكم • لاتنسوا شعاراتنا فى معركة الانتخابات اذا كنتم تريدون التمتع بكرم قناصلنا القادمين • لنقم باجراء تجربة أخيرة : (يهتف) ماركوبيبولو •••

أصوات : ••• الى الامام !

أرتوتروجوس : ولقيصر ...

أصوات : ...حكم الاعدام !

أرتوتروجوس : لوسيثو ...

أصوات : ... هو الزعيم !

أرتوتروجوس : وبقيصر ...

أصوات : ... الى الجحيم !

أرتوتروجوس : هكذا ... انشروا الآن هذا الهتاف فى جميع أنحاء روما . ولتذكروا أنه كلما علت أصواتكم فى الصياح كلما زاد نصيبكم من القمح ومن حفلات الترفيه فى السيرك . (فوريو يتصدر المظاهرة محمولا على الأعناق ويبدأ الجمهور فى التحرك الى خارج المسرح وهو يردد الهتاف وراء فوريو) .

أصوات : ماركوبيبولو ... الى الامام !
ولقيصر ... حكم الاعدام !
لوسيثو ... هو الزعيم !
وبقيصر ... الى الجحيم !

أرتوتروجوس : (مخاطبا نفسه فى اعجاب) ان نفوذى هائل على جمهور العامة ... بفضل « السجل اليومي

للأخبار » • فقد استطعت أن أقلب شعور الشعب ضد قيصر نفسه ! ••• (ثم مضيفا فى حسرة وانكسار) ولكن قوتي هذه لم تفدني بشيء ازاء كلاوديا فأنا أرى نفسى الآن وحيدا أذلمن هـــذه الأحجار التي كانت منــذ لحظات تطؤ بقدميها الآلهيتين !

(يدخــل ماموراً فى خفــة دون أن يشــعر به أرتوتروجوس) •

آرتونروجوس : (مواصلا حديثه وهــو ساجد على الأرض فى الموضع الذى كانت كلاوديا واقفة عليه) أنت معبدى وهيكلي أيتها الأحجار ••• أنت حجرى المقدس ••• فقد كانت تنصب قامتها المشوقة عليك ! (يقبل لوح البلاط) •

ماموراً : (ينظر اليه فى دهشة) ماذا بهذا الرجل ؟ أتراه أصابه الجنون ؟

أرتوتروجوس : (مواصلا) ••• وأنت أيها الهواء ••• لا تتسرب من بين يدىّ • فقد أحرزت أعظم فضيلــة فى الدنيا منذ كنت تضم جسد كلاوديا •••

ماموراً : بحق جميع الآلهة والالهات ••• ما الذى حل بهذا الرجل حتى أصبح يخاطب الحجارة والهواء؟

أرتوتروجوس : أوه ! ••• أيها الاثير ••• آه لو أسعدني الحظ مثلك بأن ألف ذراعي حول خصرها ! ••• آه أيها الحجر السعيد ••• ليتني أستطيع أن أدفع نصف عمرى لقاء متعتي بمثل ما تمتعت به ! •••

مامورا : آه ••• فهمت ••• يالحسن الطالع ••• ماأسرع ما سيصبح ملك يدى !•• مخاطبا أرتوترجوس) ••• ايه ••• اسمع أيها الذئب المسعور •

أرتوتروجوس : (ناهضا بسرعة وقد باغته الصوت) ماذا ؟ أتعنيني أنا ؟

مامورا : وهل نرى هنا حيوانا مجنونا غيرك أتوجه اليه بالخطاب ؟ (يتكرع فى صوت عال) آه ••• هذا السمك ! (يضرب كرشه الضخم بيده ضربات خفيفة) •

أرتوتروجوس : نعم ••• يبدو أننا ثلاثة هنا •

مامورا : ثلاثة ؟

أرتوتروجوس : نعم • أنا والسمك وأنت •

مامورا : بحق اله الجحيم ••• أتسخر مني ؟ ألم تتعرف عليّ ؟

أرتوتروجوس : (يرمقه بنظرات طويلة فاحصة ، ثم يصيح فى

دهشة) لا ! ... غير معقول ! لقد تزاملنا على مركب واحد كنا نقوم فيه بالتجديف عبيداً نعمل بالسخرة . أنت العبداللاتيني من أهل فورمياس . أليس كذلك ؟ ولكن من الذى كان بوسعه أن يتعرف عليك الآن وقد تحولت الى رجل آخـر سمين الجسـد مورد الوجنات مُتَزَيٍ بأفخر الثياب مضمخ الشعر بأغلى الزيوت والعطور ؟

ماموروا : لقد مضى زمـن العبودية ... أنا الآن مواطن روماني . رجل أعمال وصاحب تجارات لاحصر لها فى روما .

أرتوتروجوس : نعم ... أنا أذكرك الآن ... أنت ليكونيدس .

ماموروا : كنت ليكونيدس فى زمان مضى به العهد . أما الآن فاسمي ماموروا .

أرتوتروجوس : (متلعثما فى دهشة بالغة) ما ... مامـو ... أنت !؟ ماموروا ! ... صاحب الثروة الطائلة ... والاستثمارات الضخمة للأموال التي تجمعهـا الدولة من الضرائب ! ... أعينيني أيتها الآلهة حتى أصدق ما تراه عيناى ! ...

ماموروا : (فى زهو) نعم ... أنا هو ... أعظم الرجال نفوذا وسلطة فى روما .

أرتوتروجوس : أما أغنى رجل فأنا أسلم بذلك • ولكن أعظم الرجال نفوذا •••

مامورا : ومن تعتقد أنه أكبر مني نفوذا وسلطة ؟ قيصر ؟ باه (فى لهجة احتقار) •

أرتوتروجوس : لا ••• لم أعن قيصر • فأنا أعرف أن قيصر هو الذى يخوض الحروب ؛ وأما الذى ينتفع منها فهو أنت •

مامورا : من اذن أقوى مني ؟

أرتوتروجوس : أنـــا •

مامورا : أنت ؟ لاتجعلني أســتغرق فى الضحك ! وفيم تتمثل قوتك ؟

أرتوتروجوس : أنا محرر « الســجل اليومي لأخبار الشــعب الروماني » • وبهذا السجل أحمل العامة على أن تفكر كما أريد !

مامورا : بحق الصواعق المتحدرة من يدى جوبيتر أنا لا أنكر أن لك سلطة عظيمة • ومن أجل هذا بحثت عنك فى كل جنبات روما • فأنا أريد شراءك ••• قدني الى مولاك وقدمني له حتى أفاوضــه فى هــذه الصفقة •

أرتوتروجوس : من العبث أن تبذل هذه المحاولة .

ماموراً : ولماذا ؟ ألست قابلا للبيع .

أرتوتروجوس : طبعا .. من الممكن شرائى .. فأنا رجل مثقف. ولكن أنا الذى أحدد ثمنى بنفسي .

ماموراً : اذن فحدد الثمن الذى تريد لنفسك . فأنا لا أضع حدا ، وليس هناك شيء يعتبر غاليا على ماموراً .

أرتوتروجوس : على كل حال ليس ثمنا غاليا . ولكن ما الذى تعرضه علىّ الى جانب ذلك ؟

ماموراً : شيء قليل .. يمكننى أن اعتقك خلال أجل تتفق عليه .

أرتوتروجوس : لا يهمني ذلك . اذ لو أعتقتنى لكان علىّ أن أترك مهنتي الحاضرة . ولا أكتمك أن مهنتي أهم بالنسبة لى من الحرية نفسها .

ماموراً : واذا عرضت عليك الشيء الوحيد الذى تحبه أكثر من حبك لمهنتك نفسها ؟

أرتوتروجوس : ماذا تقصد بذلك ؟

ماموراً : كلاوديا .

أرتوتروجوس : وكيف علمت بحبى لها ؟

ماموراً : رأيتك تقبل مواطىء قدميهـا وأنت ساجـد • أتريد نيلها ؟

أرتوتروجوس : ما أشد لهفتى الى ذلك ؟ ولكن هذا مستحيل • انها تبدو كما لو كانت حورية من الفردوس •• وأنا أشبه بجاموس وحشى •

ماموراً : ولكن ما أكثر ما حدثتنا الأخبار عن ثيران عرفت كيف تغوى الحور •

أرتوتروجوس : ولكننى لست الها ولا نصف اله لكى تسجل لى هذه المعجزة !

ماموراً : وهى بدورها ليست الهة ولانصف الهة • أنا أعرفها حق المعرفة ، وأعلم أنها هوائية متقلبة يعجبها التنويع وتأخذ بلبها المغامرات الغريبـة ذات الطعم غير المألوف • وهى لم تدفىء فراشها بعد بملك من الملائكة ولا بمسخ من مسـوخ الطبيعة ، وأؤكد لك أنها ترغب فى ذلك •

أرتوتروجوس : لقد أوشكت على تصـديقك • آه لو استطعت أن تجعلها تحبنى ولو مرة واحدة فحسب ! ••

ماموراً : ليس هناك شىء مستحيل على ماموراً •فاعتبرها من الآن ملك يديك •

أرتوتروجوس : واعتبرنى أنا ملك يديك أنت اذن • مرنى بما شئت • ماذا تريدني أن أفعل ؟

مامورا : أن ينسى العامة لوسيٹو وبيبولو وأن يعودا مرة أخرى الى الهتاف لقيصر • هل تستطيع أن تفعل ذلك ؟

أرتوتروجوس : أستطيع • فأنا أعرف عن لوسيو وبيبولو من الفضائح والمخازى ما هو كفيل باسقاطهما من عيون الناس اذا نشرتها على الملأ فى « السجل اليومى » • وبوسعى أن أجعل من قيصر أجمع الناس للفضائل وأوسعهم سخاء وأكرمهم يدا • وبم تعد أنت العامة باسم قيصر اذا فعلت ؟

مامورا : بكل ما يلزم لانجاح الخطة • فاذا تمكنت من ابلاغ قيصر الى منصب القنصلية فانه سيجعلنى متعهد جيوش الامبراطورية وأساطيلها • وستقوم جيوش الدولة نفسها حينئذ بحماية شتى مصالحى وتجاراتى فى جميع أنحاء الامبراطورية ومقاطعاتها • ولهذا فأنا محتاج أولا الى ابتلاع عامة الشعب •

أرتوتروجوس : ابتلاع العامة أمر يسير • ولكن الصعب هو هضمها •

ماموراً : لاتتصور ذلك . ان العامة هي السمك الصغير ، وأنا الحـوت الأكبر ! ... (يتكرع) .. آه مرة أخرى هذا السمك ! (يضرب بطنـه فى رفق) لقد كان طبقا فاخرا من خليط من سمك ايطاليا وحيتان اسبانيا أعد بالمحـار والفلفل الأبيض والخل البرتغالى وشربت عليه أقداحا من نبيذ اليونان . ومع ذلك فأنا لم أستطـع هضمه حتى الآن .

أرتوتروجوس : ان ما تقوله يبدو لي مثلا وعظة أكثر مما هـو حديث عن عسر هضم .

ماموراً : وهل الأمثال والعظات أخطر على صحة المرء من عسر الهضم ؟

أرتوتروجوس : سأشرح لك تفصيل المثل : ان جمهور العامة أشبه ما يكون بسمكة كبيرة تريد أكلها ، وقـد خلط هذا اللون بنوع آخر من السمك الاسبانى .. من الذى عاد من من اسبانيا أخيرا ؟

ماموراً : قيصر .

أرتوتروجوس : بالضبط . وأنت لكى تأكل هذا الحوت القادم من اسبانيا ينبغى عليك أن تحوله الى قنصـل ثم انك شربت عليه أقداحا من نبيذ اليونان ..

من هو القادم من اليونان ؟

مامورا : آنت •

أرتوتروجوس : هكذا • وأنت قد اشترتيني حتى يسهل عليك ابتلاع الأسماك الصغيرة : العامة • أما الخل البرتغالي الذى أعد به طعامك فهو كلاوديا •• خل •• لتذكر أنهـا هي « الخليلة » الجديدة لهذا الشويعر الذى قدم أخيرا من فيرونا والمقيم الآن فى روما •

مامورا : آه ••• كاتولو • نعم ••• هو شـاعر خفيف الظل • والمحار ؟

أرتوتروجوس : المحار ؟ لنقل انه يمثل الغبيين بيبولو ولوسيئو فهما لن يصبحا بعد انتهاء الانتخابات الا ذكرى عابرة •• أشبه ما يكونان بتكريعة يخرجها المرء بعد هضم أكلة دسمة فيخلد بعدها الى الراحة •

مامورا : بتكريعة بعد هضم أكله دسمة ! (مغرقـا فى الضحك) يالك من ذكي متفتق الذهن عن أبرع التشبيهات • والفلفل الأبيض ؟

أرتوتروجوس : هذا هو ما سأضيفه أنا بالقـدر المطلـوب فى « السجل اليومي للأخبار » •

ماموراً : لقد أعجبنى هذا التشبيه . ولكن .. (يتوقف قليلا) عسر الهضم الذى أصابنى بعد أكلة السمك ؟ ... أنا أخشى أن يكون هناك ما يقابله فى هذا التشبيه .

أرتوتروجوس : هذا يتوقف عليك أنت . فاذا دفعت لى الثمن الذى اتفقنا عليه فأنا كفيل بأن أجعلك تهضم وجبتك من السمك فى هدوء واطمئنان .

ماموراً : تقصد كلاوديا ؟

أرتوتروجوس : نعم .

ماموراً : وأنا كفيل بأن أجعلها ملك يديك . أقسم على ذلك بحقوق الآلهة .

أرتوتروجوس : فنم اذن مطمئنا . ستكون القنصلية من نصيب قيصر .

(يتجهان للخروج)

ستار

الفصل الثانى

(نفس المنظر السابق : الميدان العام فى روما أمام منزل كلاوديا عند رفع الستار يرى على المسرح كاتولو وكنتو كورنيفيسيوو وفيبنيو وبائع الحلي والسماك وبائع العطور وعدد من الرجال والنساء من عامةالشعب.
الوقت : مساء)

كاتولو : (على منصة مرتفعة قليلا ، وهو مستمر فى القاء خطاب حماسى) •• وانه لمما يثير الحنق فى النفوس أيها المواطنون •• (لحظة صمت) مما يثير الحنق أن نرى قيصر قائدنا العظيم •• مرتميا بين ذراعى مامورا •• نعم : بين ذراعى مامورا على نحو مخز شائن (يتزايد تضاحك الجمهور وتغامزهم بينما كاتولو مندفع فى ارتجال خطابه) لقد استسلم القائد العظيم لصاحبه وغرق الاثنان فى حضيض الرذيلة التى شربا كأسها حتى الثمالة ، وعادا مخمورين : هذا بلذة السلطان والجاه ، وذلك بلذة المال

والثـروة ، لقد أصـبح « الرجلان » وجهين
لعملة واحدة وقسيمين فى حـكم هـذه البلاد
المسـكينة والتصرف فى مصيرها بغير رقيب .
ولهذا فليس من العجيب أن نرى هذه المـودة
الغريبة بينهما . هى مودة ليسـت مـن الحب
العذرى فى شيء ، بل هى مظهـر خبيث مـن
مظاهر التحلل والجريمة .. أى حب مـريب
آثم جمع بين هذين الرجلين أيها الرومانيون!(١)

بائع الحلى : (يمد ذراعه الى السماك فى تقليد ساخـر) :
تعال معى يا قيصر .. يا شقيق روحى !

السماك : (يأخذ بذراع بائع الحلى) : نعم .. ياموروا
.. لاتسرف فى تصنع الدلال ..

بائع الحلى : (مرققا صوته) هيا بنا .. يا سواد عيني ...
(يتقدمان وقد أخذ أحدهما بذراع الآخر فى
مشية متثنية مقلدين مشية النساء بينمـا تعلو
ضحكات الجمهور) .

كنتـو : لقد ارتجلت خطابا هـو أعنف ما سمعت مـن
الهجاء الساخر اللاذع يا كاتولـو .. (فيبنيو

---

(١) انظر تعليقنا على هذه العبارات فى مقدمة المسرحية .

وهو واقف قريبا منهما يسمع ويؤمن برأسهعلى تعليق كنتو) •

كاتولو : سأصوغ هذا الخطاب شعرا ثم أنشره فى جميع أنحاء روما •

(فيبنيو يؤمن مرة أخرى على هذه العبارة) •

كنتـــو : ان شعرك يا كاتولو خالد سيظل باقيا أبد الدهر (فيبنيو يوافق بهز رأسه) ولكنى أخشى اذا ذكرت مامورا فيه أن تمنحه هو أيضا من الخلود مالا يستحقه (فيبنيو يحرك رأسه معترضا) •

فيبنيو : أتسمحان لي أيها الشـاعران بأن يشـاركما الحديث أحد العبيد ؟

كاتولو : تكلـم •

فيبنيو : أنا أعتقد أن مامورا على كل حال قد أتيح لـه نصيب من الخلود سواء أذكرته فى شعرك أم لم تذكره •

كاتولو : لست أفهم ما الذى ترمى اليه من قولك هذا •

فيبنيو : سوف أشرحه لك • طالما وجد على ظهر الأرض قياصر ــ وأظن أن الدنيا سوف تخرج لنا قياصر كثيرين خلال ألوف السنوات القادمة ــ ••

كنتـــو : بل ولأكثر من ذلك فى المســـتقبل • فروما كما نعرف خالدة •

فيبنيو : أما هذا فلا أيها الشاعر • صحيح أن روما هى التى تحكم العالم كله اليوم • ولكنها بذلك لم تفعل الا حفر قبرها وتقريب نهايتها • روما لا يمكن أن تظل هكذا متضخمة يوما بعد يــوم على حساب سائر الشعوب • وفى يوم من الأيام سيصل بها الانتفاخ الى حد الانفجار • هذا هو قانون الطبيعة وسنة التطور • ومن الطبيعى ألا تقع كلماتى هذه موقع الرضا من أهل روما • ولكن ضيقهم بها لن يحول بين التاريخ وبين مواصلة مسيرته الخالدة •

كاتولو : لقد أصبت وصدقت أيها الفيلسوف •

كنتـــو : فاذا حدث ذلك على ما قدرت يا فيبنيو فمـــا الذى يبقى فى العالم بعد فناء روما ؟

فيبنيو : لست من أهل النبوءات • ولهذا فما كان لى أن أعرف ما يمكن أن يحدث • ولكنى أفترض أن تقوم مكانها روما أخرى •

كنتـــو : أنا أفهم ما تعنيه • أى يسيطر على العالم سيد

جديد • ولكن •• أمن الممكن أن تشغل مدينة أخرى ذلك الفراغ الهائل الذى ستخلفه روما ؟ وهل يتصور العقل بلداً آخر يستطيع أن يسود الدنيا ؟

فيبنيو : ولم لا ؟ من يدرى ؟ فربما يأتى الدور بعد ذلك على بلاد الغال •• أو على جـرمانيا أو علـى بريطانيـا •

كاتولو : (فى دهشة وعدم تصديق) بريطانيا ؟ أنت رجل واسع الخيال يا فيبنيو • ان البريطانيين هم أكثر شعوب العالم تخلفا وهمجية •

كنتـو : وهل تعرف أنت شيئا عنهم ؟

فيبنيو : لا أعرف الا أنهم يحملون على جلودهم رسوما ونقوشا من وشم أزق •

كاتولو : وهل تعتقد أن مثل هؤلاء يمكن أن يصبحوا فى يوم من الأيام سادة العالم ؟

فيبنيو : لا • لست أعتقد • لكني مع ذلك لا أنفي امكان ذلك • ان روما لم تكن أقل همجية وتخلفا حينما عبر انياس البحر واستقر فى ايطاليا •

كاتولو : مرة أخرى أرى أنك أصبت وصدقت • ولكن التسليم بما تقول سوف يجرنا الى نتائج أبعد ربما كانت مغرقة فى الخيال • فاذا نحن قسنا الأمور على ما تقول فان هؤلاء البريطانيين أو غيرهم من الشعوب التى سيقدر لها أن تحكم العالم لن تلبث بعد ذلك أن يأتي عليها يوم تنهار فيه ويأفل نجمها • وحينئذ ؟ •••

فيبنيو : فى ذلك الوقت لعلهم يكونون قد عبروا البحار أيضا وغزوا أجزاء كبيرة من العالم وانحدرت من أصلابهم شعوب لا توجد اليوم ولا حتى فىعالم الخيال • وربما انبثقت من هذهالشعوبالجديدة دول تؤدى الدور الذى تضطلع رومـا الآن • فتمد سيطرتها على العالم •• ولكنها لن تكون الا سيطرة مؤقتة اذ ستتكرر الدورة وتعود الى الاضمحلال ••• وهكذا دواليك •

كنتــو : ولكن أسيكون فى وسع هذه الدول الجديدة أن تكون لها جيو[illegible]ية قاهرة مثل جيوشنا الرومانية ؟ هذ[illegible] أستطيع تصوره •

فيبنيو : ولا أنا • ولكنى لا أنكر امكان حدوث ذلك •

بل انى لا أستبعد ان تقوم هذه الجيوش فى يوم من الأيام بالجواز الى ايطاليا نفسها .

كنتـــو : (فى دهشة) بصفتها جيوش غزو واحتلال ؟

فيبنيو : ...أو بصفتها جيوش تحرير لايطاليا من غزاة سابقين . فالأمر على كل حال سواء . وهـــل تفعل جيوشنا نحن شيئا غير ذلك ؟ ألا تراها تقتحم بلاد العالم ناشرة الخراب والموت وهى تتخذ فى ذلك ذريعة تحريرها أو نشر الحضارة فيها ؟

كنتـــو : انك خصب الخيال أيها الفيلسوف . فأنت تحلم بأشياء مثيرة حقا للعجب والتأمـــل ولكـــن كل شيء ممكن .

كنتـــو : أقسم بجميع الآلهة أنني لا أدرى ما اذا كان لي أن أستغرق فى الضحك مما تقول أم آخذه مأخذ الجد فيشتد له عجبي .

فيبنيو : والآن أعود الى استكمال ما كنت أود أن أقوله من قبل : طالما بقيت فى العالم دول مثل روما فانه ينبغى أن يوجد فيها رجال مثل قيصر . ومادام هناك قياصرة فلا بد أن يكون من ورائهم رجال من طراز ماموريا . المال والثروة دائمـــا مـــن

وراء السلطة الاستبدادية الغاشمة ، والانتهاب وابتزاز المزيد من الأموال مـن وراء سياسـة الحروب والتهديد بالحروب • هنا يكمن خلود مامورا • أتفهمنى الآن ؟

كاتولو : نعم يا فيبنيو • وانني معجب حقا بأفـكارك • وأنا شاكر لك أن هيأت لنا الفرصة لكى ننتفع من تجاربك ونأخذ من حكمتك •

فيبنيو : ان الشعراء وحدهم هم الذين يمكن لهم الانصات الى ما أقول دون أن يسـبق الى ظنهـم أننى مجنون • أستودعكما عناية الآلهة •

كنتـو : وأنا أدعوهـا أن تحفظك وترعـاك • (فيبنيو يودعهما ويختلط فى غمار جمهور العامة • تضاء ناقذة فى منزل كلاوديا) •

كاتولو : (مشيرا الى النافذة المضاءة) كنتو •• هذه هى الاشارة المتفق عليها مـع فيلنيا ، وهى تعنى أن كلاوديا قد توجهت الآن الى بيت مانليو • وأنا أريد أن أسبقهـا الى هنـاك حتى أكـون فى استقبالها •

كنتـو : اذهب يا كاتولو • وافتح كيانك كله أمام هذه

العاطفة العارمة التى تجرفك .

كاتولو : (وهو خارج برفقة كنتو) لقد سمح لى مانليو باستخدام داره من أجل استقبال كلاوديا . وقمت أنا بتزيينها بمختلف أنواع الأزهار وبتعطيرها بأفخر العطور والزيوت الشامية . فأنا أريد أن يكون المنزل جديرا بمقام حبيبتي . وأنا أسأل الآلهة أن تمنح مانيلو عطاياها جزاء مافعل! (يخرجان) .

ابسيليلا : (الى جمهور العامة) ما أشد شماتتى فيكم أيها الامعات ! بالأمس كنتم تملأون أفواهكم باسم قيصر . وقد تبين اليوم أننا كلنا لسنا الا عبيدا للمامورا .

فورير : (فى لهجة استخفاف وعدم اكتراث) باه ! ... هذه مبالغات كاتولو . أنا لا أنفى أن كلامه يعجبنى . ولكنه كثير التهويل . (يدخل تيتينو بهيئته المعتادة متسولا شامخ الأنف شديد الكبرياء والتعالى) .

تيتينو : أيها الرومان الكرماء . أنا محتاج الى صدقاتكم حتى أحافظ على حياتى الغالية . فلا تدعونى أفقد الثقة فى كرمكم وحسن جواركم .

(يمد يده ويمر على جمهور العامة من رجال ونساء ، فيناوله بعضهم صدقاتهم ويمتنع آخرون) •

فيبنيو : لقد فتح كاتولو عيونكم على الحقيقة • أما ما قالته ابسيليلا فهو صحيح والخطأ خطأكم قبل كل شيء •

فوريو : خطأنا نحن ؟ وأنت أيها العبد بأى حق تأتي لكى تنتقدنا وتحمل على ما نقول أو نفعل ؟

فيبنيو : بحق أنني لم أبع صوتي مثلكم • وان كان ذلك ربما يرجع الى أنه ليس لى صوت أبيعه ، اذ أن أمثالى ليس لهم حق التصويت •

فوريو : أما أنا فقد أعطيت صوتى لقيصر • ولكنى لم أتلق على ذلك أى ثمن • فلم يبذل لى أحد ولا درهما واحدا •

ابسيليلا : ولا درهما واحدا ! أليس كذلك ؟ اذن فلسنا نعرف كيف دبرت أمرك حتى تملأ بطنك من السمك بعد الانتخابات ؟ وأنت الذى لم تكن من قبلها تشترى بمالك ولا سردينة واحدة • (متوجهة الى السماك) أليس ما أقول صحيحا ؟

أجب ، فقد رأينا نحن جميعا ذلك بعيوننا .

السماك : أنا لا أنكر أن مبيعاتى من السمك قد زادت بنسبة كبيرة بعد انتهاء الانتخابات ولكن لم يعد علىّ ذلك بشيء من الربح . اذ لم تمض أيام حتى أرتفع ثمن السمك الذى يبيعه لنا الموردون ارتفاعا فاحشا .

أصوات من الجمهور : وما سبب ذلك ؟

السماك : قبل الانتخابات كنت أشتريه بنفسي من الصيادين . أما الآن فانه هو (يشير بيده اشارة ذات مغزى) الذى يحتكره وعلىّ أن أشتريه منه عن طريق سماسرته .

بائع العطور : هو يقول الحقيقة ، وذلك يشبه ما وقع لى أيضا .فقد كنت قبل الانتخابات أستورد العطور بنفسي . أما الآن فهو الذى يستورد كل ما يحتاج اليه السوق . علىّ وعلى أمثالي أن يشتروا منه حاجتهم بسعر أغلى .

بائع الحلى : وأما أنا فقد صفيت تجارتى ، اذ ليس فى وسعى أن أنافسه . ويبدو لى أنه لم يبق أمامى الا أن أمر على الناس سائلا صدقاتهم مثل هذا (يشير

الى تيتينو) اذ أن هذه هي المهنة الوحيدة التي سلمت من سيطرة ماموراء

تيتينو : (فى لهجة متخذلقة ضاغطا على مخارج الحروف كما لو كان أستاذا يلقى درساء) بل أنت مخطىء يا بائع الحلىء صحيح أن هذا الفرع الذى أنتمى اليه لم يلق بعد منافسة مباشرة من جانب السيد ماموراء ولكن لا تنس أن النقود السائلة التي يضعها هو فى ميدان التداول بعد كل دورة انتخابية تؤدى الى تضخم مالى له أسوأ الأثر على أصحاب مهنتنا ، وبهذا تتعرض مصالحنا للضرر مثل مصالحكم أنتم تماما ، فالأسعار ترتفع بصورة ملحوظة ولكن الصدقات التى نتلقاها تظل كما هى ،

صوت من الجمهور : التبعة كلها فيما أصابنا من ضرر تقع على ماموراء

صوت آخر : بل على ذنبه أرتوتروجوس الكاذب الذى خدعناء

أرتوتروجوس : (من الداخل وقبل أن يظهر على المسرح) السجل اليومي لأخبار الشعب الروماني !

أصوات من الجمهور : علينا جميعا أن نقاطعه ولا نسمع الى مايقول ، وليمتنع كل منا عن دفع درهم واحد لقاء قراءة

ما يصوغة من آكاذيب • لنتبع فى ذلك نصيحة
كاتولو •

أرتوتروجوس : (داخلا يحمل ألواحه وهو يبدو عليـه التعب والضجر) أهم أحداث اليوم •• معروضة مـن أجل خـدمة الجمهور ذى الذوق الرفيع • فى خدمة الرجال النبلاء أصحـاب العز الدائـم والسيدات ذوات الجمال الخالد ممن يشرفننى كل يوم برغبتهن فى استطلاع كل خبر جديد ! وبثمن زهيد ! ••• خمسة دارهم فقط من أجل قراءة أخبار السياسة •

فوريو : (فى سخرية) الخبيث قد رفع السعر مرة أخرى ••• يبدو أنه أصابه الجنون •

أرتوتروجوس : وما ذنبى أنا اذا كانت جميع الأسعار قد ارتفعت يا سيدى الضابط الكريم • ولكن قيصر وعـد باتخاذ الاجراءات الكفيلة بخفض الأسـعار • اقرأوا أخبار ذلك بالتفصيل • فسوف تجدونها هنا •

أصـوات من الجمهور : قيصر متواطىء مع مامورا ، وهو الذى يحمى تجارته وأعماله وتلاعبه فى الأسعار • وماممورا تتزايد ثروته يوما بعد يوم على حسابنا نحـن

الكادحين • مامورا هو المتسبب فى بؤسنا وشقائنا • ليسقط مامورا !

أرتوتروجوس : هذا الأمر من تدبير كاتولو • أو قد انطلت عليكم عبارات هذا الداعية المخرب ناشر الآراء الهدامة ؟ انى أحلف لكم ••••

أصوات من الجمهور : اخرج من هنا أيها الوغد ! (يقذفون أرتوتروجوس بالأحجار) يا كلب مامورا ! الشعب قد نفد صبره من الاستماع الى أكاذيبك • (يضيقون عليه الحصار) •

أرتوتروجوس : (فى جزع وهو يحاول الفرار) أنقذينى أيها الألهة !

الجمهور : (وهم ينتزعون منه ألواح السجل اليومى) لنحرق ألواح الأباطيل هذه ! ••• اقذفوا بها فى النار ! (يخرج جمهور العامة فى صخب وثورة) •

أرتوتروجوس : (عائدا بعد خروج الجمهور فى حذر وتلصص) الحمد للآلهة ! ••• لقد ذهبوا ••• (باحثا فى الموضع الذى كان يضع فيه ألواح سجله اليومى) ••• ولكنهم حملوا معهم ألواح السجل اليومى ! هذا انتهاك خطير للحرية !•••

لحريتي في أن أكتب من الأخبار ما يوافق مصلحتي ومصلحة سادتي ! هو عدوان على تجارتي .. أعني عدوان على الديمقراطية ! آه ! ... كم أكره أبوللو اله الشعر وكل الطائفة المنتمية اليه ، وعلى رأسها هذا الشاعر كاتولو ، اذ لا شك في أنه هو صاحب كل هذا التدبير . آه ! ... كمأنا أكرهه وأحسده ! .. كم يحز في قلبي كل ما يناله من وصال كلاوديا ! وكم أشعر بالغيرة من كل ما تلمسه هي بيدها أو تنظر اليه بعينها ... من بشر أو جمادات ! (يتقدم نحو باب منزل كلاوديا) هذا الباب مثلا ... (يلمس الباب) ما أسعدك وأنت تحتوى على صورتها كل يوم وهي داخلة خارجة ! (في هذه اللحظة يدخل مامورا دون أن يحس به أرتوتروجوس الذى يواصل حديثة العاطفى الملتهب) . لماذا حكم القدر بأن تكون أيها الباب أسعد مني،بل ومن سائر البشر ؟ آه لو انعكست الآية فأصبحت أنا أنت وأنت أنا ! ...

ماموراا : اذن فأنت الآن تود أن تتحول الى باب ؟ هذا حقا هو أغرب ما يمكن أن يصل اليه تفكير أشد الناس جنونا ! ....

أرتوترو جوس : ولكنه مع ذلك هو ما وصـــل اليه تفكير بعض الآلهة • ألا تذكر كيف حول كبير الآلهة جوبيتر نفسه الى مطر من الذهب حتى يقع فى حجــر محبوبته داناى وبتلك الحيلــة استطــاع أن يخصبها وينجب منها ؟ •••• ولكن المؤسف هو أن الآلهة وحدهــا هى التي تستطيــع أن تتقمص مثل تلك الصور •

ماموراء : لا ••• ليست هى الآلهة وحدها يا صـــديقى أرتوتروجوس • ماموراء أيضا يمكنه أن يفعل ذلك ، اذ أن ماموراء بدوره بمثابة أحد الآلهة • (يخرج من جيبه كيسا ، ثم يملأ كفه منه ويقذف الى أعلى ما يستطيع حفنة من قطع النقود الذهبية فتنتشر على الأرض) • هذا هو المطر الذهبي الذى تسعى اليه ياداناى !

أرتوتروجوس : قطع من خالص الذهب ! ؟ (ينحنى على الأرض لكى يجمعها فى لهفة) ولكن ••• لا أظنك تود بعد ذلك اخصابى أو الانجاب منى !

ماموراء : لا ••• ولكننى رجل أحفظ الجميل وأشكر عليه ••• أنا أدفع لك بهذا ثمنك !

أرتوتروجوس : والذى اتفقنا عليه بشأن كلاوديا ؟ هو أيضا جزء

من ثمنى .

ماموراا : كل شيء رهين بوقته الملائم، وستكون كلاوديا ملك يديك يابني . ألا تعرف أن قيصر قد جعلني موردا رسميا لكل ما يتطلبه الجيش ؟

أرتوتروجوس : خبر طيب أهنئك وأهنيء نفسى عليه يا مولاى. ولكنى لا أملك الا أن أبلغك خبرا سيئا محزنا.

ماموراا : خبر سيىء ؟

أرتوتروجوس : أن حوتك الكبير قد بدأ يعسر على الهضم . أعنى أن جمهور العامة فى طريقه الى التمرد والثورة عليك . فهم يقولون انك تزيد من ثروتك على حسابهم .

ماموراا : أهذا هو ما يقولون ؟

أرتوتروجوس : واليوم كان لى الشرف فى أن أتلقى باسمك مطر من الحجارة من الجماهير الغاضبة . وكانوا يهتفون : « الموت لماموراا ! » ...

ماموراا : (فى حيرة ووجوم وقد فاجأه الخبر) أوه ! .. هبيني عونك أيها الآلهة حتى أصدق ما أسمع كيف يصل نكران الجميل الى هذا الحد ؟ أهكذا يدفعون لى كل ما بذلت من تضحيات ؟

أنا ... الذى أقوم بتعبئة شبابنا وتسليحهم ثم ارسالهم فى جيوش الامبراطورية لكى يدافعوا عن الحرية فى مختلف بقاع العالم ؟!

أرتوتروجوس : (فى رنة سخرية) حقا انك الضحية المسكينة لهذا الجمهور الجاهل يا مولاى .

ماموراا : (مواصلا فى لهجة من يوشك على البكاء) هذا هو حظي والقدر المكتوب على ياأرتوتروجوس العزيز ! ....

أرتوتروجوس : نعم . وعليك أن « تشكر » هذا الحظ لذلك الشاعر كاتولو ، فهو صاحب الفضل فى هذا الشعور الجديد الذى تحس به الجماهير نحوك .

ماموراا : كاتولو ؟ هذا العدو اللدود لنظام الحكم الرومانى ؟ !

أرتوتروجوس : فى يدك أنت وحدك أن تمنع هذا الداعية المخرب من مواصلة تهديده لأمن الجمهورية وسلامها.. وتهديده فى الوقت نفسه لنظام « هضمك » لما تأكل من وجبات . واعرف أن خير طريقة تكفل لك منع الجماهير من العواء والصراخ هى ملء أفواهها . لماذا لا تأمر بتوزيع مقدار من القمح :

عشرة أمداء عن كل رأس مثلا ؟ لقد كان ذلك من جملـــة الوعـــود التى قطعتهـــا على نفسك للجماهير فى أثناء الانتخابات •

ماموررا : ولكن المعركة الانتخابية قـــد مضت وانتهت • وقد اعتدت من هذه الجماهير أن يأكلوا القمح ثم يطالبوا بالمزيد •

أرتوتروجوس : أضف الى ذلك عشرة أرطال مـــن الزيت لكل رأس وقد كان ذلك أيضا وعدا آخر بذلته لكل من يعطى مرشحك صوته • وأنت تعـــرف أن الآلة التي تشبع مـــن الزيت تكف عن الصرير والصرا خ•

(فى هذه اللحظة تدخل فيلنيا وأبرا كـــل منهما من احدى جهات المسرح فاذا تلاقتا تبادلتا التحية ووقفتا تخوضان فى حديث غير مسموع)

ماموررا : لا ••• لا ••• هذا أسوأ •••ليس من الحكمة أن نوزع عليهم زيتنا •• الا اذا كان زيتنا مغليا•

أرتوتروجوس : قدم لهم اذن عروضا وحفلات مسرحية هزلية ، فهي طريقة مجربة فى الهائهم وشغلهم •

ماموررا : ألديك فكرة عن عرض هزلى يكون حقا ملهيا

مضحكا ، بشرط ألا يتكلف الكثير من النفقات ؟

أرتوتروجوس : ليس هناك أكثر اضحاكا وتسلية من خطب ممثلى أقاليم الامبراطورية وسفرائها حينما يقدمون الى روما . والمساكين مستعدون دائما لانفاق كل ما يملكون بل وأكثر مما تسعه طاقاتهم لكى لا يفقدوا هذه الفرصة : فرصة الحديث والخطابة أمام أهل روما . لماذا لا تحمل قيصر على أن يستدعيهم ويعقد لهم مؤتمرا عاما هنا ؟

مامورا : لا تكن غبيا يا أرتوتروجوس . هذا شىء لا يمكن أن يعود علينا بخير قط . فهم حينئذ ينتهزون هذه الفرصة أيضا لكى يطلبوا مزيدا من النقود من الرومان ، كما هى عادتهم دائما .

أرتوتروجوس : (وهو يتنبه لوجود أبرا وفيلنيا فى طرف المسرح) انتظر قليلا يا مولاى . ألا تراهما ؟ أعنى فيلنيا وأبرا . هما لوحتان ناطقتان للأخبار ، ومن الممكن أن يوحيا الي بفكرة سديدة ، فهما وثيقتا الصلة بسيدتيهما ويعرفان كل أسرارهما الخاصة (يتقدم أرتوتروجوس نحو الجاريتين فيخاطبهما فى تودد وملاطفة) أين

تركتما أختكما الثالثة ؟

أبــرا : أختنا الثالثة (تتبادل النظرات فى دهشة مــع فيلنيا • ثم تضحك) أسمعت ؟ ياله من خفيف الظــل !

فيلنيا : أولا لسنا بأختين ••• ثــم انه ليس لنــا أخت ثالثة •

أرتوتروجوس : أوه ••• اعذراني على خطأى ! لقد التبس عليَّ الأمر ، فحسبتكما اثنتين من الهــات الظــرف والرقة الثلاث اللاتى يذكــرن فى الأســاطير • فالحق أنكما ساحرتان حقا ••• بل ان سحركما جدير بأن يدخل السرور والسعادة الى قلوب الآلهة نفسها •

أبــرا : يا لها من طريقة لطيفة لمغازلتنا واطرائنا •

فيلنيا : حقا انه لطيف رقيق ••• وهو بعد ذلك ذرب اللسان متوقد الخيال • من كان يقدر ذلك ؟

أرتوتروجوس : أتقولين هذا لأنك تستبعدين صدور مثل هذه الكلمات من شخص دميم الصورة مثلى ؟ أنت على حــق • فانــه لا ينقصنى الا القليل لكى أتحول الى مسخ من مسوخ الطبيعة • ولكن

المسوخ اذا رأت أنفسها فى محضر حوريات الفردوس قادرة على أن تصوغ من ناياتها ألحانا عذبة رائعةلا يقدر على الاتيانبها البشر .

الجارتيان : (وقد أطربتهما كلمات أرتوتروجوس ووقعت منهما موقع الرضا) : آه ! ...

فيلنيا : أسمعت ما يقوله يا أبرا ؟ (ثم مضيفة فى لهجة زهو وافتخار) انه يتكلم هكذا لأنه ليس من الغريب أن يصدر مثل هذا الكلام عن اغريقى ... مثلى !

أبـرا : لابد أنه شاعر .

أرتوتروجوس : (فى لهجة عنيفة كأنما وجهت اليه لطمة) لا... لا يا سيدتى ! وحش أو مسخ اذا أردت أن تصفيني بذلك . أما شاعر فهذا مالا يمكن أن أقبله . فأنا أكثر الناس بغضا لأبوللو . (ثم متوجها الى فيلنيا) ولكن كيف عرفت أنى اغريقى ؟

فيلنيا : أنا أعرفك من قبل . فأنت بائع الأخبار . ان الذى يراك مرة لا يمكنه بعد ذلك أن ينساك .

أرتوتروجوس : أعرف ذلك . فأنت تقصدين صورتى المنفرة ،

اذ هى من القبح والدمامة بحيث ...

فيلنبا : (مسارعة بمقاطعته) أوه ! ... معذرة ! لم أرد بذلك ...

أرتوتروجوس : لا تزعجى نفسك بالاعتذار .... فهـو شىء لاقيمة له . وأنا متعود على سـماع مثلـه . وبمناسبة ما ذكرته من الأخبار ، يبدو لى أنكما كنتما تتحدثان عن شىء مهم مثير .

أبـرا : هى فلينيا ... كانت تحدثنى بأن... (تتردد).

أرتوتروجوس : (فى تلهف) ماذا ؟ ... ماذا ؟ ....

أبـرا : أن كلاوديا ... (تعود الى التردد) .

أرتوتروجوس : أن كلاوديا ... ماذا ؟

أبـرا : ... سوف تستشيط غضبا !

أرتوتروجوس : يا للسماوات ! ولماذا ؟

فيلنيا : لان أوريليا ... (تعود الى التعلثم) .

أرتوتروجوس : (وقد تزايد فضوله وتلهفه) أم قيصر ؟ ! ... (مخاطبا نفسه) يا له من خبر ! ... لابد أنه سمكة سمينة !

فيلنيا : أوريليا لن تسمح هذه السنة لكلاوديا بالاشتراك

فى الاحتفالات الدينيــة التى ستقام بمناسبــة
القداس الخاص بالهة الخير •

أرتوتروجوس : (وقد استثاره الخبر) يالصواعق جوبيتر ! أو
ذلك ممكن ؟

أبــرا : أوريليا تقول ان ذلك يرجــع الى أن كلاوديا
بسلوكها الشائن المخل بالآداب انما تهين حرمة
أمنا المقدسة •

أرتوتروجوس : أهذا هو ما تقول ؟ يالغيرة العجــائز ! انهــن
يعدن متشــددات متعصبات حينمــا تجف فى
نفوسهن ينابيع الحب !

أبــرا : ولكن الحقيقــة هي أن بومبيا ••• (تتردد فى
أنهاء العبارة) •

أرتوتروجوس : ماذا ؟ هناك أيضا شيء عن بومبيا ؟ ماذا •••
أكملي •

أبــرا : أن بومبيا و ••• ولكــن بحــق الالهة جونو
لا تذيعا هذا الخبر •

فيلنيا : أما من ناحيتي فلا تخشى شيئا • فأنا لا أعرف
أحدا فى روما •

أرتوتروجوس : ولا مــن ناحيتي • فلعلك تعرفين أن الكتمان

والحذر هما أول ما يجب أن يتحلى به المشتغلون بمثل مهنتي .

أبـــرا : (فى لهجة غامضة كمن يدلي بسر خطير) بومبيا وبوبليو ...

أرتوتروجوس : نعم ! نعم ! ... فهمت ... ولكن ماذا بينهما ؟

ابـــرا : بومبيا هي خليلة بوبليو !

فيلنيا : لا ... مستحيل ! ...

أرتوتروجوس : بحق جميع الآلهـــة والآلهات ! ان هـــذا الخبر يساوى العالم بأسره . اذن فأخو كلاوديا وزوجة قيصر ... (يشير بيده اشارة يعني بها العلاقة الغراميـــة بينهما) وهـــل تعلم بذلك أوريليا أم قيصر ؟

أبـــرا : علم اليقين ... لا . ولكنها تساورها الشكوك . ولهذا فهي عازمة على أن تلازم بومبيا ولاتتركها لحظة واحـــدة خـــلال الاحتفالات بقداس الهة الخير .

أرتوتروجوس : ولكني لست أفهم السبب فى هذا القرار . فان جبين قيصر القنصلي فى مأمن من أن تزينه القرون خلال أيام الاحتفالات الدينية . اذ من المعروف

أنه لا يمكن لأى رجل ان يقترب من المعبد أو القصر الذى تقام فيه الاحتفالات • وسيكون فى هذه السنة هو قصر قيصر نفسه •

فيلنيا : ولا حتى قيصر نفسه ؟

أبـرا : التقليد المتبع هو ان يخرج من المكان الذى يقام فيه القداس جميع الرجال،بل ان هذا الأمر يطبق حتى على التماثيل والصور التي تمت بأدنى صلة الى الذكور •

أرتوتروجوس : وطبيعي أن يسرى ذلك على قيصر نفسه ، (ثم مضيفا فى تخابث طافح بالتعريض) ولو أنه اذا قدرنا الأمر من وجهة نظر أخرى فانه قد يكون من حقه حضور الاحتفالات ••• نعم ••• كل مايمت بصلة الى الذكورة يحرم عليه دخول المعبد ••• حتى ذكور الحشرات نفسها !

مامورا : (على بعد وهو يتسمع للحديث) ما أحد لسانك أيها الخبيث ! حتى قيصر نفسـه لاينجو مـن تعريضك اللاذع !

أبـرا : (وقد سمعت صوت مامورا دون أن تراه ••• تصرخ فى فزع) أنقـذيني يا جونو ! يبدو أن أحدا سمع ما أقول !

فيلنيا : نعم ! ••• كان هذا صوت رجل !

أرتوتروجوس : هو صوتي أنا ••• ألست رجلا ؟

أبـــرا : يا للمصيبة ! ••• لابد أن يحل بي أقسى العقاب (تخرج هاربة فى ذعر) •

فيلنيا : (تدقق النظر الى حيث وقف ماموا) : ماموا ! ••• أنقذيني أيتها الآلهة ! (تهرب بدورها) •

أرتوتروجوس : (متوجها الى ماموا) لقد أفزعت هاتين الحمامتين يامولاى ولكن ••• لا بأس ! فقد تركنا بين يدى ريشا بديعا لا يقدر بثمن • اسمع : لدينا مـــادة يمكـــن أن نســـتغلها فى أثارة فضـــيحة مجلجلة ! •••

ماموا : أعـــازم أنت على اذاعة خبر العلاقة بين بومبيا وبوبليو فى « السجل اليومي للأخبار » ؟

أرتوتروجوس : صبرا يامولاى ! لاتتعجل ! فكل شيء رهـــين بوقته الملائم كما ســـبق لك أن قلت لي • قبل ذلك يجب علينا أن نفكر فى حيلة يترتب عليها ادخال بوبليو فى بيت قيصر ثم مفاجأته هناك •

ماموا : وكيف يمكـــن ادخاله الى بيت قيصر ؟ أنسيت الحراسة المشددة على القصر ، وخصوصا فى هذه

الأيام بمناسبة قرب الاحتفالات الدينية بالهة الخير ؟

أرتوتروجوس : الاحتفالات الدينية ! ... (فى صوت مفاجيء كما لو كان قد عثر على شيء) لقد خطرت لي الفكرة ! ياله من تدبير هائل ! سوف يتزلزل له جبل الأوليمب نفسه !

ماموراً : أى فكرة تجول برأسك ؟

أرتوتروجوس : فكرة هائلة ! فضيحة ضخمة لا مثيل لها ! ستنسى عامة الشعب كل شيء عن صفقاتك وتجاراتك ... سينسون خطب كاتولو الرنانه ومآثر اجناثيو الاسباني فى ميادين المصارعة .... بل سينسون تاريخ روما كله ! ... وسيعود نظام هضمك الى مجراه الطبيعي فى هدوء ويسير ، بينما السمكة الكبرى مستغرقة فى أعمق النوم فى قاع بطنك . هذه هي الفضيحة التي كنا نحتاج اليها .

ماموراً : (نافذ الصبر) ولكن بحق جميع الآلهة ... دعك من هذه المقدمات واشرح لي تفصيل هذه الخطبة .

أرتوتروجوس : سيتمكن بوبليو من اقتحام قصر قيصر فى ليلة

الغد ••• خلال الاحتفالات والطقوس الدينية المقامة لالهة الخير •

مامورا : (فى خيبة أمل) وهل هذه هي خطتك العبقرية أيها المهرج الرقيع ؟ ان بوبليو رجل •

أرتوتروجوس : نعم • هذا هو مايبدو ، على الرغم من أنه من طبقة البنلاء • ولكنه يستطيع الدخول متنكرا فى ملابس أمرأة • وهو على كل حال يمكن أن يختلط بالنساء دون أن يسهل تمييزه اذا قدرنا جمال طلعته ووسامته •

مامورا : فى ملابس امرأة ؟ (فترة صمت) لا بأس بالفكرة•

أرتوتروجوس : وبهذا سنترك كاتولو سادرا فى خطبه الرنانة التي لن يسمعها أحد غيره ••• هل تستطيع أنت أن تقنع بوبليو بأن يتنكر فى زى أمرأة ويخوض هذه المغامرة ؟

مامورا : سأقنعه • هذا شيء لا يستعصي عليّ بغيرشك •

أرتوتروجوس : اذن فلنبدأ العمل من الآن • كل منا فى ميدانه • أما أنا فسأبدأ باعداد خبر الفضيحة الكبرى التي ستقع خلال الاحتفالات الدينية •

مامورا : (فى دهشة) كيف ؟ أتستطيع رواية الأحداث

قبل أن تقع ؟

أرتوتروجوس : أنا أعرف مهنتي على خير وجه . المهم ليس هو رواية الأحداث ، ولكن سبق الآخرين الى روايتها ، وعلى النحو الذى يتفق مع ما نسعى اليه من أغراض . سترى أنت ذلك . اني أتصور الآن كيف سينثال القراء للتهافت على لوحات سجلي اليومي كما ينثال الذباب على العسل . لتوفقنا الآلهة فيما نحن مقدمون عليه.(يخرج).

ماموروا : (يتأمله قليلا وهو فى طريقه الى الخروج متابعا اياه بنظره) آه ! ... أرتوتروجوس ... ما أعجزني عن دفع تمنك مهما أجزلت لك فى العطاء! ... كم أحتقرك ... ولكن ... كم أنت مفيد لي ! (يتحرك نحو بيت كلاوديا) والآن ... لنعمل على اقناع بوبليو .

ابسيليلا : (من الداخل يسمع صوتها وهي تنادى قبل أن تظهر على المسرح) عندى أحجبة للحب ! ... وصفات لاخصاب النساء العواقر ! (تدخل المسرح) استعداد كامل لتوليد الحوامل ! ... وصفات لاجهاض (تتثاءب) آه ! ... ياله من يوم مجهد : روح واحدة أتيت بها الى هذا

العالم ، وروحان ألقيت بهما الى العالم الآخر ٠
وأما الأجر فقد كان دينارين عن كل عمل من هذه الأعمال ٠

(تجلس فى تثاقل على احدى سلالم الدرج ، وتتمطى فى تراخ ، ثم تستعد للنوم) أنا أستحق الآن قسطا من الراحة (تخلد الى النوم) ٠

(تدخل كلاوديا المسرح فى خطوات سريعة ، وهى يبدو عليها الغضب وتوتر الاعصاب ، ومن ورائها كاتولو)

كاتولو : ولكن ٠٠٠ كلاوديا ، حبيبتي ! كم كم مرة أقول لك ان هذا الذى تقولين عما بيني وبين «كنتيا» شيء لا صحة له ؟ بأى ألفاظ تودين أن أعبر لك عن بطلان هذه القصة ؟

كلاوديا : لا يمكن أن تكون هذه القصة باطلة بعد أن رددتها روما كلها ٠ وبعد أن أصبح العامة — العامة التي لا تكف عن التمدح بها والتودد اليها — لا شغل لهم الا تكرارها متلذذين بها ٠ وأنت تعلم بهذه المناسبة أن هؤلاء العامة يكنون لي الكراهية والبغض !

كاتولو : هو الحسد ٠ لأنك أجمل من فى روما من نساء ، لأن وجودك فى أى مكان تظهرين فيه كفيل بأن

يخرس الألسنة ويدير الرؤوس •

كلاوديا : ما كان أسعدني من قبل وأنا أسمع مثل هـذه الكلمات منك • كانت ألفاظك بالنسبة لي كندى الصـباح يرف على روحي المعذبة الحزينـة • (تتنهد تنهدا حارا عميقا) أما الآن ••• فأنا أعرف أنك تقدم مثل هذه الكلمات أيضا قربانا بين يدى كنتيا •

كاتولو : أقسم لك بكل لآلهة ••• لقد سـبق أن قلت لك •••

كلاوديا : (تقاطعه) أنت أعلنت على رؤوس الملأ وفى كل مكان عن اعجابك بها •

كاتولو : لماذا تعودين كل مرة الى اثارة هذا الموضوع ؟ مع أني سبق أن قلت لك •••

كلاوديا : (تعود الى مقاطعته) لابد أنك تحبها أكثر مما تحبني أنا ، مادمت قد وصفتها بأنها أجمل امرأة فى روما •

كاتولو : (فى نفاد صبر) أوه ••• جوبيتر يا كبير الآلهة ! أنزل عليّ صواعقك لو كنت كاذبا ! لم أكـن أعرف أن الكلمات تنمو أيضا وتتوالد كما لو

كانت كائنات حية . أنا لم أهب الحياة الا لدودة صغيرة . كل ما قلته هو أنني أعترف بأن كنتيا ليست دمية .

كلاوديا : يافرحة العامة وشماتتهم فى الآن ! انهم يضحكون مني ويقولون انه من الطبيعي أن تهيم أنت حبا بكنتيا ... اذ أنها فتاة فى مقتبل الشباب ... فى مثل سنك .

كاتولو : انني لم اسمع قط فى حياتي نميمة أحط من هذه !

كلاوديا : منحطة ؟ ! أنا ؟ ...

كاتولو : لا ... لا ... بحق كل الآلهة ! لا تسيئي تأويل كلماتي . أنا أعني هذه النميمة وأولئك الذين نفخوا الروح فى تلك الدودة الصغيرة ثم غذوها حتى ساقوها بعد ذلك اليك وقد تحولت الى حية سامة هائلة !

كلاوديا : نعم ... حية لاتجرؤ أنت الآن على قطع رأسها .

كاتولو : وكيف تريدين لي أن أفعل لكي أقضي عليها ؟

كلاوديا : أنت رجل لاتنقصه الأسلحة الماضية . فأنت شاعر ! ... ولكن ... لا ... فأنا أعرف أنك

لن تفعل .

كاتولو : هل ما تطلبينه الي هو قصيدة شعر يا كلاوديا ؟
سأقوم بنظمها ... بل سأنظم ألف قصيدة اذا
كان فى ذلك ما يزيل شكوكك وأوهامك .
سأصيح فى الدنيا كلها معلنا أنه ليس فى العالم
كله امرأة أجمل منك .

كلاوديا : ليس هذا هو ما أريد . ولكن أنا أعرف أن كنتيا
بالنسبة لك ...

كاتولو : كلاوديا ... بحق الهة الجمال أفروديت ...
لاتعودى الى الخوض فى هذا الموضوع .

كلاوديا : (فى دلال) اذن ... ستنظم هذه القصيدة ؟

كاتولو : نعم . سأفعل . ستكون قصيدتي منديلا أبدع
نسجة وتطريزة لكي يجفف دموعك الغالية .
سأعلن على الناس جميعا غرامي المحموم بك
ياحبيبتي كلاوديا حتى يعرفها لا البشر وحدهم
بل الآلهة أنفسهم !

كلاوديا : (فى رقة) ستجعلني بذلك أسعد نساء العالم كله
(لحظة صمت تواصل بعدها وقد بدا عليها الضيق
والكدر من جديد) ولكن ... لا ياكاتولو .

هذا شيء مستحيل •

كاتولو : ولم ؟ اذا كانت روحي تواقة الى الصراخ بهذا النشيد •

(ابسيليلا تتحرك من مكانها ، ثم تتمطى وتتثاءب)

كلاوديا : لا ياحبيبي الصغير ••• الآلهة تنكر عليّ الخلود الذى تتمتع هي به • اذ لا مفر من أن أبقى كما كنت ملهمة شعرك المجهولة التي لا يعرف أحـد عنها شيئا : «لسبيا» التي تغنيت بها فى قصائدك دون أن يفطن أحد الى أنها أنا •

كاتولو : آه ••• ياغضب جوبيتر الجبار ونقمته ! ••• يالي من مغروز منكود الحظ • لقد كنت ناسيا أن زوجك يسلبني جزءاً لا يتجزأ مـن روحي •

كلاوديا : ولكن روحي كلها ملك يديك أنت • صـدقني ••• أما هو فانه ليس الا زوجي فى الظاهر وهو مهما بلغت قوته عاجز عن التحكم فى روحي التي وهبتها لك •

كاتولو : زوجك فى الظاهر • ولكن هذا الظاهر هو الذى يعتد به الناس • ومن أجل هذا يجب عليّ أن أمتنع عن ذكر اسمك فى قصائدى •

كلاوديا : فى الحب ليس كل ماكان ظاهرا هـو الحقيقي .
الشيء الوحيد الذى يعتبر حقيقيا هو الشعور المستقر فى أعماق النفس . ألا يرضيك أن تكون أنت المتحكم فى أعماق روحي ؟

كاتولو : نعم يا كلاوديا ، ولكن الذى يؤدى بي الى حافة الجنون واليأس هو أن أرى نفسي عاجزا عـن ذكر اسمك مضطرا الى كتمانه والتورية عنـه باسم أخرى .

(ابسيليلا تنهض فى تثاقـل ، ويحس بهـا كاتولو وكلاوديا فيجفلان ويتطلعـان الـى شخصها فى دهشة ، وحينئذ تحاول كلاوديا ان تغطى وجهها بالكساء الذى تلقيه علـى كتفيها . اما كاتولو فيلف ذراعيه حولهـا لحمايتها . ابسيليلا يبدو عليها أنها لاتعـير التفاتا لهما ، اذ تدير ظهرها فى تثاقل وتعود الى النداء)

ابسيليلا : عندى أحجبة للحب ! حيل ومركبات لتخليص الزوجات من أزواجهن الغيورين على شرفهم ! من أرادني فليذهب الى حي «سوبورا» وليسأل عن ابسيليلا . (تخرج)

كلاوديا : (كما لو كانت قد خطرت لها فكرة مفاجئـة) أسمعت ياكاتولو ؟ حيل لتخليص الزوجات من

أزواجهـــن الغيـــورين ! ••• ان زوجي ليس مخلدا • أتريد أن أبرهن لك على صدق حبي ؟ آنا على اتم استعداد •

كاتولو : كلاوديا ! الى أى عالم غريب يجـــرنا الحب ؟ أتحبينني أنت حقا يا كلاوديا الى هذا الحد الذى تشيرين اليه ؟

كلاوديا : نعم ياكاتولو ••• الى حد الجنون ! (يتبادلان قبلة طويلة محمومة • تخرج فى هذه اللحظـــة فيلنيا من دار كلاوديا فى عجلة فتفاجأ بالمنظر ، ويبدو عليها الاضـــطراب لحظـــة ، ثم تتقـــدم متنحنحة • وينتبـــه الحبيبان الى وجـــودها ، فيفترقان)

فيلنيا : آه ••• معذرة يا سيدتي ! ••• أخيرا عثرت عليك هنا بعد أن بحثت عنك فى كل مكان !

كلاوديا : ما هناك يافيلنيا ؟

فيلنيا : لا ••• لاشيء • غير أن سيدى عاد من مجلس الشيوخ وسأل عنك ، فهو يريد رؤيتك فى أمر عاجل !

كلاوديا : زوجي ؟ ••• الآن ؟

كاتولو : (فى غضب وأسف ، مخاطبا فيلنيا) وهذا هو ما تسمينه « لاشيء » (الى كلاوديا) ان استدعاءك على هذه الصورة أشد عليّ من ستة آلاف حربة تمزق جسدى تمزيقا !

كلاوديا : (فى تودد وملاطفة) أوه ••• كاتولو ••• حبيبي • اذهب انت الآن حاملا روحي المعذبة معك ! فأنا أخشى أن يخرج فيلتقي بك هنا •

كاتولو : (فى حمية) معنى ذلك أن أهرب الآن هروب الجبان ؟ بدلا من أن •••

كلاوديا : (تقاطعه) صبراً يا حبيبي ! ••• (لحظة صمت) اسمع : اذهب الى حي «سوبورا» وأسأل هناك عن ابسيليلا •

كاتولو : حسنا ! ••• اذا كان ذلك هو ما قضى به حكم الآلهة •••

فيلنيا : (وقد تزايد قلقها) معذرة يا سيدى • سيدتي : أنا أخشى أن •••

كاتولو : نعم ••• قد فهمت • آه لشقائي ونكد حظي ! لماذا لم تبتلعني ظلمات الجحيم القاسية ؟

كلاوديا : الى الغد ياحبيبي ومالك روحي • (كاتولو يخرج

فى حركة سريعة . تنظر كلاوديا فى هدوء الى فيلينا ثم تقول) والآن مـا الذى حـدث حقا يافيلينا ؟ لأنه يمكن لي أن أؤكد أن كينتوسيلر لم يخطر بباله أبداً أن يسأل عني فى مثل هـذه الساعة . والا فان هذه ستكون هي المرة الأولى فى حياته .

فيلنيا : لا ياسيدتي ... هو الآن مستغرق فى نومه .

كلاوديا : نعم ... كالعهد به دائما .

فيلنيا : الحقيقة هي أن مامورا ينتظرك منذ وقت طويل . ولهذا سمحت لنفسي بتلفيق هذه القصة لكي تحضرى ... اذ أن ...

كلاوديا : (فى دهشة) مامورا ؟ اذن فقد أحسنت صنعا . (لحظة صمت ، ثم تضيف وهي تتثنى فى دلال) آه ... الحب يافيلنيا هو خير هبة منحتنا اياها الالهة . ولكن حبا بغير مال ... (اشارة لها مغزاها) ان أفروديت نفسها لو لم تتلق عونا من ميركوريو اله المال لأصبحت متسولة ! ...

مامورا : (يخـرج دون أن تحس به المرأتان مـن بيت كلاوديا ، مدركا العبارة الأخيرة التي نطقت بها هذه) ... والان ها هو ذا ميركوريو بلحمـة ودمه قد أتى اليك يا كلاوديا الفاتنة . اعذريني

اذا كنت قد دبرت تلك الحيلة مستخدما هـذه الفتاة الذكية من أجل ... (يشير بيده اشارة تعني ابعاد أحد) . (فى صوت جاد) هناك شيء مهم جدا أود الحديث معك فيه .

كلاوديا : أهم من الحب ؟

مامورا : لك أنت نفسك أن تحكمي : ان أوريليا قررت هذه السنة أن تستبعدك من الاحتفالات الدينية بالهة الخير .(فيلنيا تجفل ويبدو عليها الخوف).

كلاوديا : (وقد فاجأها الخبر . فى غضب) ومن أخبرك بهذا ؟ (يزدادخوف فيلنيا) .

مامورا : (فى لهجة متسمة بالغموض) حمامة طائرة ... (فيلنيا تعود الى الطمأنينة) .

كلاوديا : (منفجرة وقد استبد بها الغضب) أنا أقسم على أن يكون انتقامى رهيبا . ولكننى لاأعرف بعد مايجب أن أفعل .

مامورا : لقد فكرت أنا بالنيابة عنك فى الانتقام ياعزيزتى. ورتبت الأمور بحيث أن أخاك ... (ينظر الى فيلنيا كأنه يشير اليها بالابتعاد ، فتمتثل لأمره ، ثم يدنو من كلاوديا وينفرد بها ويهمس فى أذنها

بكلمات غير مسموعة) ••• فأنت تعرفينأن بينه وبين بومبيا ••• ايه (يشير بيده اشارة يفهم منها أن بينهما علاقة غرامية) •

كلاوديا : (فى فرح طاغ وشماتة متوحشة) صحيح يا مامورا !؟ آه ••• يا له من تدبير محكم سيجعلهم أضحوكة الدنيا ! آى انتقام رهيب ينتظرك ياأوريليا ! ••• ان الفرحة المسعورة تتملكنى حينما أتخيل وجه أم قيصر حينما تعرف ذلك ••• سينشق كبدها من الغيظ ••• هذه العجوز الشوهاء التي تنصب نفسها الآن حارسه للفضيلة والشرف ! ••• (فى اشارة تدعو بها مامورا الى دخول دارها) لندخل يامامورا • تفضل ••• واقبل دعوتى لتناول كأس من نبيذ•

مامورا : (ممررا لسانه على شفتيه فى تلمظ) ان نبيذك دائما أفخر من ذلك الذى يشربه باخوس اله الخمر نفسه • تفضلى أنت أولا • (تدخل كلاوديا تتبعها فيلنيا) ••• (مخاطبا نفسه وهو يتأمل كلاوديا وهى دالفة الى بيتها) ••• طبق لذيذ هو ذلك الذى تريد أن تحتفظ به لنفسك يا أرتوتروجوس ! ••• ولكنى أشك فى قدرتك

على أكله ! (يدخل) .

(واجهة قصر قيصر تطل على احد شوارع روما الكبرى . تسمع من داخل القصر موسيقى دينية واغانى جوقة من النساء أثناء الاحتفالات الدينية بالهة الخير . الوقت ليل والاضاءة خافتة . يدخل أرتوتروجوس ومامورا وكلاهما قد وضع على كتفيه عباءة ثقيلة)

مامورا : ما هذه الموسيقى الغريبة التى تسمع من بيت قيصر ياأرتوتروجوس ؟

أرتوتروجوس : هى دقات الطبول ورنات النايات وضربات الدفوف يامولاى . أتسمع الآن ترتيل « جوقة الأمهات » ؟ انهن يمثلن الآف كاهنات الاله ديونيسوس .

(تتوقف الموسيقى والاغانى فجاة . وتمر لحظة صمت ثم تصرخ جوقة الامهات فى أصوات عالية هستيرية)

جوقة الأمهات : ايفوهية ! ايفوهية ! ايفوهية ! (لحظة صمت)

مامورا : وهذه الصرخات الحادة ... ماذا تعني ؟

أرتوتروجوس : انها تمثيل للحظة التي شرع فيها «أتيس» فى غرامة المجنون «بسيبيلس» فى التضحية برجولته قربانا لالهة الخير . الحقيقة أنني لا أحسده على ما فعل .

جوقة الأمهات : (مـن جديد) ايفوهية ! ••• ايفوهية ! •••
ايفوهية !

أرتوتروجوس : لا بد أنهن الآن منهمكات فى استخراج القرابين المقدسـة من سلة الطقوس حتى يقدمـن لها الصلوات • لو كنت فى مكانهن لما خطر ببالي أن أصلي أو أتعبد لمثل هذه التفاهات الخرافية •

ماموراً : بحق ميركوريو ! ••• ولا أنا !

(تعود الموسيقى والتراتيـل الى العـزف والانشـاد)

أرتوتروجوس : اتفهم الآن لماذا لا يسمح لأى رجل بأن يحضر الاحتفالات المخصصة لعبادة الهة الخـير ؟ ان « اتيس » بعد تضحيته برجولته قد تحول الى جارية •••

ماموراً : جارية ؟

أرتوتروجوس : نعم ••• جارية لالهة الخير ••• للأم الكبرى ••• وفى هذه اللحظة تحول كل من له صفـة الذكورة من المخلوقات والاشياء الى الأنوثة فى غابات « الدندم » العليا • انني أتصور ما يمكن أن يحـدث لأى رجـل يخطر بباله أن يدنس احتفالات الهة الخير بوجوده •••• اذ توقع عليه فى الحال نفس العقوبة التي وقعها أتيس على نفسه بيده •••

مامورا : مثل بوبيليو مثلا ؟

أرتوتروجوس : مثل بوبليو ••• ولو أني أظنه لا يخسر كثيرا لو وقّع عليه مثل هذا العقاب •

مامورا : بهذه المناسبة ••• هل رأيت أبرا ؟

أرتوتروجوس : نعم • وأسقطت بين يديها قطع النقود التي أعطيتني أنت من أجلها •

مامورا : وكم بقى بين يديك أنت منها ؟

أرتوتروجوس : من يدى أبرا ؟ ولا قلامة ظفر ••• فاني لم ألمسها •

مامورا : أنت فى الحقيقة من الذكاء بحيث تعرف كيف تتصنع البلاهة فى الوقت الملائم • أنت تعرف أني لم أقصد يدى أبرا بما أقول • وانما يديك أنت من قطع النقود •

أرتوتروجوس : (فى كبرياء كأنما جرحت كرامته) أوه ••• يا مولاى ! أنا أحلف بكل الآلهة •••

مامورا : (مقاطعا) دعك من هذا • هل شرحت لأبرا ما يجب عليها أن تفعل ؟

أرتوتروجوس : أنا لقنتها الدرس كاملا بكل تفاصيله • ولك أن تطمئن على كل شيء ••• (يفرك يديه فى اغتباط) لست أظن أن ذئبة روما عوت خلال القرون الستة الماضية منذ انشاء المدينة كما ستعوى طربا فى هذه الليلة ! سيكون للفضيحة دوى هائل يتردد فى كل مكان !

(يظهر على المسرح بوبليو بولسر متخفيا فى زى النساء ويتقدم الى بيت قيصر وهو يتلفت حواليه فى حذر • ماموراو ارتوتروجوس يسارعان بالاختفاء)

ماموزا : (فى همس) ••• امرأة !

أرتوتروجوس : ولكنها تمشى مشية الرجال ••• هو بوبليو •• ليس فى ذلك شك ! (بوبليو يقترب من باب القصر فى حذر شديد) •

ماموزا : أتراه سيتمكن من الدخول ؟

أرتوتروجوس : لقد وعدتنى أبرا بأن تترك باب القصر مفتوحا من الداخل دون أن تقفله بالمزلاج • (بوبليو يعالج الباب ويدفعه فينفتح أمامه • يظل برهة ناظرا حواليه فى حذر ثم ينسل فى خفة الى الداخل) • ألا ترى كيف يجرى كل شىء على نحو مارسمنا ودبرنا ! والآن ستفطن أبرا الى

دخول بوبليو ولكنها ستتجاهله وتتصنع الغفلة عنه . ثم تتقدم منه وتدعوه الى الرقص كما لو كان امرأة تقوم بدور الكاهنة مثلها . فاذا امتنع عن الاستجابة لها ألحت عليه حتى تستطيع بطريقة أو بأخرى ...

(يتوقف أرتوتروجوس عن الكلام بينما تشتد الاضاءة من وراء الستار الذى يمثل واجهة قصر قيصر ، ويبدو هذا الستار شفافا يستطيع النظر أن يميز من ورائه منظر الاحتفال الدينى فى داخل القصر . النساء القائمات بدور الكاهنات واقفات فى صفوف على جانبى المسرح وفى الوسط نرى بوبليو وابرا ، وهى ترقص حوله داعية اياه الى الرقص بينما هو يحكم القناع على وجهه . يحاول بوبليو أن يتجنب دعوتها له ، ولكنها تلح عليه وهى تدور من حوله فى رقصتها . أثناء ذلك تسمع الموسيقى وأصوات الكاهنات فى ترتيلها كستار خلفي لحركات بوبليو وأبرا . ماموروا وأرتوتروجوس منزويين فى ركن المسرح وهما يتطلعان فى قلق وفروغ صبر)

ماموروا : الوقت يمضى ولم يحدث بعد شىء

أرتوتروجوس : صبرا يا مولاى ... صبرا .

(أبرا تقترب أخيرا من بوبليو المتزيى

بملابس امرأة ، وتتمكن من الامســاك بيده فيقع عن وجهه طرف العباءة التي تقنــع بها ، وحينئذ يحاول تغطيــة وجهه بيــده الأخرى بينما بجتهد فى الافلات من بين يدى ابرا وأخيرا يصيح)

بوبليو : لا ... اتركينى ... أنا لا أريد الرقص !

ابــرا : (كذا لو كان الصوت قد فاجأها وقد توقفت عن الرقص) أى صوت أسمــع ؟ (تصرخ فى فزع) شىء فظيع ! تدنيس للمعبد ! صــوت رجل ! ... رجل ! ... رجل اقتحم المعبد فى أثناء الاحتفالات !

(تتوقف الموسيقى والأغانى فجأة . التوتر يسود المشهد . بوبليو يذرع المسرح جاريا فى طريقه الى الهرب)

أرتوتروجوس : اجر يابوبليو ! ... اجــر قبل أن تتحول الى جارية لسبيلس مثل أتيس !

أوريليا : (من الداخل قبل أن تظهر على المسرح) ليتوقف الاحتفال ! ولتحفظ القرابين المقدسة فى سلــة الطقوس ، ولتغطى السلة فى الحال ! وائتوني الآن بهذا الرجل ! ... ابحثوا عنه فى كل مكان! وليوقع عليه العقاب الرادع الجدير بجريمتــه المروعة ! ...

أرتوتروجوس : أتسمع يا مولاى ؟ ! هذه هى الفضيحة الكبرى التى رسمناها قد وقعت كما قدرنا .

امرأة ١ : لقد هرب مدنس المعبد من الباب .
(من جوقة الأمهات)

أوريليا : (من الداخل) ومن التي فتحت الباب ؟ (تظهر أوريليا ومعها بومبيا وأبرا وبعض الكاهنات وهن يضعن على رؤوسهن تيجانا من ورق الشجر وفى أيديهن فروع خضراء على غرار الهيئة التي يمثل بها باخوس اله الخمر) .

أصوات : (من كاهنات جوقة الأمهات) الـــويل لمدنس المعبد ! الويل له ! .

امرأة ٢ : لقد تعرفت على الرجل .

أوريليا : ومن هو ؟ .

امرأة ٢ : بوبليو بولسر .

اصوات : (من الكاهنات) بوبليو بولسر !؟ .

أوريليا : (تنظر فى ريبة وتشكك الى بومبيا) كان عليّ أن أتوقع ذلك .

بومبيا : بوبلـ ... ! آه ! ... (يغشى عليها وتوشك على السقوط الى الأرض لولا أن أبرا تسندها بذراعيها) .

أبـــرا : لقد غشى على بومبيا .

امرأة ١ : (وهي تهرع لاسـعافها) ربما كان ذلـك من الخوف ! .

امرأة ٢ : (مسرعة لاسعافها كذلك) أو من الغضب ! .

أوريليا : (محاولة تغطية المـوقف وتقليل أهميته) أو بسبب الحر الشديد . بومبيا تشكو دائما من ارتفاع حرارتها (لحظة صمت) ان روما لم تشهد فى تاريخها تدنيسا لمقدساتها أجرأ مما حـدث الآن ! .

امرأة ٢ : سيعرف زوجي اليوم بخبر ما حدث .

امرأة ١ : وزوجى أنا .

امرأة ٣ : وزوجى كذلك . لا بد أن تعقد المحكمة العليا جلسة لمحاكمة بوبليو .

امرأة ١ : نعم . عليه أن يقدم حسابا عن تدنيسه المشئوم للمعبد .

امرأة ٢ : كيف يستطيع رجل أن يعرض نفســه هكذا لغضب جميع الآلهة ؟ •

أوريليا : أنا أقسم بجوبيتر كبير الآلهة وبجونو زوجته التي أدين لها بتقديس خاص باعتباري أما لقيصر أن المجرم لن يفلت من العقاب • لنعمل من الآن على اعداد الكئوس المقدسة للقرابين فى انتظار توقيع العقاب على مدنس المعبد • (تدخل ومن ورائها كاهنات جوقة الأمهات) •

بؤمبيا : (بعد أن أفاقت من غشيتها بصــوت ضعيف متهالك) آه ••• بوبليو ! لو أنني كنت اعرف ••• (تدخل متحاملة على نفسها بينما تساعدها أبرا وبعض النساء الأخريات • الضوء المسلط على داخل قصر قيصر يخفت بسرعة ويعود المنظر كما كان أولا : أي واجهة القصر • يبقى على المسرح ماموراً وأرتوتروجوس وحدهما) •

أرتوتروجوس : (فاركا يديه فى اغتباط) تَمَّ كل شيء يامولاى ! أتتصور مدى ضخامة الفضيحة ودويها فى روما ؟ أؤكد لك أنه منذ خطف السابينيات لم يحدث أبدا أن شهدت روما أهول من هذا •

ماموراً : تدبيرك يعجبني • غير أن هناك شيئا يشغل بالي•

أرتوتروجوس : ما هـو ؟ .

مامورا : اذا مثل بوبليو بولسر أمام القضاة فربما اقتضت المحاكمة استجواب أبرا . ولعل هذه اذا ضيقوا عليها فى السؤال تكشف عن دورنا فى تدبير هذه الفضيحة وحوك خيوطها . وهذا شيء لا يتفق مع مصالحي .

أرتوتروجوس : فى يدك أنت تجنب هذا . أسكت قيصر وسد أسماع القضـاة وأفواههم اذا لزم الأمـر . فلديك من المال ما يكفي لذلك .

مامورا : فكرة لا بأس بها وسـأعمل على تنفيذها على الفور . الى الأمام اذن بهذه الفضيحة الكبرى . ولنقدم الى جمهور العامة مادة يتلهون بها لوقت طويل ! .

أرتوتروجوس : بهذا سترى يا سيدى كيف تهضـم وجبتك الشهية سواء من الحيتان الكبيرة أو الأسماك الصغيرة (يخرج الى طرف المسرح ويعود ومعه ألواح « السجل اليومي للأخبار » ثم يبدأ النداء بصوت عال) عدد خاص استثنائي ! ملحق خاص للسجل اليومي للأخبار ! فضيحة كبرى فى بيت قيصر ! أثناء الاحتفالات الدينية بالهة الخير !

رجل يفاجأ فى المعبد وهو فى ثياب امرأة ! (يبدأ فى الظهور على المسرح أفراد من جمهور العامة وهم يحملون المشـاعل وقد أثارهم الخبـر)
تدنيس معبد القصر ! فضيحة كبـرى ! ...
(ماموراً يحكم قناعه على وجهه وينسل خارجا)
أقرأوا تفصيل الأخبـار فى ملحق « السـجل اليومي » ! بعشرين درهما فقط ! ...

ستار

* * *

الفصل الثالث

(نفس الميدان الذى ظهر فى الفصل الأول .
يسمع عزف موسيقى . على المسرح كاتولو
وكنتو كورنيفيسيو)

كاتولو : أتسمع هذه الموسـيقى يا كنتو ؟ ان المجرمين يحتفلون بانتصارهـم ... بانتصـار التآمـر الاجرامي والاستهتار بكل قواعد الأخلاق ! .

كنتو : لست أعرف كيف أصدر القضاة حكمهم ببراءة بوبليو والعفو عنه .

كاتولو : لا تستغرب ذلك . فقد استطاع مامورا افساد كل الذمم . حتى قيصر نفسه قد لاذ بالصمت بعد ماحدث .

كنتو : ولكنه طلق بومبيا طلاقا نهائيا لا رجعة فيه .

كاتولو : غير أنه أنكر ما حدث أثناء الاحتفالات بالهة الخير . أنا لم أر فى حياتي انسانا هانت عليه كرامته مثل هذا الرجل . ان الناس ليس لهم

حديث فى جميع أنحاء روما الا عن مغامرة
بوبليو ، يخوضون فيها بتلذذ مريض مسعور ،
بعد أن أذاع عنها أرتوتروجوس فىسجله اليومي
للأخبار تفاصيل فاضحة مكشوفة • أما قيصر
فيقول انه لا يصدق شيئا مما ذكر وان كل ذلك
من نسج الخيال • وبفضل انكار قيصر واستنادا
الى تكذيبه للخبر أصدر القضاة حكمهم على
بوبليو بالبراءة •

كنتو : لست أفهم علة هذا الحلم والتسامح من جانب
قيصر نحو من داس شرفه وخانه مع زوجته •

كاتولو : قيصر سياسي واقعي يا كنتو • وهو يطمع فى
أن يتولى حكم بلاد الغال بعد أن تنتهي مدة
منصب القنصلية الذى يشغله الآن •

كنتو : أدعو الآلهة أن تعينني على فهم هذا اللغز المحير •
أى علاقة هناك بين حكم بلاد الغال وسكوته ازاء
بوبليو الذى اعتدى على شرفه ؟ •

كاتولو : هذه هي الخيوط المتشابكة التي تجمع بين عالمي
السياسة والمال • فلو أن قيصر اتهم بوبيلو
وأصر على توقيع العقاب عليه لعرض نفسه
لفقد الأغلبية التي يتمتع بها فى مجلس الشيوخ •

كنتو : بحق جميع الآلهة هذا صحيح حقا . اذ أن بوبيلو وأعضاء مجلس الشيوخ ينتمون جميعا الى طبقة واحدة : طبقة رجال الأعمال أصحاب الثروات والتجارات . آه ... الآن يتضح لي أمر تواطؤ أعضاء المجلس . ولكن ... القضاة ... كيف اشترك القضاة فى هذه المؤامرة حتى يرتكبوا مثل هذه المخالفة الصريحة لكل قواعد القانون والأخلاق ؟

كاتولو : ماموروا استطاع رشـــوتهم وشراء ضـــمائرهم جميعا .

كنتو : ولكن أى مصلحة حملت هذا البخيل الأكبر على انفاق ماله من أجل شراء القضاة ؟ لست أحسب أن الذى دفعه الى ذلك هو حبه لبوبليو .

كاتولو : ولا أنا . فالحقيقة هي أن ماموروا لا يحب الا المال . ولكن الذى حدث فعلا هو أنه الذى توسط وبذل كل جهد من أجل تبرئة بوبليو . لا بد أن هناك سببا خفيا حمله على ذلك .

كنتو : والغريب أنه حتى شيشرون نفسه قد سكت وابتلع لسانه . لست أظن ماموروا مع كل ثروته وغناه قد تمكن من سد فم الســياسي الكبير

والخطيب المصقع والقاضـــي المرهوب الجانب النافذ الكلمة •

كاتولو : ان الفساد اذا استشرى فليس هناك حدود يقف عندها يا صديقي كنتو • مامورا استطاع رشوة الجميع وبكل الوسائل • بل انه اشترى سكوت البعض بجمال بعض سيدات المجتمع النبيلات • وبفساد خلق عدد من النبلاء •

كنتو : هذا صحيح • والحديث عن ذلك ينتقل من فم الى فم • ولكني لا أتصور أن هناك سيدة لها من الجمال ما يكفي لكي تحمل شيشرون نفسه على ابتلاع لسانه •

كاتولو : بلى•••هنا واحدة ••• أجمل امرأة فى روما •

كنتو : مستحيل ! ان أجمل امرأة فى روما هي كلاوديا •

كاتولو : وهي التي أعنى ••• هى أجمل امرأة فعلا •

كنتو : ولكن ••• لتحرقني صواعق جوبيتر ! هذا يعنى أن ••• (يتردد قليلا) معذرة يا كاتو • لقد أوشكت على أن أقول شيئا هائلا قبيحا •

كاتولو : بل كان عليك أن تقوله • اسمع يا كنتو • أنا أكره كلاوديا•••أكرهها بكل قواى وجوارحي•

وأود الهرب منها ، ومن تلك الدار ، ومن هذا
الميدان •

كنتو : أنا أقدر الآن مدى ما تقاسيه •

كاتولو : نعم ••• ما أشد ما أقاسى من ألم يا كنتو ! ومع
ذلك فانى أعود دائما الى هنا ، وكأنى مسوق
بقوة لا تقاوم ••• قوة لا أدرى كنهها •

كنتو : ذلك لأنك ما زلت تحبها على الرغم من كل
شيء ••• هو الغرام المشبوب الجارف الذى
يسوقك الى هذا المكان •

كاتولو : لا أنكر هذه الحقيقة ••• ما أشد رغبتي فى
أن أنتزعها من هنا (يشير الى قلبه) ••• من
داخل قلبي حتى ولو انتزعت معها روحي •
ولكنني لا أستطيع • بل على العكس أحس أن
شيئا فى داخل نفسي يتآمر معها عليّ ضاربا
صفحا عن كل ما يقضي به التفكير المنطقي
السليم • أنا واثق تماما من خيانتها لي ، بل
يبدو لي كأنني أراها رأى العين • ومع ذلك
فهذا الشيء المستقر فى قاع نفسي لا يزال ملحا
عليّ مكررا أن ما سمعته ربما كان خطأ ، وأن
ما يردده الجميع عما حدث بينها وبين شيشرون

زعم كاذب ... حتى ... انني لا أكاد أعرف
من أنا على الحقيقة ... لست أعرف يا كنتو
ما اذا كنت ذلك الذى يكرهها أو الذى يعبدها
... أنا مشرف على حافة الجنون ! ...

كنتو : اهدأ يا صـــديقي وخفض عليك ! ولنبتعد من
هنا . فلســـت أرى فائدة فى مجيئك الى هذا
المكان وكأنك تبحث عامدا عن كل ما يؤدى الى
تعذيب نفسك وايلامها . ودع البعد والزمن
ينسياك ما أنت فيه ، فهما خير علاج لمثل حالتك.

كاتولو : انت محق يا كنتو . لست أعرف لماذا تسوقنى
رجلاى الى هنا حتى أتأمل دارها دون أنيورثني
ذلك الا العــذاب القاســي الممض . لأبتعــد
ولأحاول نسيانها ! ... بل انه يبدو لي أن الحل
الوحيد أن أرحـــل عن روما عائدا الى بلدى
فيرونا .

كنتو : لم أكن اريد أن اذهب فى نصيحتي لك الى هذا
الحد يا كاتولو . أنت رجل أسمى من نزعات
الضعف البشرية . وقد بدأت كفاحا نبيلا ضد
الفساد فى روما ، وكشفت الستار عن مامورا
وصفقاته المريبة ومؤامراته القذرة ، أنت فتحت

عيون الشعب ، ومزقت القنـاع عن أكاذيب
أرتوتروجوس ومغالطاته ، بل انك واجهت قيصر
نفسه فى بسالة وعزم • ليس من حقك الآن أن
تترك المهمة التي اضطلعت بها قبل أن تتم •

كاتولو : لست أريد مخادعة نفسي يا كنتو • ان تلـك
المعركة التي خضتها كانت معركة خاسرة قبل أن
تبدأ • هو صراع غـير متكافىء كان لمامورا
وأرتوتروجروس فيه الكفـة الراجحـة لقـد
استطاعا افساد جماهير الشعب بعد أن ألقيا اليها
بطعم تلك الفضـيحة • فاذا نسي الناس هذه
القصة فانهما سيقذفان اليهم بغيرها وغيرها •••
حتى يلهياهم عن حقيقة ما يدور فى البلاد • وأما
الجماهير فانها تقبل على كل ما يلقى اليها وتلتهمه
فى شراهـة وتلذذ دون أن تلقى بالا الى شيء
آخر • لقد أدارت الجماهير لي ظهرها ولم تعد
تود الاستماع الى ما أقول • ولهذا فاني اذا
كنت قد بقيت فى روما خلال الأيام الماضية فان
ذلك لم يكن الا من أجل كلاوديا • أما الآن
وقـد تبينت تواطؤها مـع محترفي السـياسة
والمتجرين بأقوات الشعب وتآمرها معهم ، فاني

أشعر بالخور يدب الى قواى وبأنني عاجز عن
مواصلة الكفاح .

كنتو : ربما كان من الحماقة أن أحاول صرفك عما تعتزم
يا كاتولو . ولهذا فانى سأسكت،ولكن صدقني
اذا قلت لك انني لم أشعر فى أى وقت مضى
بأني أقـرب اليك وتعاطفا معك منى فى هذه
اللحظة .

كاتولو : (يشد على يده فى حرارة) أتوسل الى الآلهة
أن تجزيك عن نبلك وعن كل ما غمرتني به من
كرمك يا كنتو . ان صداقتك الخالصـة هي
الشيء الوحيد العظيم الذى عرفته فى روما .
وأنا أذكر الآن أننا حينما قدمنا الى هنا لأول
مرة كان ذلك البيت (يشير الى منزل كلاوديا)
يبدو لي معبد آلهة وكانت روما فى نظرى هي
مركز الكـون أما الآن فلست أرى هناك الا
جدارا ميتا باردا ، بينما أحس تحت قدمي بروما
وهي ترتجف وتتزلزل على أسسها الواهية المبنية
من طفـل وطين ... ما كان فيبنيو بعيدا عن
الصواب ! ... ان كل هذا سينهار ويندك فى

آجل أو عاجل ••• ولهذا فأنا ذاهب •••
ذاهب من هنا الى الأبد يا كنتو ! •

كنتو : لعلك مقدر مدى ما يحزنني رحيلك وكل ما وقع لك • أنا أخشى ألا نعود الى اللقاء أبداً بعد ذلك (يخرجان) •

(يتغير المنظر • تشاهد الآن غرفة نوم كلاوديا • وترى هى جالسة أمام المرآة وفيلنيا تقوم بتمشيط شعرها • كلاوديا تتاوه والحزن باد عليها)

فيلنيا : خفضي عليك يا مولاتي ! •• وكفى عن البكاء فهو شيء مضر بجمالك ! •

كلاوديا : أنت تعلمين السبب فى بكائي يا فيلنيا • فحبيبي كاتولو قد هجرني الى الأبد ! ••

فيلنيا : لا تشغلي بالك بهذا • فهو لابد عائد اليك مرة أخرى ، كما حدث فى المرات السابقة •

كلاوديا : لا يا بنيتي ••• هذه المرة ••• نفسي تحدثني بأن هذه هي المرة الأخيرة • هو قاس غليظ القلب • انه لم يفكر ولا لحظة واحدة فى الألم الذى يتسبب لي فيه بتصرفه • أنا أكرهه يا فيلنيا ••• أكرهه ! (تدفن وجهها بين يديها وهي تنشج بالبكاء) •

فيلنيا : تسريحة شعرك ! ••• أنت تكرهينه ؟ لماذا اذن لا تفرحين بذهابه بدلا من هذا البكاء والدموع ؟ •

كلاوديا : لأني لا أستطيع الحياة بغيره ، ولأن احتقاره لي يؤلمني أشد الألم •

فيلنيا : أعترف بأنني لم أتمكن من فهم الحب أبدا • فأنا لا أعرف كيف واتاك قلبك على الذهاب الى الموعد مع شيشرون اذا كنت تحبين كاتولو الى الحد الذى تقولين ! •

كلاوديا : بوبيلو هو أخي • وقد كان اصدار الحكم ببراءته والعفو عنه فضلا عن ذلك يعني انتصارى الكامل على أوريليا • وقد تكفل مامورا بأن يكفل لقضيتنا أعضاء الشيوخ والقضاة بل وقيصر نفسه • أما شيشرون فلم يكن يستطيع اسكاته الا شخص واحد : أنا •

فيلنيا : ألم تفكرى فى كاتولو فى هذه اللحظة ؟ •

كلاوديا : طبعا ••• بغير شك • أنا لم أفعل شيئا الا وتفكيري معلق به ، فهو الذى ملأ عليّ كل لحظات حياتي ، وتفكيري ، وخطواتي،وأحلامي

... هو الذى ملأ عليَّ وجودى كله . ولكنه كان عاجزا عن فهمي وتقدير موقفي . لأنه لم يحبني حبا حقيقيا خالصا قط . والا فانه ...

فيلنيا : اذا كان لم يحبك كما تقولين فانه فعل كل ما هو لازم لكى يبدو فى صورة أكثر العاشقين حرارة واخلاصا وأشـدهم انقيادا لعاطفته الجارفـة المتدفقة . وهذا ما يبدو لي أشبه شيء بالحب الحقيقي ، والا فانني لا أقدر على التمييز .

كلاوديا : قلت أنه فعل كل ما يلزم لكي يبدو فى صورة المحب العاشق . لا يا فيلنيا . لقد جعل غروره وكرامته وأنانيته فوق الحب . فهل هذه هي الطريقة التي يهب بها رجل حبه لامرأة ؟ وهل من الحب أن تكون غيرته أعز عليه مني أنا ؟ .

فيلنيا : لا أدرى ... فليس لي من التجارب فى الحياة ما يكفي للحكم . ولكني أعتقد أن غيرته عليك ليست الا دليلا على حبه لك .

كلاوديا : لا يا فيلنيا . لقد كانت غيرته أهم مني أنا لديه . ولولا هذه الغيرة لما استطعت أن أستبقيه الى جانبي ولا لحظة واحدة . ولكن الذى يحبني حقيقة يجب أن يكون مستعدا لمنحي كل شيء

والتضحية فى سبيلي بكل شىء ... حتى بغيرته !

فيلنيا : أنا أرى أنه اذا كان قد هرب فما ذلك الا للألم الشديد الذى يعتصره .

كلاوديا : وأنا أقول انه اذا كان قد هرب فهو اذن لا يحبني . لقد كان عليه أن يطير اليّ ، مرتجفا لنشوة لقائي ، ناسيا نفسه بين يدىّ ، مغمضا عينيه عن كل شيء الا عن شخصي ، زاهدا فى كل شيء الا فى الالقاء بنفسه من جديد بين قدميّ . ولكنه مع الأسف لم يفعل الا عكس ذلك ... لم يفكر فى أنه برحيله وهجرانه سيوقع بي هذا الألم الهائل الذى أصبحت فريسة له ... لا يا فيلنيا ، هو أقسى الناس قلبا ... بل هو وحش شرس ! لم أكن أنتظر منه أبدا مثل هذه اللطمة المروعة ! (تمسك بالمرآة وتتأمل صورتها فيها) . هل أنهيت تمشيط شعرى ؟ .

فيلنيا : ان رأسك لم تكف عن الحركة لحظة واحدة .

كلاوديا : اعذريني يا فيلنيا فأنا أقاسـي من الآلام ... (تنظر نفسها مرة أخرى فى المرآة) ان لك يدى فنانة .

فيلنيا : ذلك لأن شعرك أشبه بخصل من الحرير الناعم، وتمشيطه نعمة ومتعة .

كلاوديا : (مدققة النظر فى المرآة) هناك آثار بكاء على عينيّ . مرى عليهما بقلـم الكحل من جديد ، وأصلحى طلاء وجهي . (تواصل الكلام بينما تقوم فيلنيا باصلاح زينتها ووضع اللمسـات الأخـيرة) آه ... يا بنيتي ! الحياة مليئـة بالسخريات المريرة القاسـية . فأنت ترين الآن أنه بينما يحتفل بوبليو بانتصاره اذا بي أنا ـ أنا التي ضحيت بحبي من أجل هذا الانتصار ـ أرى نفسي ضحية لهذه الوحدة القاتلة فى وسط كل هذه الجموع . أنا لـم أعد أحتمل كل هذا الضجيج والصخب ... ولا هذه الكئوس التي تشرب نخب الانتصار ، ولا هذه الضحكات العالية التي تحطم أعصابي! ... ولكني لا أملك مع ذلك الا أن أحضر تلك المجالس وأنا أصطنع السرور وأرسم على شفتي ابتسامة مغتصبة !

... ارثى لى يا فيلنيا ، فأنا أتعس امـــرأة فى الوجود (تخرجان) .

(يعود منظر الميدان الذى يطـل عليه بيت كلاوديا . يدخل ماموروا فيتطلع هنا وهناك كانما يبحث عن احد)

ماموروا : لست أجد أثراً الآن لهذا الشقي الماكر . ولكن الفخ قد نصب له على كل حال . سيفاجئونه الليلة وهو يقتحـم مخدع كلاوديا ، وحينئذ سيوقع عليه عقاب رهيب ... أقل ما فيه هـو أن يـمَـثِّلوا به مُـثْـلَـةَ « أتيس » الذى حرموه من علائم الرجولة . وهكذا يخلصونني منه الى الأبد ! فأنا لم أعد الآن بحاجة اليه ، ثم انـه يعرف عنى أكثر مما ينبغي .

(يدخل ارتوتروجوس وقد ارتـدى حلـة فاخرة)

... آه ... أخيراً حضرت يا بنى العزيز ! .

أرتوتروجوس : (يدور حول نفسه فى حلته الأنيقة وهو يتأملها ويتحسسها بيديه) أنا أنظر الى نفسي ولا أكاد أصدق ما تراه عيناى . وأتحسس جســدى بيدى وكأنني شخص آخر ! .

ماموراً : انظر الى نفسك وتحسس جسدك كما تشاء . فأنت جدير بأن تعجب بنفسك . انك تبدو فى الحلـة التي خلعتها عليك كما لو كنت ماموراً نفسه ... بلحمه وشحمه .

أرتوتروجوس : وبفضلك أنت سيفتح هذا الباب (يشير الى باب منزل كلاوديا) أخيرا بين يدي ، وبعد ذلك لن يهمني من الدنيا شيء ، ففي وسعك قتلي اذا أردت .

ماموراً : (مخاطبا نفسه) لا تتعجل ... فهذا هـو ما سيحدث . (ثم مضيفا بصوت مرتفع) بحق جوبيتر ... لا تقل مثل هذا يا بني ! .

أرتوتروجوس : لا تحمله محمل الجد ، بل كنت أود فقط التعبير لك عن اعترافي بجميلك . وحمداً للآلهة ! ...

ماموراً : دع عنك الآلهة فأنت لا تدين لهم بشيء . هذا شيء كنا قد اتفقنا عليه ، وماموراً يعرف كيف يجزل العطاء لمن يحسن خدمته .

أرتوتروجوس : أنا واثق من ذلك بحكم تجربتي معك . والذين يجرؤون على التشـكيك فى شرفك ووفائـك بالعهود ليسوا الا أشراراً حاقدين .

ماموررا : (مصححا) تقصد الذين كانوا يجرؤون ...

أرتوتروجوس : معك حق . فقد هدأ بالنا منذ فضيحة بوبليو المدوية : الحيتان الكبيرة والأسماك الصغيرة قد تركتنا فى سلام ، فهي لم تعد تذكر شيئا عن صفقاتك وتجاراتك .

(يدخل تيتينو وقد استبدل بثوبه البالى المرقع حلة فاخرة جديدة)

تيتينو : من أرى هنا ؟ هذا هو سيدى العزيز ماموررا ... يا لها من مناسبة سعيدة : أن أعود الى لقائك من جديد ! .

ماموررا : (دون أن يبدو عليه أنه عرفه) من ؟ ! (يتقدم اليه فيتفحصه فى امعان حتى يتعرف عليه فيصيح فى دهشة) أو ... و ... وه ! ... هذا هو أنت يا صديقي العزيز ! ... كم من الوقت مضى دون أن نلتقي ! ... (يتعانقان فى حرارة) .

تيتينو : (متوجها الى أرتوتروجوس) وتحيــة لك أنت أيضا أيها السيد النبيل . (يحييه فى انحناءة عميقة) .

أرتوتروجوس : (مجيبا له بانحناءة مثلها) لي الشرف يا سيدي المحترم .

تيتينو : لم يسبق لي شرف معرفتك • ولكن اذا كنت صديقا للسيد الأجل الأكرم ماموراً •••

أرتوتروجوس : الآلهة لم تهبني بدورها نعمة صداقتك ، ولكن اذا كنت جديرا بثقة صديقي الأشرف ماموراً ومودته •••

تيتينو : اسمح لي بأن أضع نفسي فى خدمتك •

أرتوتروجوس : وأنا أرجوك أن تقبل خالص تكريمي •

تيتينو : (بانحناءة أخرى) تيتينو ••• دبلوماسي ، فى خدمتك •

أرتوتروجوس : (بانحناء مثلها) أرتوتروجوس ،مثقف،تحت تصرفك ••• (الاثنان ينتبهان فجأة وفى وقت واحد الى حقيقة شخصيتيهما ، فيقطعان انحناءتهما المهذبة وينظر كل منهما الى وجه الآخر فى دهشة بالغة) ايه ؟! ما هذا ••• أنت ؟ تيتينو ؟ ••• المتسول ؟ ! •••

تيتينو : وأنت أرتوتروجوس ؟ ••• العبد ؟ بحق جميع الآلهة والالهات ••• نعم ••• هـذا صحيح • هو وجهك القبيح الذى لا يمكـن أن يلتبس بوجه آخر ••• وهذه الحلة الفاخرة ؟ من أين لك بها ؟

أرتوتروجوس : أحلف بالمردة والعفاريت ... أنت عرفت كيف تتنكر وراء هــذا الزى الفخم والمساحيق التي طليت بها وجهك ! ... هل الصدقات تكفى الآن لكى تصل بك الى ما أرى ؟ !

تيتينو : (فى ترفع وكبرياء) عليك بمخاطبتى بالاحترام الواجب المتفق مع مركزى .

أرتوتروجوس : (فى عدم اكتراث) باه ! ... أى مركــز وأى هراء هذا ؟ ! ادفع لى الدراهــم الثلاثة التى تدين لى بها لقــاء قراءتك « الســجل اليومى للأخبار » تلصصا وسرقة ...

مامورا : كيف تجرؤ على التحدث بهذه اللهجة الى سفير جليل لبلاد الغال فى روما ؟

أرتوتروجوس : سفير ؟ ... هذا سفير ؟ ... اذا كانت هذه نكتة منك فأنا مستعد للضحك منها بكل قلبي ... ولكنني أحلف بكل قســم أنني رأيته ألف مــرة مــادا يده الى الناس طالبــا احســانهم وصدقاتهم .

تيتينو : (ملقيا اليه بقطعة من النقود) اليك هذه ... لا ثلاثة دراهم ، بل ثلاثة دنانير ... (نافضا يديه) « بدل تمثيل » ! ... والآن طالما لم أعد

مديناً لك فلنحفظ الأبعــاد بيننا ولتخاطبنــي بأسلوب أكثر احتراما •

ماهورا : ولكن ••• أتتفضل يا صــديقى المحترم تيتينو بتفسير هذا اللغز لى ؟ فأنــا أرى ــ الآن على الأقل ــ أن أرتوتروجوس لم يكن كاذبا فيما قال •

تيتينو : لا ••• لم يكن كاذبا • أنا حقــا كنت أ زاول التسول خــلال الفترة التى توقفت فيها عــن مباشرة مهام المناصب الدبلوماسية • ولكن هذا العمل هو الوحيد الذى كان لى فيه بعض الخبرة والتجربة • فالفرق ليس كبيرا بين متســـول وسفير من سفراء احدى مقاطعات الامبراطورية فى روما •

ماهورا : صدقت ••• بل لا يكاد يلاحظ أى فرق على الاطــلاق ••• فيما عــدا مظاهــر المنصــب الدبلوماسى وفخامته • هذا هو ما أشهد به • ولكن لماذا فضلت مزاولة مهنة التسول فى روما بشكل خاص ؟

تيتينو : كنت أعرف المكان معرفة جيدة ، ثم كنت أخشى نسيان مهنتى الدبلوماسيــة ، وكان فى مهنــة

التسول ما يذكرنى بها حتى اذا ما أعدت الى
الخدمة لم أر نفسى فى عمل فقدت المران عليه .
وأنت ترى كيف حـــدث ما قدرت ، اذ هاأنذا
قد عدت الى تولى منصبى الدبلوماسى .

ماموريا : أنا مسرور سعيد لذلك من كل قلبى يا صديقى
المحترم تيتينو . ذكّرتني عندما بحين الموعـــد
الذى يجب فيـــه على مقاطعتك دفع الضرائب
للدولة الرومانية ، فأنا مستعد عند ذاك لمنحك
قرضا جديدا ... قرضا مشفوعا بكل الضمانات
الكافية دون شك . فالحسابات الطيبة هى التى
تخلق الشركاء الطيبين كما يقول المثل .

تيتينو : سيكون من دواعى سرورى خدمتك . ولو أنى
لا أعرف ماذا فى وســـعى أن أقـــدم لك فأنت
مستحوذ بالفعل على كل شىء فى مقاطعتى .

ماموريا : سوف نتباحث فى كل هذا بشكل رســـمى فى
الوقت الملائم . ولكن قل لى .. ما الذى أتى
بك الآن الى هنـــا ؟

تيتينو : أنا الآن أسعى لتجديد صـــلاتى وصـــداقاتى
القديمة . ولما كنت صديقا لكنتو سيلر أيام كان

حاكما لبلاد الغال ، فقد أتيت لأقدم احترامى
وتحيتى لزوجته السيدة كلاوديا .

أرتوتروجوس : ولا شىء غير ذلك ؟

تيتينو : (مخاطبا مامورا ومتجاهلا فى شموخ سؤال أرتوتروجوس) هى مقابلة قصيرة لتبادل وجهات النظر حسبما يقضى به البروتوكول .

أرتوتروجوس : سأجعل من البروتوكول الها خاصا لى أتعبد اليه !

تيتينو : اعذرنى يا سيدى النبيل مامورا اذا كنت مضطرا لتركك الآن . ولكن السيدة كلاوديا تنتظرنى منذ لحظات .

مامورا : نعم أنا أقدر ذلك يا عزيزى الكريم تيتينو . فلتغمرك الآلهة بهباتها !

تيتينو : ولتغمرك أنت بأرباحها ... أقصد بنعمها ... (يودع مامورا بانحناءة أخرى ثم يدلف الى داخل بيت كلاوديا) .

أرتوتروجوس : لا الحلى التى يتزين بها ولا الألوان والمساحيق التى طلى بها وجهه قادرة على أن تخفى عن العين حقيقة كونه مهرجا لئيما . ان أى خيال

مما ينصبه المزارعون لاخافة الطيور يبدو أكثر منه ايحاء بالاحترام •

ماموزا : ما كان لك أن تنتقده أو تشكو منه ، فقد رد لك دينه أضعافا مضاعفة ••• بنسبة من الفائدة تعلو على ما يقرض به أمهر المرابين •

أرتوتروجوس : ولكنه بعد لحظات سوف يكون بين يدى كلاوديا ، وان لم يستغرق لقاؤه بها الا لحظات قصيرة ، بينما أنا هنا أحترق فى لهفة الانتظار لموعدى معها • لماذا لا تتوقف هذه الموسيقى ؟ •••• ولماذا لا تنفض هذه الحفلة ويذهب المدعوون لشئونهم تاركين كلاوديا وحدها ؟

ماموزا : صبراً يا بني ••• لا تتعجل ! ••• فلم يبق الا القليل ويأتي شريكك المتستر عليك المتواطيء معك •

أرتوتروجوس : شريكى ؟ من هذا ؟

ماموزا : الليل • ستتسلل فى الظلام بعد أن يكون الجميع قد أخلدوا الى النوم • ستنتظرك فيلنيا على الباب ثم تدخلك الى غرفة نوم كلاوديا • لقد اتفقت معها وهي متلهفة الى تحقيق رغبتك •

أرتوتروجوس : اننى أرتجف ويتصبب منى العرق مـن مجـرد التفكير فى هذا يا مولاى •

(تدخل ابسيليلا فى اشد حـالات الهيـاج العصبى وهى تخدش وجههـا باظافرهـا وتمزق ثيابها وقد تشعث شعرها الأشيب بينما تطلق صرخات هستيرية)

ابسيليلا : آه ••يا مصيبتى الكبرى ! يا للكارثة الفظيعة ! اله البحر انتزع مني ابني الحبيب ••• آو فيلينيو حبيبي وفلذة أحشائى ••• لماذا حل بك الموت فى السفينة الغارقة ؟ !

مامورا : (فى فضول يمازجه الفرح) هل تسمع ؟ لقد غرقت احدى السفن •

أرتوتروجوس : أنا أكاد أعرف أى سفينة هى •

مامورا : اذهب واسألها عن هذه السفينة •

أرتوتروجوس : حاضر ! ••• (يتوجه الى ابسيليلا) لقد مزقت قلبى ألما ببكائك وصراخك يا جدتى المحترمة ! ••• أنا أشاطرك حزنك على ما أصابك فى ابنك فهل فى وسعى أن أفعل شيئا للتخفيف عـن آلامك ؟

ابسيليلا : (وهى مستمرة فى بكائها وصياحها) لا ...
ليس فى وسع أى قوة أن تزيل آلامى ! فابنى
لن يعود الي ....

أرتوتروجوس : ولكن ... كيف حدث هذا ؟ كيف فقدت ولدك
العزيز ؟

ابسيليلا : فى السفينة التى غرقت .

أرتوتروجوس : أين وقع الحادث ؟

ابسيليلا : فى البحر الأدرياتيكى .

أرتوتروجوس : متى ؟

ابسيليلا : أمس .

أرتوتروجوس : ومن أى ميناء أقلعت السفينة ؟

ابسيليلا : من « دوراكيو »، كانت محملة بالمؤن والذخائر
للجيش .
(مامورا يفرك يديه فى فرح بالغ) .

أرتوتروجوس : (مبتعدا عن ابسيليلا ومتوجها الى حيث وقف
مامورا قائلا له وقد انفرد به) آه ... أسمعت؟
لقد نجحت الخطة وتمت على النحو المرسوم .

مامورا : (فى اغتباط ظاهر) عظيم ! ••• رائع ! ••• والآن عليّ أن أسرع لمطالبة الحكومة بتعويض عن خسائرى فى السفينة الغارقة •

أرتوتروجوس : يا بن الشيطانة ! ••• ما أذكاك وأمكرك ! لقد أثبتّ براعتك فى اتمام مثل هذه الصفقات والمضاربات المربحة ! ••• لست أظن أحداً من البشر أسعد منك حظا •

مامورا : بل هناك من هم أسعد منى •• أنت مثلا يا صديقى العزيز ، ففى هذه الليلة ستضم بين ذراعيك ما كان بالأمس هواء وخيالا ••• ستنال كلاوديا الجميلة التى كنت تحلم بمجرد الاقتراب منها والنظر اليها • ستكون الليلة أسعد منى ومن سائر البشر ، لأنك سترى كيف يتحول الحلم بين ذراعيك الى حقيقة والهواء الى أبدع جسد صاغته الآلهة • الى اللقاء فيما بعد يا بنى • وأتمنى لك السعادة وأنت فى حجر أفروديت ! (يخرج) •

ابسيليلا : (مواصلة نحيبها وبكاءها) آه ••• لماذا صبت الآلهة عقابها القاسي على آوفيلينو ••• ولدى المسكين البرىء الذى كان حتى أمس فتى

جميلا صحيح الجسم كامل القـوة ؟ ••• لماذا اختارته الآلهة لتنزل به غضبها الرهيب؟ (تخرج وهي فى عويلها وصراخها) •

أرتوتروجوس : (وحده على المسرح مخاطبا نفسه وهو ناظـر الى باب بيت كلاوديا) أصحيح أيتها السماوات هذا الذى أخبرنى به مامورا ؟ أترانى أنا حقا ذلك الرجـل الـذى يقف الآن على العتبـة الفردوسية لجبل الأوليمب ؟

(النور يخفت بالتدريج حتى يسود الظلام المسرح • حينما تعود الاضاءة يكون المنظر قد تغير واصبحنـا الآن نرى غرفـة نـوم كلاوديا • نـرى هى نائمـة فى سريرهـا وارتوتروجوس واقف امامهـا يتاملهـا • الاضاءة خافتهوباقىاجزاءالمسرحيلفهاالظلام)

أرتوتروجوس : الالهة نائمة ••• ومامورا لم يكذب ••• هى فى فراشها تنتظرنى وأنا واقف ازاءها لا أكـاد أصدق نفسى ! ولكن ••• لطفا أيتها الآلهة ! لماذا تستولى علىّ المخاوف الآن ؟ لمـاذا يغلى الدم فى عروقي ومع ذلك فالعرق البارد يتصبب من جسدى كله (يخطو خطوة الى السرير ثم يعود الى التراجع) أن ساقي الآن تنوءان بحملي

كما لو كانتا شمعتين من شـــحم طرى • ترى
ماسبب ذلك وكيف أضعف الآن عن مواجهـــة
الموقف ؟ أتراه شعورى بأنها لن تستسلم لي الا
لمجرد احساسها بالاعتراف بجميل مامـــورا ؟
••• نعم ••• انها لن تهبنى هذه اللـــذة عـــن
اقتناع أو رغبة ••• بل هو ثمن لخدمة أداها
مامورا لها •• آه •• يا اله الرجولة ! لا تتخل
عنى فى هذه اللحظة ! (لحظة صمت ثم تتملكه
ثورة جنون فينطلق ضاربا رأسه بجمع يديه) ••
يا لى من وحش كريه ! •• قمامة الجحيم ! ••
وحثالة المواخير ! أنا أبيع ضميرى وأخــــون
وأفسد وأخدع وأتذلل وتهون على كرامتى ••
ثم كل هذا لأى غاية ؟ لكى أصل الى هـــذا ؟
والآن بعد أن نلته أو كدت أناله أكتشف أنه
ليس ما كنت أطمح اليه •• أنا ارتجف الآن من
الخوف • وأشعر أن بينى وبينها هوة سحيقة
تفصلنى عنها ولا سبيل لى الى تخطيها ! ••
ليس فى استطـــاعتى أن أنالها هكـــذا وهى لا
تزيد عن جسد بارد تعهد بأداء خدمة وجثـــة
جامدة ارتبطت بدين • لقد تمنيتها واشتهيتها
دائما ••• عاريـــة دافئـــة ، تداعب بأصابعهـــا

الجروح القديمة المندملة التى خلفتها السياط على ظهرى • ولكن هكذا وبهذه الصورة ؟ ••• لا ! أنا أفضل الآن الهروب كأى جبان يفر من ميدان القتال على أن أقطع عليها نومها الهادىء المقدس • (يبحث عن باب الهروب فلا يجده فى ظلام الغرفة)•ولكن من أين أستطيع الهرب؟ ••المعبد الصغير يدور من حولى وأنا لا أهتدى الى مخرج منه (يتحسس ما حوله فى الظلام بيديه فيرتطم باحدى قطع الاثاث • كلاوديا تستيقظ على صوت الارتطام) •

كلاوديا : من هنا ؟ أهذه أنت يا فيلنيا (أرتوتروجوس يرتجف فى فزع شديد ، ويحاول تغطية وجهه بالعباءة التى يلقيها على كتفيه • كلاوديا تنهض من فراشها وتحدق النظر فيه ثم تقول ضاحكة) أوه ! •• هذا أنت يا ماموراً ؟ ! ••

أرتوتروجوس : (فى فزع وتلعثم وهو يحكم بطرف العباءة تغطية وجهه) ماموراً ! ••

كلاوديا : (تقوم من سريرها وتلقى على كتفيها بشال) أعترف لك بأن زيارتك المفاجئة وفى مثل هذه الساعة قد أدهشتنى ! (الاضاءة تزداد قليلا

وأرتوتروجوس يهتدى أخيرا الى باب الخروج فيحاول الهروب بسرعة) لا . لا تذهب . فما دمت قد اقتحمت مخدعى دون أن تعلن عن زيارتك من قبل وفى مثل هذه الساعة المتأخرة فلا بد أن هناك شيئا خطيرا بالغ الأهمية قد أتى بك . (تدق طاسة من البرنز علقت فى الحائط مما يستخدم فى نداء الخادمات والوصيفات) هل وقع شىء خطير ؟ أو أتيت لتعرض على احدى صفقاتك الناجحة؟ .. ولكن ما بالك صامتا هكذا ؟ تكلم بحق الآلهة ! أنت صديق قديم لى وبيتى هو بيتك . ولهذا فأنا أغفر لك هذه الزيارة المفاجئة التى أيقظتنى من نومي فى مثل هذه الساعة .. ولكن مالك تغطي وجهك هكذا ؟

أرتوتروجوس : لا ..لا شىء .. ليست هذه هى ساعة الحديث فى صفقات يا كلاوديا .

كلاوديا : (فى مزاح ودلال) ساعة ماذا اذن ؟ فأنا لا أظنك قدمت لكى تعجب بى وأنا نائمة . وأبعد من ذلك أن أظن قدومك راجعا الى رغبتك فى مبادلتى الحب .. فأنا أعرف أنك لست من

هذا الطراز من الرجال . فاهتماماتك بعيدة عن مثل هذا الميدان .

أرتوتروجوس : لا يا كلاوديا . لم آت لشيء من ذلك . فأنا أعرف أننى لست الرجل الذى تنتظرينه هـذه الليلة .

كلاوديا : لا أنت ولا غيرك . فأنا لم أكن أنتظر أحداً على الاطلاق .

أرتوتروجوس : لم تكونى تنتظرين أحدا ؟ كيف ذلك ؟ ألم تتفق على أنك ستستقبلين أرتوتروجوس الليلة ؟

كلاوديا : أرتو .. ماذا ؟ ومن هذا ؟ تراك تهذى أم أثقلت الليلة فى الشراب ؟ أنا لم أتحدث معك أبدا فى مثل هذا الشأن .

أرتوتروجوس : أبـدا ؟

كلاوديا : بل اننى لست أعرف هذا الشخص الذى فرغت الآن من ذكر اسمه .

أرتوتروجوس : هو عبدى الاغريقى .. صـاحب « السـجل اليومى لأخبار الشـعب الرومـانى » .. ألا تذكرين ؟

كلاوديا : أنت تهذى يا ماموراً . مسكين ! .. لا بـد أنك مصاب بحمى شديدة ! (تدنو منه وتحاول أن تلمس يده لكى ترى ما أصابه) .

أرتوتروجوس : (مجفلا فى فزع) لا .. لا تلمسينى .

كلاوديا : أنا أخشى أن تكون فقدت صوابك يا ماموراً المسكين . ربما كانت أمور تجارتك وأعمالك تمضى على غير ما يرام ، ولعل ذلك هو الذى أدى بك الى تحطم أعصابك وفقد عقلك . أنا لم أتفق معك أبداً على أستقبال أحد فى مخدعي ؛ وحتى لو كنت سمحت بـذلك لما سمحت بـه لذلك العبد على الخصوص . هذا أسخف مـا سمعته فى حياتى.أتتصور أنت مثل ذلك الموقف الدافع على السخرية ؟ . أنا .. أجمل امـرأة فى رومـا بين ذراعى هـذا المسخ الشائـه ! (تطلق ضحكة عالية ساخرة . أرتوتروجوس يزفر فى غيظ شديد) .

أرتوتروجوس : دعيني أذهب . حقـا يبدو عليّ أني أصـبت بالجنون . (يحاول الخروج مرة أخرى ولكن فيلنيا تأتى فى هذه اللحظة مسرعة) .

فيلنيا : هل ناديتينى يا سي •• (ترى أرتوتروجـوس فجأة فتطلق صرخة ذعر) •

كلاوديا : لا تفزعى يا فيلنيا • فهذا هو السيد مامورا : جاء ليزورنى ، ولكنه يشعر بوعكة طارئة •

فيلنيا : (وقد تزايد فزعها) السيد مامو ••• ؟

كلاوديا : أضيئي المصابيح •

أرتوتروجوس : لا •• لا •• بحق جميع الآلهة لا تفعلى !

كلاوديا : أضيئى المصابيح يا فيلنيا • ان صديقى المسكين ماموورا مريض ، وعلينـا أن نعتنى بـه ونفعل شيئا من أجله • (فيلنيا تشـعل المصابيـح • أرتوتروجوس يبالغ فى اخفاء معالم وجهه بطرف عباءته) • ولكن ما بالك ؟ •• لا تخف وجهك هكذا يا ماموورا • ألا يعرف كل منا الآخر بما فيه الكفاية ؟ (تمد يدها وتنزع طرف العباءة عن وجهه ، فلا تكاد تطالعه حتى تطلق صرخة ذعر هائلة) • ما هذا ؟ •• هذا ليس ماموورا !

أرتوتروجوس : (جاثيا على ركبتيه ومرتميا على قدمى كلاوديا) لا •• لست ماموورا يا سيدتى •• أنا أرتوتروجوس يا الهة الالهـات ! أنا تحت رحمتك • مـرى

بضربى .. بل بقتلى اذا شئت فأنـا أستحـق الاعدام على كونى مغفلا أحمق . لقـد وقعت ضحية خدعة دنيئة دبرها لى ماموررا ، اذ حملنى على تدنيس معبدك المقدس . اقتلينى فأنا لا أستحق الحياة !

كلاوديا : سآمر بتمزيق جسدك أيها المجرم . لقد اقتحمت بيتى كما يفعل اللصوص بل جرؤت على انتهاك مخدعى .

أرتوتروجوس : أنا أقسم على أنى لم أدخل كما يدخل اللصوص. بل وصلت الى هنا معتقداً أنك كنت فى انتظارى. فقد كان هذا هو ما أكده لى ماموررا .

كلاوديا : انت تكذب . سوف آمر بانتزاع لسانك من قفاك .

أرتوتروجوس : (مخاطبا نفسـه) أوه .. أيتها الآلهة .. لكم أشكرك على المخاوف التى بثثتها فى نفسى وأنا واقف أمام فراشها . فلولا هذه المخاوف لكنت تجاوزت النية الى الاقدام على شىء خطير .. وهكذا سيقتصر الأمر على انتزاع لسانى فقط . (ثم محدثا كلاوديا) لا يا مـولاتى .. أنا لا أكذب عليك يا كلاوديا . صحيح أن حياتى

كلها كانت حتى الآن كذبا خالصا ••• ولكن أمامك أنت ••• لا أستطيع الكذب •

كلاوديا : كيف فعلت اذن حتى استطعت الوصول الى هنا؟

أرتوتروجوس : ماموراً تمكن من رشوة احدى جواريك حتى تفتح لي الباب • (فيلنيا تشير اليه في استعطاف راجية ألا يفضحها وأن يسكت) •

كلاوديا : احدى جواريّ ؟••• من فيهن ؟ (أرتوتروجوس يطرق ساكتا) • أقول لك مرة أخرى : من هي هذه الجارية ؟ (أرتوتروجوس صامتا •) أنت لا تريد الجواب • اذن فقصتك كلها كاذبة • أيقظي الخدم يافيلنيا واجمعي الناس ، ولنسلم هذا الشقي حتى ينال من العقاب ما يستحقه !

أرتوتروجوس : أنا لا أخشى العقاب • ولكن ليس في قدرتي أن أكذب عليك اكثر مما كذبت • (متوجها الى فيلنيا) اعذريني أيتها الحمامة الصغيرة ••• ولكن •••

فيلنيا : (منفجرة في البكاء) أسألك العفو يامولاتي••• لقد كنت أنا •••

كلاوديا : مستحيل ••• ماذا أسمع ؟ أنت يافيلنيا ؟ أحب

جوارىّ الىّ وأقربهن الى قلبى ؟ أنت التى لم أعتبرها أبداً جارية وانما صديقة بل أختا ؟ أنت وجدت فى نفسك القــدرة على خيانتى بهــذه الصورة ؟ أو ... هذا أكثر مما يستطيع عقلي تصوره واحتماله .

فيلنيا : اهدئى يامولاتى واسمعينى بحق الالهة جونو . ليس صحيحا أن مامــورا استطاع رشــوتى . صحيح أنه حاول ذلك ولكننى رفضت .

كلاوديا : ألم تـدْخلى هذا الى بيتى ؟

فيلنيا : نعم أدخلته . ولكن لم يكن ذلك مــن أجــل المال ، بل لشعور منى بالرثاء له والعطف عليه .

أرتوتروجوس : لماذا لا تحولينى ياآلهة الشر الى رماد حتى لا أسمع المزيد ؟ ! ...

كلاوديا : وكيف تم ذلك ؟

فيلنيا : ماموا هو الذى أغراني على أن افتح له باب منزلك .

كلاوديا : وما الذى دفعك الى الانقياد له ؟

فيلنيا : قال لي انه يريد أن يشفيه من جنونه بحبك .

كلاوديا : جنونه بحبي أنا ؟ (تطلق ضحكة عالية) هــذا

حقا أمر غريب مثير للضحك ! (مخاطبة أرتوتروجوس) أصحيح أنك تحبني أيها العبد ؟

أرتوتروجوس : كما تحب الدودة القمر • أنا أدرك أن هذا شيء قد يبدو لك مضحكا مثيرا للسخرية ، ولكن لا أملك حيلة ازاءه • ولو أنك أمرت الآن بتمزيق جسدى لظلت كل قطعة من أشلائي تعبدك حتى تتحول الى تراب •

كلاوديا : (وقد سرتها وأطربتها كلماته) هذا شيء عجيب! كأنه من نسج الخيال !

فيلنيا : لقد كان ماموراً يعتقد — حسبما قال لي — أنه اذا سمحت له بدخول المنزل وتم اللقاء بينك وبينه فان ما ستقابلينه به من ازدراء واحتقار سيشفيه من جنون غرامه وسيرد اليه عقله •

أرتوتروجوس : أدعو الآلهة أن تهلك هذا الحوت المعطر !

كلاوديا : (لفيلنيا) وأنت ••• ما الذى كان يهمك من جنون هذا وحماقته ؟

فيلنيا : لاشيىء ، غير أني شعرت بالعطف عليه فأردت مساعدته بشفائه من مرضه •

كلاوديا : هل أنت مغرمة به ؟

فيلنيا : بهذا كلا بغير شك ! ان المسكين بهذا الوجـه الدميم الأشوه لايمكن أن يوحى بأى حب •

أرتوتروجوس : لماذا لم تخلقيني أصم أيتها الآلهة ؟

فيلنيا : الحق ياسيدتي أنه يبدو خفيف الدم اذا سمعت كلامه ••• فهو يجيد الكلام •

كلاوديا : أما هذا فصحيح • لقد أعجبتني عبارته هـذه التي يقول فيها ان كل قطعة من أشلائه ستظل تعبدني حتى تتحول الى تراب • اذا كان صادقا فهو يستحق العفو • الحب كفيل بتطهير كـل شيء • (مخاطبة أرتوتروجوس) أنا أرىٰ أنك لم تكن كاذبا ، وأنك كنت ضحية خديعة مـن ماموروا • ولكن ما الـذى حمـل ماموروا على خداعك ؟ وأى هدف كان يرمى اليه مـن وراء ذلك ؟

أرتوتروجوس : العين بالعين • ومادامقد خانتيفلأخننه،وهكذا نكون متعادلين •ماموروا اتخذ منك سلعة لاحدى صفقاته • فقد حاول أن يبيعك لى •

كلاوديا : ياللآلهة الخالدين ! أوصلت به الجرأة الى هذا الحـد ؟

أرتوتروجوس : لقد أراد شرائي أنا أولا ، اذ كنت لازماً له حتى يتمكن من ابتلاع جمهور الشعب الروماني ، كما لو كان سمكة . أما الثمن الذى عرضه عليّ من أجل ذلك فقد كنت أنت !

كلاوديا : أنا ؟ آه ... هبينى عونك أيتها السماوات ! هذا شيء ما كنت أظن أنى سأسمع بمثله . وكيف خطر ببالك أنت أننى سوف أستسلم لك ؟

أرتوتروجوس : مامورا قال لى انك ستفعلين اعترافا بجميله .

كلاوديا : بجميلة على ماذا ؟

أرتوتروجوس : على ما بذله من جهود فى سبيل استصدار حكم البراءة لبوبليو .

كلاوديا : هذا صحيح . وأنا بالفعل شاكرة له تلك الجهود ، فبفضلها كان انتقامي من أوريليا كاملا وانتصارى عليها ساحقا . ولكن اعترافي بجميل مامورا لا يمكن أن يصل الى حد ..

أرتوتروجوس : (مقاطعا بسرعة) على كل حال لست تدينين بأى جميل لمامورا على ما فعل . فقد كانت جهوده فى تبرئة بوبليو ترجع الى سبب آخر .

كلاوديا : أى سبب ؟

أرتوتروجوس : كان يخشـى أن يتشعب التحقيق ويمتد الى استجواب أبرا جارية بومبيا •

كلاوديا : وماالذى كان يهمه هو من أمر تلك الجارية ؟

أرتوتروجوس : الكثير • فقد اشتركنا أنا وهو فى رشـوة أبرا حتى تهيىء الفرصة لبوبليو لكى يتسلل الى دار قيصر ويقتحم المعبد الذى تجرى فيه الاحتفالات• وحينئذ يكتشف أمره ويقبض عليه بعد أن تثور ثائرة الفضيحة • كل شيء كان من تدبيرنا نحن• ولكن لو كانت هذه التفاصيل عرفت فى المحاكمة لما أفادتنا الفضيحة بشىء •

كلاوديا : يالطف الآلهة ! ••• هـذا شىء فظيع ! ••• رهيب ! ••• اذن كلنا كنا ألاعيب وأدوات بين يدى مامورا دون أن نـدرى ! ••• ولكـن ماالذى دعاكما الى نسج كل هذه الدسائس ؟

أرتوتروجوس : السبب هو أن جمهور العامة كان دائما ينصت الى خطب كاتولو واقعا تحت تأثيرها وكان يتحتم علينا أن نصرف اهتمام الجمهور عن هذه الخطب بشيء مثير ذى دوى هائل • وكان أن فكرنا فى

هذه الفضيحة المجلجلة ،وبهذا بلغنا فعلا مانريده. كان هذا وسيلة ناجحة لحماية صفقات ماموزا المريبة وأعماله ، فضلا عن أعمالى أنا . وهذا هو مانجحنا فيه .

كلاوديا : اذن هكذا كانت الخطة ؟ أعينيني أيتها الآلهة ! لاأظن السموات قد شهدت مثل هذا التدبير الجهنمي ! لقد استخدمني ماموزا دون أن أعرف أداة من أجل تحطيم أغلى ماأحببت فى حياتى : غرامى بكاتولو . ماكان أغبانى وأشد سذاجتى حينما مزقت قلبى بيدى ! أنالا أستطيع التجاوز عن هذه المؤامرة الوضعية أبداً . ان كل ذرة فى جسمي تصرخ الآن مطالبة بالانتقام . فيلنيا . أيقظي أهل البيت وناديهم . فأنا مصممة على أن يدفع هذا الشرير الخبيث ثمن خطاياه .

أرتوتروجوس : (الى فيلنيا موقفا اياها باشارة من يده) انتظرى قليلا ياصغيرتى . (ثم متجها الى كلاوديا) افعلي بي كل ماتريدين ، فأنا كنت دائما عبداً لك ملكا ليديك حتى وان كنت قد بعت نفسي لآخرين . ولكن اذا قمت الآن بالاجهاز عليّ فكيف ستتمكنين من الانتقام من ماموزا ؟

كلاوديا : لاأدرى • ولكن على حال سأسحقه كما لو كان حية سامة •

أرتوتروجوس : حتى ولو فعلت فانه ماكان ليستحق هذا الشرف بل انك ستلطخين قدمك النقية الصافية بقذارته• ان الوحيد الذى يمكنه مواجهة ماموراً والتصدى له هو أنا • دعيني أسحقه أنا نيابة عنك • وهكذا أنتقم أنا منه أيضاً • أما زلت تحبين كاتولو ؟

كلاوديا : الآن أكثر من أى وقت مضى •

أرتوتروجوس : ومن أجلك أنت سأعمل على تمجيده والتنويه به • ولكنى أرى أن خير تمجيد له وتنويه به هو انزال أقسى العقاب بماموراً • وأما بالنسبة لي فان ذلك سيكون كفارة عن خطيئتى •

كلاوديا : وهل تحبني أنت الى هذا الحد ؟

أرتوتروجوس : بل أكثر ••• أكثر من هذا بكثير ياكلاوديا • لقد كنت أسير جماهير الشعب على هواى والآن سأثيرها وأقذف بها على ماموراً • دعينى أمض الى الميدان الكبير لكي أصرخ معلنا الحقيقة •

كلاوديا : أتعرف ماتتعرض له فى سبيل ماتفعل ؟

أرتوتروجوس : أنا لاأريد الا خدمتك . ولست أملك شيئا أقدمه قربانا بين يديك الا شخصي المشوه.وهذا هو مايملأنى بالسعادة . دعينى أذهب .

كلاوديا : اذهب اذا شئت ، واهرب بجلدك اذا استطعت . ولتعنك الآلهة .

أرتوتروجوس : لقد منحتني الآلهة الكثير . ويكفي أنك أنت منحتني بهذه اللحظات التي تبادلت فيها الحديث معي . لست أطلب الى الآلهة نعمة أكبر .

كلاوديا : ولكنها ستمنحك المزيد . اذا كان عليك أن تموت من أجلي فأنا أريد أن تموت سعيدا . خذ (تقبلة) .

أرتوتروجوس : (فى اندفاعة عاطفية مجنونة) ... جونو يا زوجة جوبيتر ! ماأقل شأنك الى جوارها ! (ثم مضيفا وهو متوجه الى باب الخروج) وانت يا اله الجحيم ... انتظرني قليلا فعما قريب سأبعث اليك بخنزير مليونير قربانا وضحية بين قدميك ! ... (يخرج) .

كلاوديا : ماسمعت فى حياتي أبداً من عبارات الاستخفاف بالآلهه أجمل من هذه الكلمات .

فيلنيا : أنا الآن فى انتظار عقابك يامولاتى • فقد خنتك وتنكرت لما أدين به لك من الولاء •

كلاوديا : العقاب ؟ على العكس ياصغيرتي • فبفضلك أنت قد تلقيت من هذا العبد بشائر الخير مالم تتلقه الآلهة نفسها قط • (ظلام) •

(حينما تضاء الأنوار يكون المنظر قد تغير• يرى الآن الميدان الذى ظهر فى الفصل الأول• يدخل مامورا وقد اسدل على وجهه قناعا• الوقت ليل)

مامورا : أنا لم أستطع مقاومة الفضول الذى كان يغرينى بالتمتع بمنظر أرتوتروجوس وهم يسومونه سوء العذاب • لابد أنه فى هذه الساعة قد نصب فى احدى آلات التعذيب • وغدا سأرى نفسى حرا طليقا بعد التخلص من هذا الذئب الخطير •

ابسيليلا : (تدخل وهى مازالت فى حدادها وبغير أن تكف عن الصراخ والبكاء يسير فى أثرها جمع من النساء) آوفيلنيو ! ••• آوفيلنيو ! ••• ماأشقاني واتعس حظي ! •••

مامورا : (وهو يرى جمع النساء سادا عليه الطريق) هناك ناس قادمون • فلأترك شماتتى وفرحتى

الى مابعد (يسلك اتجاها آخر ، ولكن لا يلبث أن يسده عليه جمع تتقدمه فولومنيا) .

فولومنيا : فكتيو ! ... فكتيو ! ... حبيبى الذى عرفت معه حياة الاستقرار والسعادة ! حبيبى الأخير ... لقى نهايته فى السفينة الغارقة .

مامورا : (يتراجع) يااللعنة ! من هنا لن أستطيع المرور . (يحاول سلوك طريق آخر ولكنه لايخطو خطوات حتى يظهر فوريو ومن ورائه جمع من الرجال يحملون المشاعل) .

فوريو : أخي ... خير بحار عرفته روما ! ... أخى المسكين ابتلعته أمواج البحر الأدرياتيكي .

مامورا : عونك أيتها الآلهة ! ... فأنا محاصر من كل جانب . (يبحث عن مخرج آخر ، ولكن يسده عليه جمع آخر يتقدمه بائع الحلى والسماك وبائع العطور ، وهم يحملون المشاعل أيضا) .

السماك : ان الدائنين سيبيعوننى بيع العبيد اذ لم يعد لدىّ درهم واحد أدفعه لهم (تعلو أصوات من الجمهور بالصراخ والاحتجاج والتوجع) .

أصوات : هذا غضب جوبيتر ! ... لقد حلت على روما لعنات الآلهة !
(يدخل فيبنيو) .

بائع العطور : أنا كنت قد دفعت مقدما ثمن شحنة من العطور ، هو كل ماكنت أملك من مال . والآن قد استقرت كل ثروتى هذه فى قاع الأدرياتيكي .

السماك : ماموراً كان قد جعلنى المتعهد الوحيد لتوريد السمك للجيش ، وقد غرقت الآن السفينة التى كانت تحمل كل الشحنة القادمة لى من بلاد الاغريق .

فولومنيا : (بين البكاء والنحيب) ياليتني كنت متّ معك ياحبيبي فكتيو فى قاع البحر !

بائع الحلى : وأنا اتخذنى ماموراً شريكاً له فى شراء الحلى وادخالها الى روما بغير ضرائب والمتاجرة فيها . وقد ضاع فى السفينة كل ما كانت تحمله لى من شحنة الحلي .

فيبنيو : وأما أنا فلا أشكو من شىء . لم أفقد شيئاً لأنه لم يكن لدىّ ماأفقده . ولكنى أرثى لجميعكم وأشاطركم حزنكم .

فوريو : ولماذا تنضم اذن الى جماعتنا .

فيبنيو : هذه مهنتى ... استطلاع مايحدث وتأمل أسبابه وعواقبه .

ابسيليلا : آوفيلينـو ••• ابني وحبيبي ••• لقد كانت حياتك ثمن كل الأرواح التى ذهبت الى العالـم الآخر بفعل سمومى ومركباتى •

ماموار : عونك يا ميركوريو فى محنتى هذه ! لقد أطبقت الجماهير عليّ من كل مكان حتى كأني بين فكي مصيدة ! (يبحث عن مخرج آخر ، ولكنه لا يجد ، فيحكم قناعه على وجه بقدر مايستطيع • على باب منزل كلاوديا يظهر أرتوتروجوس خارجا من الدار) •

أرتوتروجوس : السجل اليومى لأخبار الشعب الروماني !

أصوات من الجمهور : (فى دهشة) الاغريقى ؟! ••• العبد الاغريقى ! انه هو ! وبهذه الثياب ؟ ماالذى كان يفعله حتى يخرج من هذا البيت ؟

ماموار : (فى دهشة أكبر وخيبة أمل) ياآلهة الأوليمب ! أرتوتروجوس حيا سالما ؟ ترى ماالذى حدث ؟ ••

أرتوتروجوس : أهم أحداث اليوم ••• معروضة من أجل خدمة الجمهور ذى الذوق الرفيع • فى خدمة الرجال النبلاء أصحاب العز الدائم والسيدات ذوات الجمال الخالد •••

أصوات من الجمهور : هات لنا ألواحك بسرعة . بكم ستتقاضى اليوم قراءتها ؟

أرتوتروجوس : ليست هناك ألواح اليوم ! سأتلو عليكم السجل اليومى للأخبار ،وفى وسع الجميع أن يسمعوه. ولن يدفع واحد منكم درهما واحدا .

أصوات من الجمهور : تكلم اذن .

مامورا : هذا الأمر يسير من سيىء الى أسوأ . ولكن من أين طريق الهروب ؟لطفك آيتها الآلهة فالذعر يتملكنى !

أرتوتروجوس : ستعرفون حقيقة كل شىء بفضل عناية الآلهة ! الدهشة تبدو على وجوه الجميع . صمت مطبق) بتدبير خبيث من مامورا ومن أجل مصالحه الخاصة تسير جيوش الامبراطورية فى حروب لاتنتهى وغزوات لاتبقى على شىء فى كل مكان : فى سيليزيا ... وفى اسبانيا ... وفى ايليريا ... وفى مقدونية ... وفى افريقيا ... وفى بلاد الغال ... وفى ليبيا ... وفى سوريا.

مامورا : لعنة الآلهة عليك أيها الخائن الدنىء ! ...

أرتوتروجوس : (مواصلا خطابه) لقد كنا نردد عليكم أيها

الرومان أنكم أنتم وابناءكم كنتم تذهبون للموت في ميادين القتال في بلاد بعيدة نائية من أجل مجد روما ومن أجل الدفاع عن الحرية وعن الحضارة الرومانية . ولكن كل هذا لم يكن الا كذبا وتضليلا .

أصوات من الجمهور : لقد كان كاتولو على حق . فهذه هي كلماته ولكنا أعرضنا عنه ولم نستمع اليه .

فوريو : ماهذا الذى تقول ؟ ألم أخض أنا القتال دفاعا عن مجد روما ؟ ... وحماية لها من البرابرة ؟

أرتوتروجوس : بل أنتم تموتون دون أن تعرفوا أين ولا من أجل من . وأبناؤكم يموتون في البر والبحر لاشيء الا لحماية مصالح مامورا .

فوريو : اذن فلست بطلا كما كنت أتصور ، بل أنا مغفل ابله . مارس ... يا اله الحرب لقد كنت أقدسك باعتبارك الهى المفضل وولي النعمة عليّ .... والآن لاأرى فيك الا قناعا لمامورا .

أصوات : والسفينة ؟ ماخبر السفينة ؟

أرتوتروجوس : سأقص عليكم كل شيء وليأت بعد ذلك الطوفان ! السفينة قد غرقت بالفعل . هذا

صحيح(الوجوم والحزن يبدو انعلى الوجوه٠)
ولكن غرقها لم يكن قضاء وقدرا،بل كان ماموروا
نفسه هو الذى دبر اغراقها ٠

ماموروا : جوبيتر ٠٠٠ سوف أقيـم لك أكبر معبـد اذا أنقذتني من هذه الورطة ٠

أصـوات من الجمهور : (فى حيرة تتحول بعد ذلك الى غضب هائج) ماموروا ؟ هـذا مجرم ! ٠٠٠ اللص ! ٠٠٠ كل مانملكه أصبح فى قاع البحر ٠٠٠ بفعل يـده الآثمة ! ٠٠٠

أرتوتروجوس : لا ٠٠٠ لم يذهب الى قاع البحر كل ماتملكون ٠٠٠ فأموالكم ترقد الآن فى خزائن ماموروا ٠ لم يكن على السفينة الا الرجال والمحاربون ٠أما الامدادات والمؤن فلم يكن على ظهر المركـب شيء منها ٠ (متوجها الى بائع العطور) فهى لم تكن تحمل ذرة من شحنة عطورك وأفاويهك المرسلة من بلاد آسيا ٠

بائع العطور : كل ماادخرته فى حياتى ٠٠٠ ثلاثون سنة مـن الحـرمان والتوفير ، وضعت ثمرتها فى هـذه الشحنة ٠٠٠

أرتوتروجوس : (متوجها الى السماك) ••• ولاشحنة السمك القادمة من بلاد الاغريق •

السماك : قوت أولادى !•••

أرتوتروجوس : (لبائع الحلى) ••• ولاحليك التى كنت تسعى لادخالها بغير ضرائب •

بائع الحلى : هى كل ثروتى المتواضعة !

أرتوتروجوس : لم يكن على السفينة ••• (الى ابسيليلا) الا ابنك •

ابسيليلا : المجرمون ! ••• القتلة ! ••• آه ياآوفيلينــو ••• ابني المسكين ! •••

أرتوتروجوس : (الى فولومنيا) ••• وصديقك •

فولومنيا : فكتيو ! فكتيو ! ••• أغرقوك من أجل أموال مامورا ! •••

أرتوتروجوس : (الى فوريو) وأخوك •

فوريو : يامامورا الخبيث ! ••• أنا ألعنك باسمه ! •••

أرتوتروجوس : ••• وكان ماموراً قد دفع للدولة ضماناً لتتكفل بوصول السفينة • والآن فانه بعد اغراقها قــد

استرد المبلغ الذى دفعه ، بل انه قبض عن غرقها تعويضا كبيرا • لقد كانت هذه أعظم صفقة دبرها فى حياته •

أصوات من الجمهور : المجرمون ! ••• اللصوص ! ••• ياقوة جوبيتر ••• أزيليهم عن صفحة الأرض ! ••• لنتوجه الآن الى بيت ماموروا ، ولنشعل فيه الحريق !••• لنبحث عن ماموروا ولنمزق جسده تمزيقا !•••

ماموروا : (يرتجف فى فزع شديد ويطلق صرخات هستيرية • تستوقف الأصوات الصادره عنه انتباه بعض أفراد الجمهور فيحيطون به ويمعنون النظر اليه) •

فيبنيو : مسكين هذا الرجل !••• لابد أنه ضحية أخرى من ضحايا ماموروا • (ثم متوجها اليه) مالك ياأخي ؟ ••• هل فقدت كثيرا فى السفينة الغارقة ؟ (ماموروا والفزع مستول عليه ينكر بهز رأسه ، ثم يعود الى التأمين باشارة من رأسه كذلك ، بينما يحاول أن يحكم تغطية وجهه بطرف عباءته) •

أرتوتروجوس : (مقتربا من ماموروا مرتابا فى شخصيته ، ثم نازعا طرف العباءة عن وجهه فى عنف) يا آلهة

الأوليمب ! ماأعظم حكمتك وتدبيرك ! (ثم مضيفا بلهجة ساخرة) ••• مولاى ! ••• هنا ؟

ماموراً : (جاثيا على قدمي أرتوتروجوس يقبلها) بحق كل غال عليك ياولدى••• ارحمني ••• ولن أعود الى مثل مافعلت ••• أقسم على ذلك برأس ميركوريو !•••

أرتوتروجوس : (صائحا بالجمهور الذى كان ينظر الى المشهد فى فضول وتطلع•) أيها المواطنون !••• أبشروا ••• فها هو ذا ماموراً ••• ساقته اليكم الآلهة لكى توقعوا عليه انتقامكم ! ••• (همهمة بين الجماهير تعلو بالتدريج حتى تصبح هديرا مدويا • أرتوتروجوس ينظر الى ماموراً قائلا :) والآن لن تعود الى التهام وجبات السمك ! فليست هناك قوة ستنقذك هذه المرة من عسر الهضم •

ماموراً : (صائحا فى نحيب) لا •••لا ••• لست ماموراً أيها المواطنون !••• لست ماموراً ••• بل أنا ليكونيدس ••• ليكونيدس العبد الذى يعمل بالسخرة على السفن •

بائع العطور : (مقتربا منه ومدنيا المشعل الذى يحمله الى

وجهه) نعم ••• أيها المواطنون ! هو مامــورا
نفسه ••• أنا واثق من ذلك !

بائع الحلى : (مقربا مشعلة من وجه مامورا بدوره) نعم •••
هو مامورا •

السماك : (فاعلا مثلها) ••• هو ••• هو • (الجماهير
فى زئير غاضب تندفع نحوه) •

مامورا : الرحمة أيها المواطنون ! ••• الرحمة !••• سأرد
لكل منكم ما له ••• سأعوض الجميع تعويضا
عادلا ••• سأدفع لكل منكم ماله ••• ثروتي
كلها ••• الرحمة ! ••• الرحمــة ! أنا أحب
الشعب !••• أنا أحب الشعب !••• أنا أحب
الشعب•••(يجرونه جرا أمامهموقد استبد بهم
الهيــاج) •

فيبنيو : (معتزلا الجمهور وفى طرف المسرح مشيرا الى
ما يحدث •) هذا هو انتصار كاتولو الأخير•••
الحقيقة التى أعلنها ودافع عنها كان لها الغلبــة
على الباطل والأكاذيب •

ابسيليلا : (تصيح فجأة) لحظة واحدة أيها المواطنــون
(صمت• الجمهور ينظر اليها منتظر! ما تقول):

لقد نسينا شيئا مهما (تشير الى أرتوتروجوس)
هذا !••• النذل المخادع ••• سبة روما وربيب
زبانية الجحيم ! ••• صائغ الأكاذيب وتاجر
الأباطيل ••• عبد مامورا وشريكه فى جرائمه ،
فهو الذى خدعنا وكذب علينا حتى هذه اللحظة.

أصوات من الجماهير : الموت للمضلل الكاذب •• صنيعة ماموررا وشريكه الآثم • الموت له ! ••• لنشنقهما معا ! ••• (يحيطون بأرتوتروجوس ويجرونه فى عنف) •

أرتوتروجوس : يشير الى الجمهور طالبا الكلمة ، فيتركونه مؤقتا ، فينظر هو اليهم فى كبرياء ثم يقول) :أيها المواطنون •• أيها السادة النبلاء والسيدات الجميلات ••• أنا لايهمنى ماتفعلون بى مادمت قد نلت ثأرى • والآن ••• الى الأمام ••• سيكون « السجل اليومى للأخبار » ابتكارا جديدا فى قاع الجحيم وسينسب الىّ أنا فضل ادخاله هنالك ••• (الجمهور يعود الى جره بعنف ويتحرك الجميع الى خارج المسرح) •

فيينيو : (وحده على المسرح ••• الاضاءة تشتد) ••• وهكذا أيها السادة كان من الواجب أن ينتهى

كل هذا ... الشعب قد يحتمل الطغاة ويصبر
على بلائهم كثيرا ... ولكنه حين ينفجر ...
(كأنما تذكر شيئا ... متحركا بسرعة الى
خارج المسرح وهو يجر قدميه راسفا فى قيوده..)
آه !... على أن أخبر مولاى اجناثيو الاسباني
بكل ماحدث ... الى اللقاء !...

ستار

* * *

تعليقــات

لما كانت الرواية التى قدمناها تدور فيجو روماني فاننا نلاحظ فيها اشارات معينة الى أشياء متعلقة بمعتقدات الرومان الدينية ، وبالاساطير الميثولوجية التي ورثوها عن الاغريق ، أو بأخبار قديمة متداولة بين أهل روما . وهذا هو ما يحملنا على القاء بعض الاضواء على هذه الاشارات اعانة للقارىء غير المتصــل بتاريخ الرومــان وحضارتهم على فهم أصح لمغزاها .

وأول مانلاحظه هو كثرة الاشارات الى الآلهة ، ومن المعروف أن الرومان كانوا فى أول عهدهم شعبا محارباً ذا حضارة خشنة بدائية ، ولم يأخذوا فى التهذيب والاخذ بأوضاع الحضارة ورسومها الا بعد اتصالهم واحتكاكهم بالشعوب التي سبقتهم فى هذا المضمار ، فهم أخذوا الكثير عن القرطاجيين الذين كانوا قد ورثوا حضارة أبناء عمومتهم الفينيقيين واقاموا حضارة راقية متقدمة فى الجانب الغربي من حوض البحر الابيض المتوسط ، على طول سواحل الشمال الافريقي وفى شبه جزيرة ايبريا وجزر البحر الابيض الغربية .

ثم لما امتدت دولة الرومان الى الشرق واحتلوا بلاد الاغريق اخذوا فى اصطناع الاوضاع الحضارية للشعب الاغريقي ، وهكذا رأينا من جديد تلك الظاهرة التي طالمـا رأيناها فى العلاقــات بين الشعوب، وهي أن الشعب الغالب فيالميدان العسكرى كثيراً ما يصبح تلميذا للشعب المغلوب ، مقلدا له ، مقتديا بــه .

حتى المعتقدات الدينية الوثنية التى كان الاغريق يؤمنون بها انتقلت الى الرومان دون أن يدخل عليها هؤلاء تعديلا يذكر . وكان الاغريق يدينون بعدد كبير من الآلهة الذين يضمهم جبل الأوليمب

المقدس . ومن هؤلاء آلهة كبار ، وآلهة ثانويون من طبقة أدنى ، وانصاف آلهة أو أبطال أسطوريون ، وأرباب رمزيون .

أما الآلهة الكبار فقد كانوا عشرين منهم اثناعشر هم الذين يتألف منهم « المجلس السماوى الأعلى » وثمانية خارج هذا المجلس

وقد أخذ الرومان هذه العقيدة بحذافيرها دون أن يتصرفوا الا فى استبدال الاسماء الاغريقية بأسماء رومانية . وهذا هو ترتيب الآلهة الاثنى عشر ، ومن بينهم ستة ذكور وست اناث :

أما الذكور فهم :

- جوبيتر Iuppiter كبير الآلهة ورب الأرباب واله الصواعق ، وهو زيوس Zeus الاغريقى .
- نبتونوس Neptunus اله البحر ، وهو بوسيدون Poseidon .
- مارس Mars اله الحرب ، وهو آرس Ares .
- أبوللو Apollo اله الشعر والموسيقى والنور والعدالة .
- مركوريوس Mercurius اله التجارة والمكر والحيل واللصوصية وهو هرمس Hermes .
- فولكانوس Volcanus اله الحديد والنار وهو صانع أسلحة الآلهة ، وهو هيفايستوس .

وأما الاناث فهن :

- جونو Iuno أخت جوبيتر وزوجته وهي الهة الزواج ، وهي الاغريقية هيرا Hera .
- فينوس Venus الهة الحب والجمال ، وهي أفروديت Aphrodita .
- سيريز Ceres الهة الزراعة والخصوبة ، وهي ديمتير Demeter .
- فستا Vesta الهة النار ، وهي هستيا Hestia .

ـ ديانا Diana أخت أبوللو ، الهة الصيد والقمر ، وهي أرتيميس Aremits •

ـ مينرفا Minerva الهة الحكمة والفنون والصناعات وحاميه المدن، وهي بالاس أثينيا Pallas Athenea •

وأما الآلهة الذين لم يكونوا أعضاء فى المجلس فأهمهم ممن وردت اشارات اليهم فى ثنايا المسرحية فهم :

ـ باخوس Bacchus الـه الخمر والكروم ، ابـن جوبيتر ، وهـو الاغريقي Dionysus •

ـ بلوتو Pluto اله الجحيم والعالم السفلى ، وهوهادس Hades .

ـ سـيبيل Cybele الهـة الامومـة والخصوبـة وأم الآلهـة الكبار ، وهي الاغريقية ريا Rhea • وقد كان الرومان يحتفلون بها احتفالا كبيراً اتخذ منه مؤلف الرواية ركنا من أهم أركانها كمـا اشرنا الى ذلك فى تقديمنا .

اما الأساطير الميثولوجية او التاريخية التى أشار اليها المؤلف فى أثناء حوار الرواية فنذكر فيما يلى أهمها :

١ ـ اينياس وعبوره الى ايطاليا

جاءت فى الفصل الثانى (صفحة ١١٥) خلال الحوار الدائر بين العبد الفيلسوف فيبنيو والشاعرين كاتولو وكنتو هذه العبارة :

« ان روما لم تكن اقل همجية وتخلفا حينما عبر اينياس البحر واستقر فى ايطاليا » .

يرتبط تاريخ ايطاليا وظهورها على مسرح التاريخ بأسطوره اينياس وعبوره البحر اليهـا حتى انه يعتبر هـو منشىء ايطاليا وخالقها .

وتنسب الاسطورة الى اينياس Aeneas أنه ابن الهـة الحب والجمال أفروديت (فينوس الرومانية) أنجبته من أحـد عشاقها ، وهو أنكيسيس Anchises ، وكان اينياس من زعماء الطرواديين مع هكتور فى حرب طروادة المشهورة ، وكان له فى تلك الحرب دور بارز بفضل ما اظهره من شجاعة وحكمة ومعرفة بفنون الحرب . فلما انتهى القتال بهزيمة طروادةبعد خدعة الحصان المعروفة اعتلى ظهر سفينة فى نفر من فلول الطرواديين وسار فى البحر على غير هدى خلال سنوات ،وبعد مغامرات كثيرة وصل الى شواطىء لاتيـوه Latio (مهـد اللاتينيين) فى ايطاليـا . وهناك ألقى عصا الترحال وتزوج من لافينيا Lavinia ابنة ملك لاتيو . ومن نسل اينياس رومولوس Romulus وريموس Remus منشئـا مدينة روما . وقد سجل الشاعر اللاتيني المشهور فيرجيل أخبار اينياس ومغامراته فى ملحمة تحمل اسمه : Aeneis (الانيادة)، وتعتبر من روائع الشعر الملحمي القديـم .

٢ ــ جوبيتر وداناى

فى الفصل الثانى (صفحة ١٢٦) فى أثناء الحديث الدائر بين أرتوتروجوس ومامورا يقول الأول :

« ألاتذكر كيف حول كبير الآلهة جوبيتر نفسه الى مطر من الذهب حتى يقع فى حجر محبوبته داناى ، وبتلك الحيلة استطاع أن يخصبها وينجب منهـا ؟ »

الاشارة هنا الى الأميرة داناى Danae بنت أكريسيوس Acrisius ملك أرجوس Argos (فى بلاد اليونان) . وتذكر الاسطورة الاغريقية أن زيوس كبير الآلهة (الرومانى جوبيتر) عشق الأميرة الجميلة ، واحتال بالصورة التى يذكرها أرتوتروجوس حتى انجب منها ابنا هو بيرسيوس Perseus الذى أصبح بعد ذلك ملك مقدونية . وكان أبو داناى حينما اكتشف العلاقـة بين ابنتـه ورأس الآلهة قد استشاط غضبا وحمية فأودعها هي وطفلها فى صندوق ثم ألقى به فى البحر ، ولكن زيوس احتال حتى أوصل الصندوق الى جزيرة سيريفوس . وتذكر الأساطير بعد ذلك مغامرات كثيرة للامير بيرسيوس استطاع فيها بمعونة الآلهة أن يقضى على بعض الوحوش الأسطورية الرهيبـة . وأخيراً جلس على عـرش مقدونية ، وكان سلالته البطل الاغريقي المشهور هرقـل .

٣ ـ الهات الظرف الثلاث

فى الفصل الثانى (صفحة ١٣١) فى خلال حديث أرتوتروجوس مع الجاريتين فيلنيا وأبرا ورد قوله :

« لقد التبس عليّ الأمر ، فحسبتكما اثنتين من الهات الظرف والرقة الثلاث اللاتي يذكرن فى الاساطير »

ويطلق هذا الاسم على ثلاث الهات كن بنات لزيوس أوجوبيتر انجبهن من ايورينوما Eurinoma ، وهى : أجلايا Aglaie الهـة الاشراق ، وايوفروسينا Euphrosyna الهـه المرح والسرور ، وتاليا Tralia الهة الزهور وراعية المسرح الكوميدى والشعر . وكان هؤلاء الالهات يعتبرن مصدر كل ما يسر القلب

ويشرح الصدر : الشباب والجمال والظرف والرقة والبراعة . ولهذا فقد كان شباب الاغريق يؤدون لهن قسما بالاخلاص والولاء ، ويمثلن فى التماثيل والصور فى شكل ثلاث فتيات جميلات متماسكات بالايدى عاريات أو تلفهن غلالات شفافة . وهناك لوحات رائعة تخيلها لهن كبار المصورين من أمثال رافاييل وروبنز وغيرهما .

٤ ــ ذئبة روما

فى الفصل الثانى (صفحة ١٥٥) يقول أرتوتروجوس فى حديثه للمأمورا عن الفضيحة التى يعدانها :

« لست أظن أن ذئبة روما عوت خلال القرون الستة الماضية كما ستعوى طربا فى هذه الليلة » .

تنسب الأساطير الرومانية تأسيس مدينة روما فى سنة ٧٥٣ قبل الميلاد الى الاخوين رومولوس Romulus وريموس Remus وتقول هذه الاساطير انهما ابنا مارس اله الحرب وريا سيلفيا Rhea Silvia . وكان مارس قد عشق هذه الفتاة ابنة الملك نوميتور Numitor ، فغضب الملك لذلك وأمر بوضع التوأمين فى سلة ثم القائهما فى مياه التيبر ، وحمل التيار السلة حتى قذف بها فى سفح جبل بالاتينوس Palatinus وهناك عثرت ذئبه على الطفلين فأرضعتهما حتى شبا ، ثم وجدهما الراعي فاوستولوس Faustulus فرباهما مع أبنائه حتى كبرا . وأخيرآ التقى بهما جدهما

نوميتور وكان قد طرد من عرشه ، ولكنهما ساعداه حتى عاد الى العرش . ثم قررا أن يبنيا مدينة فى الموضع الذى ارضعتهما الذئبة لديه . وهكذا انشئت مدينة روما نسبة الى رومولوس) فى سنة ٧٥٣ ق.م. ، واختلف الأخوان بعد ذلك ثم اصطلحا على أن يقسما المدينة قسمين بخط يحفره محراث فى وسطها . ولكن ريموس حاول اقتحام منطقة أخيه ، فقتله هذا ، ثم ندم على قتله وجعل الى جوار عرشه عرشاً آخر تذكيراً لنفسه بتلك الجريمة . وتذكر اساطير الرومان أن رومولوس اختفى بعد ذلك فى عاصفة هبت على المدينة . ويقال ان أباه مارس حمله معه الى مثوى الآلهة وفى الفاتيكان تمثال بديع لذئبة روما وهي ترضع الطفلين رومولوس وريموس .

٥ ــ اختطاف السابينيات

فى الفصل الثاني (صفحه ١٦٠) أيضا يقول أرتوتروجوس لماموراً بعد أن تم تدبير فضيحة تدنيس المعبد أثناء الاحتفالات بالهة الخير والامومة :

« تم كل شيء يامولاى ! أتتصور مدى ضخامة الفضيحة ودويها فى روما ؟ أنا أؤكد لك أنه منذ خطف السابينيات لم يحدث أبداً أن شهدت روما أهول من هذا » .

واختطاف السابينيات حدث تنسب الأساطير المتعلقة بانشاء روما اليه أهميه عظمى فى تكون المدينة وعمرانها . وتقول هذه الأساطير انه حينما قام رومولوس وأخوه بتأسيس روما لوحظت قلة عدد النساء فى شعبهما . وهكذا بدت الحاجة الى الاتيان بعدد

من النساء حتى يتكاثر الشعب ، ولكن القبائل المجاورة ولاسيما السابينيين أبت أن تزوج أهل روما من بناتها . وحينئذ دبر رومولوس حيلة هي انه دعا جيرانه الى احتفال ديني جرى الرومان على اقامته للاله كونسوس . وانتهز شباب روما فرصة انشغال السابينيين فى هذا الاحتفال وافراطهم فى الشراب ، فاختطفوا نساءهم . وغضب تاكيوس ملك السابينيين فأعلن الحرب على أهل روما . وأوشك الفريقان على أن يشتبكا فى قتال دموى عنيف ، لولا أن السابينيات انفسهن توسطن فى الامر واستطعن اقرار السلام بين الجانبين . وتم الصلح بشروط منها أن يقطع السابينون أجزاء من أرض روما ، وأن يشترك تاكيوس فى الحكم مع رومولوس ، وأن يكون للسابينيين مائة ممثل فى مجلس الشيوخ الروماني . ومع ذلك فان السلام لم يتوطد فى روما حتى سنة ٧٠٠ ق.م. ، وذلك حينما كبر أبناء الرومان من السابينيين وصارت اليهم مقاليد حكم المدينة . وموضوع اختطاف السابينيات كان موحيا بكثير من أروع الآثار الفنية والادبية .

مطبعة حكومة الكويت

فى العدد القادم

القبرة : (جان دارك) **تاليف : جان آنوى**

قصة جان دارك معروفة . ريفية بسيطة رات وطنها حرما مستباحا للغزاة الاجانب فهبت تعلن فى وقار وشموخ وعزم وايمان انها مبعوثةالعناية الالهية لتطهير وطنها من دنس الاحتلال والاستعباد، ولتتويج ولي عهد فرنسا الضعيف المتخاذل ملكا شرعيا على شعبه . واستطاعت بقوة الايمان أن تفرض نفسها على القواد وعلى ولي العهد نفسه ، فوضعها على راس كتيبة من جنده قهرت بها العدو — ولما اخذت طلائع النصر الكامل تبدو أكيده تخلى عنهـا الاقوياء واسلموها للعدو الذى قضى عليها بالاعدام حرقا بالنار . وكان فى وسعها أن تنجو منها ، لولا ان نفسها ابت أن تنكر نفسها .

اضفى آنوى على القصة من فنه الخاص ما جعلها احـدى روائع : نبل التفسير وعمقه ، وسرعة الحركة ، والسيطرة التامة على قوانين المسرح الصارمة ، وذلك الحوار الذى يجمع بين السمو والألفة والذى يصعد بنا تارة حتى لنطل على عظمة ذلك الكائن الذى كرمه أحسن الخالقين ، وكأنه يناشدنا أن نتشبث بهذا الذى هو من عجينته ومعدنه . وينزل بنا تارة أخرى حتى يطلعنا على نقص الانسان الذى خلق من ماء مهين ، وكأن يحذرنا من الهبوط الى هذا الدرك . وقد سار آنوى فى ذلك على نهـج من الفن المسرحي لا يستطيعه سـواه .

فى هذا العدد

سمك عسير الهضم **تاليف : مانويل جاليتش**

تدور أحداث هذه المسرحية الشبه التاريخية فى روما التى تستعد لاستقبال قائدها المظفر يوليوس قيصر عام ٥٩ ق.م واذا كان التاريخ قد صور روما القديمة موئلا للحضارة ويوليوس قيصر بطلا عبقريا ، فان مؤلف هذه المسرحية يعرض « الوجه الآخر للعملة » قيصر دكتاتور مستبد وروما قوه استعمارية أقامت عظمتها على نهب ثروات الشعوب المغلوبة . وما هذا وتلك سوى ستار لتجار الحروب مثل « مامورا » ومحترفى السياسة مثل « أرتوتووجوس » . ويحاول الشاعر « كاتوللوس » أن يوقظ ضمائر الشعب . ولكن يتحالف عليه تجار الحروب والسياسة والصحفيون وقادة الراى المأجورون ويمعنون فى الكيد له وتضليله وتخديره بأفيون الانتصارات العسكرية . وفى الوقت الذى يقرر فيه « كاتوللوس » يائسا أن يهجر الميدان وقد فشل أيضا فى حب « كلاوديا » تنحل عقد المسرحية ، اذ يدب الخلاف بين أعضاء الحلف الفير المقدس وتفيق الجماهير من غفوتها ثائرة على مضلليها وموقعة بهم اقسى العقاب .

★ ★ ★